كتاب

مفاهيم تربوية



📚 مؤسسة أصحاب القلم الإلكترونية لتدوين وتقرير محاضرات حجة الإسلام سماحة الشيخ علي رضا بناهيان [حفظه الله].

◈بحوث تربوية مهمة جداً لحجة الإسلام والمسلمين سماحة الشيخ علي رضا بناهيان (أدام الله توفيقاته) نرجوا من الله تعالى أن يستفيد الإخوة والأخوات اقصى إستفادة منها ويعملوا وفقها فإن فيها دقائق ومعارف ونصائح تساعد على التقدم المعنوي وفي مجالات الحياة كثيراً. لذا اطلب من الإخوة قرائته بجدية وأن لا يمروا على سطر منه مرورا عابرا بل يددقوا ويفكروا فيه .

◈أنظر إلى إيجابياتك..

يجب أن يقال لكلّ شخص: انظرْ إلى إيجابيّاتك، لتتحفّز للانطلاق، لتكون رأسمالك للتقدّم. فقولهم: لا تنظر لحسناتك لئلّا تصاب بالعُجْب والغرور هو فيما إذا

توقّفتَ عن المسـير لدى النظر إليها، هذا هو السـيّئ.. أمّا أن تُعاين حسناتك لتتحفّز للمسير فهذه هي المعرفة الإيجابيّة للذات. بل إنّ ذروة معرفة النفس وأَوجَها لا تكمُن في رؤية السـلبيّات ذروتُها هي رؤية الإيجابيّات. اِغرَقْ في تأمُّل إيجابيّاتك لدرجة أن تأبى العيشَ لهدفٍ أدنى من بلوغ الذُرَى! عليك أن تكرِّم نفسك جدًّا.

ففي الخبر: «مَن كرُمَت عليه نفسُه» الذي نفسُه عنده كريمة، وعزيزة «هانَت عليه شـهواتُه» يقول: ما هذه؟! إنّها ليست من مستواي! معرفة الذات ذروتُها أنْ يُدرك المرء إيجابيّاته. الآن خَبّروني بواحدة من الإيجابيّات التي نملك. علينا أن نُوَقِّر أنفسنا جدًّا. الواحد منّا يهتاج حقًّا لدى رؤيته هذه الإيجابيّة! مثلًا نحن لا نحسد أولياء الله، لا بل نحبّهم. لسنا متكبّرين، بل نحن متواضعون، بل شُفَقاء أيضًا. إنّها أمور مهمّة جدًّا!

لاحظوا يا أصـدقائي.. لو أنّنا نظرنا بدقّة في ما نريد لانتَحَبْنا ليلَ نهار لفراق صـاحب الزمان، أرواحنا له الفداء.. لأعوَلْنا ليلَ نهار مبتهلين: إلهي، أخشـى يومَ القيامة أن تَفصِل بين داري ودار أمير المؤمنين(ع) في جنّتك ذَرّة! هذا نريده، إنّه موجود الآن في داخلنا. فلا يسعك القول: لا أراني ميّالًا إلى هذا، مع الأسف!

يا رجل، هذا موجود! كيف عساني أخبرك؟! أنت الآن تملكه!

إذا لاحظتَ دعاء عرفة لوجدتَ أنّ شُكر الحسنات فيه يفوق الاستغفار من السيّئات. يا للعجَب! بل إنّ الحسين(ع) غارق في هذه الأمور، وكلّ مَن يدنو من الحسين(ع) يعرض له إيجابيّاته.. ما إن ترتدي السواد وتقصد العزاء حتّى يأتيك الحسين(ع) قائلًا: أترى كم أنت صالح؟! إنّك تحبّني، تبكي علَيّ! أترى ما أحسنَك؟! يُطَيِّب حالَك، يُحَمّسك، يرفع معنويّات الجميع.

يجب أن يقال لكلّ شخص: انظرْ إلى إيجابيّاتك، لتتحفّز للانطلاق، لتكون رأسمالك للتقدّم، بل إنّ ذروة معرفة النفس وأَوجَها لا تكمُن في رؤية السلبيّات ذروتُها هي رؤية الإيجابيّات..

اجعل هدفك في الحياة واحداً

جيّد جدًّا أن يعرف الإنسان واجبه، وأن يكونَ واجبه عملًا واحدًا لا غير. جيّد جدًّا أن يكون على عاتق الإنسان عملٌ واحد ويدرك أنّ من واجبه المواظبة عليه

طوال حياته، نعم، حتّى وإنْ طوال حياته! وليس بشكل مؤقّت، أي أن يَنصَبّ اهتمامُه على واجب واحد. هذا المبدأ هو في منتهى الأهمّيّة. وفي الحياة الروحانيّة أيضًا إذا انصبَّ اهتمام المرء على واجب واحد يرتاح حقًّا. فحين يكون عندك عمل واحد فإنّ من نتائجه ازدياد قدرتك على التركيز، حين يكون لديك عمل واحد ستزداد قوّة إرادتك.. ستتعاظَم سَكينتُك.. ستتحسّن ذاكرتُك..، بل سترتقي صحّتُك البدنيّة أيضًا، حين يكون أمامك هدف واحد...

إنْ مِلْتَ إلى الدنيا فسينصبّ اهتمامك على بضعة أشياء، بل ستتشتّت وتتشوّش حالُك، فإن استطعتَ، حين تميل إلى الدنيا، أن تصبّ اهتمامك على شيء واحد، وهو حبّ النفس، فستضطرب روحك أيضًا لدى تلبيتها احتياجات النفس الكثيرة، ونزواتها المتعدِّدة، ومتطلّباتها الكثيرة، مضافًا إلى أنّ فطرتنا وضميرنا لن يَدَعا بالَنا يهدأ، فسيواجهنا كلّ لحظة قائلًا: "وماذا عنّي؟ إنّك لا تفكّر إلّا في نفسك!! ثمّة ضمير أيضًا! أنا لم أمُت بعدُ.."

أمّا إذا توجّه الفرد إلى الله فيمكن أن يكون لديه واجب واحد لا غير. الذين يظنّون أنّهم إذا سلكوا طريق الروحانيّة توجَّبَ عليهم مراقبَة 7 أو 8 أو 10 أمور أو

100 أمر فهم واهمون! شــيء واحد ســيطالبك به ربّك إن طرقتَ بابـه يقول: أريد منك هذا فقط، هذا هو بيت كلّ القصــيد. فإنّك لا تســتطيع إلغاء عبادة الله، ثانيًا لا تجمعْ بين عبادة الله وحبّ الدنيا، اِعكِفْ على عبادة الله

وأَرِح بالك، أوّلًا، لتزيل من قلبك كلّ تردُّد. ثانيًا، ليس أمامك عند عبادة الله سوى عمل واحد، إنّه بيت القصيد كلّه.. ما هو هذا العمل الواحد؟ ما هو؟ إنّه مُخالفة الهوى.. فسواءٌ أَخرجتَ عن دائرة الدين أو دخلتَ فيها فإنّ الطريق واحد لا غير: ليكُن هاجسُك، إذا استيقظتَ صباحًا أو نمتَ ليلًا، شيئًا واحدًا، لينصبَّ فكرُك في شيء واحد ولا يتعَدَّ إلى غيره.

- حسنٌ، ماذا لو رُفِع الأذان؟ في أيّ شيءٍ أفكّر؟ أَذَّنَ المؤذّن، أنْ تقوم للصلاة في أوّل وقتها هو مخالفة للهوى.. اشترِ الآن هذا.. أن تقوم بهذه الأعمال مع أنّها لا تنسجم عادةً مع الذوق الطبيعيّ، على الأقل لا يفهم المرء كُنهَها: لماذا عليَّ القيام بهذا العمل؟ فلأنّك تطيع أمرًا فإنّها مخالفةٌ أخرى للهوى.. ثمّ إذا نفّذتَه بأدب فهذه مخالفة أخرى للهوى، فإن اعتذرتَ من صلاتك بعد الفراغ منها فهذه مخالفة أخرى للهوى؛ «إِلهي هذِهِ صَلاتي صَلَّيتُها، لا لِحاجَةٍ مِنكَ إِلَيها، ولا رَغبَةٍ مِنكَ فيها»، والآن مشكلتي هذه: «إِنْ كانَ فيها خَلَلٌ أَو نَقصٌ مِن رُكوعِها أَو سُجودِها فَلا تُؤاخِذني»، تراكَ تعتذر من صلاتك!

عجبًا! كان يجب أن تغتَرّ! كانت نفسي اللعينة تريد أن تغُرَّني بعد الصلاة فحطّمتُها.

خرجتَ من المسجد، لا تشمخْ بأنفك على الآخرين، إنّها المخالفة التالية. وقعتَ في مُشكلة، سيُختبَر هواك: تشتُم أو لا؟ وقعتَ في ضَرّاء أو سَرّاء، الحالُ هي هي، باستمرار مخالفة للهوى، في هدوء كنتَ.. أو في محنة.. في الامتحانات الصعبة.. وفي تلك السهلة، في الاختبارت الصغيرة.. أو في تلك الضخمة، لا يُراد منك في كلّ هذا سوى شيء واحد: ماذا تصنع لمخالفة هواك؟ فسواء أَخرجتَ عن دائرة الدين أو دخلتَ فيها فإنّ الطريق واحد لا غير، ليكُن هاجسُك، إذا استيقظتَ صباحًا أو نمتَ ليلًا، شيئًا واحدًا، لينصبَّ فكرُك في شيء واحد، ما هو؟ إنّه مخالفة الهوى.. حارِب هواك، أَزعجْ نفسَك في هواها...

هل الشكر صعب؟!

«نِعمَةٌ لا تُشْكَرُ كَسَيِّئَةٍ لا تُغْفَر». أكثروا من الشُّكر.. الشكر. هل الشكر صعب؟! أنظروا إلى النواحي الجيدة من حياتكم وقولوا: الحمد الله. فأنتم جميعاً، ولله الحمد، تحضرون الآن هنا ولا ترقدون في المستشفى. الحمد لله.. قولوا الحمد الله. هل الشكر صعب؟!

دعاء الإمام الحسين(ع) يوم عرفة ملحمة.. إنه ملحمة!! فهو(ع) فيه يشكر الله.. ويشكر الله.. ثم يشكر الله، ثم يعرّج على الاستغفار، ويعود ثانية فيشكر الله.. ويشكر الله. وعلى أي الأشياء يشكر!! على أي الأشياء يشكر!! يقول(ع): إلهي، أنا.. أنا لم أكن في رحم أمي أفقَه ما أريده في هذه الدنيا فجعلتَ لي عينين! كيف لي أن أشكرك وقد وهبتنيهما، هكذا، دون طلب منّي؟! أنَّى لي أن أبلغ شكرك؟!

- بنفسي أنت يا سيدي يا أبا عبد الله، دعك من هذا.. فالجميع لهم أعين؟!

يقول(ع): «وَقَلِيلٌ مِن عِبَادِيَ الشَّكُور» فلم يقل مثلاً: المتقين قلّة، أو: المؤمنين قلة، أو: الصالحين قلة، لكن ما إن يأتي على ذكر الشكر حتى يقول: إنه قليل! إنه قليل!

لعمري ما الذي يتوقّعه الله من عبده؟! يقول: لقد أنعمتُ عليك، فاشكرني على الأقل! أما باقي شؤونك فأنا أسوّيها لك! مَن الذي يُدعى «شكوراً»؟ الشكور هو الذي يشكر على النعم الدائمية. أرأيتم الشمس قد أشرقت هذا الصباح؟ في صباح هذا اليوم قد طلعت الشمس! واستيقظتم من رقادكم!

- شيخنا، هذا يحصل يومياً!

- طيب، لكنه حدَث حسَن جداً، فهَلاّ تؤدّون شكره؟ أرأيتم كم كان الطقس رائعاً؟!

- يا شيخ، هذا يتكرر باستمرار، فالطقس بعد الصيف يتحسّن شيئاً فشيئاً.

- أرأيتم كيف اكتفيتم بفتح النوافذ وما احتجتم إلى مبرّدة هواء؟! ألم يكن رائعاً؟ فلتحمدوا الله إذن!

لا تنتظر نعمة ضخمة وافرة غير متوقَّعة تهبط من السماء فجأة كي تقول: أشكرك ربي، كم كنتُ بحاجة إلى هذه «المائة مليون» وقد نزلت لي من السماء، أشكرك يا رب!!

مَن الذي يُدعى «شكوراً»؟ الشكور هو الذي يشكر على النعم الدائمية.

إنَّ الله يحبّك!

وهل يمكن فهم هذه الحقيقة؟! إنّ هذه الحقائق لا تدرك إلا بالقلب! أساساً إنّ بعض الحقائق عصيّة

على التعبير مثلاً وضّـــح لي رائحـة ورد اليـاس! ليوضّح لنا أحد الحاضرين في الجلسة كيفية رائحة الياس؟ كلّكم -ربما- قد شـــممتموها وهي ليســـت بحقيقة قلبيّة وإنّما حسيّة متعلقة بحاسّة الشمّ ولكن لا يمكن بيانها وأســـاســـاً لم تخلق كلمة في أدبيات الناس لتبيينها

وإنما يتحدثون عن آثارها مثلاً منشّـــطة أمّا قل لي ما هي؟! لا يمكن ذلك! وإنما يجب أن تأتي بقارورة منها وتقول: هي هذه؛ انظر إليها؛ شمّها؛ هي هذه؛ أرأيتها؟ وهناك حقائق يجب أن تدرك عبر القلب يجب إدراك الحبّ بالقلب! إن الله يحبّك وهل يمكن فهم هذه الحقيقة؟! بأي بيان؟! فحتى لو أتيت بأفضـــل البراهين لايمكن تبيينه لماذا لابدّ للإمام الحجة(عج) والنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أن يلاحظا سجلّ أعمالنا؟!

وحتى إن لم يعتقد أحد بأهل البيت (عليهم السلام)، على أســـاس القرآن الكريم لا بدّ للنبي (صـــلى الله عليه وآله) أن يلاحظ ملفّ أعمالنا لماذا يجب أن تعرض أعمالنا على الإمام الحجة(عج) مرّتين في

الأسبوع على الأقل؟ هل هذا روتين إداري وحسب؟! هل أنهم في مقام التفتيش؟ ما هو سببه؟ أجيبوني! وضّحوا لي! هل أنهم عاطلون ويريدون أن يملأوا ساعات فراغهم؟! وهل يمكن لنا أن نتصوّر مثل هذه الإفتراضات تجاه ولي العصر أرواحنا له الفداء؟ وهل له أكثر من سبب واحد؟! سببه هو شدّة حبّهم لكم إن حبّ الأم للولد ممّا يجب تجربته بالقلب إن بعض الأطفال يقولون لأمّهم أنتي تحبيّن أختي أو أخي فقط ولا تحبّيني! فتنظر إليها الأم بكل عجب وتقول لها: ما هذا الكلام؟! أنتم جميعا أعزّاء عليّ! كلما يضيق صدرك التفت إلى الله وناجه وقل: إلهي هل قد أهملت قلبي؟! هل أصبح قلبي مزبلة؟! كم مرّة لحد الآن عندما قسي قلبك وقفت وتحدّثت مع الله بهذا الكلام دقائق ثم لم يفتح الله قلبك؟ كم مرّة؟ أنا مستعدّ لأن أقف بين مليارات البشر وأتحداهم أن لينهض واحد فقط من بين هؤلاء المليارات ويقل: «أنا قد تضرّعت إلى الله عدّة مرات بعد أن كان الله لا يتحنّن على قلبي ليلين فكان قلبي قاسيا ولا تنهمر دموعي فلم أكن أحب الذكر لم أكن أحب الله كنت أحب الذنوب أحب الغفلة

أحب الفســـق! ثمّ في ذلك الحال وقفت بين يدي الله ليقل ذلك نفر واحد بين مليار أن قلت له: إلـهي! هل قـد رميـت قلبي؟! هـل طردت قلبي لكونــه لا ينفع بعد؟! ثم لم يجبك الله؟ ولم يتحنّن الله على قلبـك؟! أنت الذي طأطأت رأسك وأتعبت قلبك قل: إلـهي! إن هذا الشعور السيئ في قلبي أفلا تصلحه؟! أصلحه أرجوك فإن فلم تصلحه لن آتيك! إن لم تصلحه لن أصير إنسانا! إن لم تصلحه أذنب.

إلـهي حالي سيّئة..

لأي شـــيء خلقتني الله، أنا الإنســـان؟ خلقتني لثورة المشـــــاعر والحمـاس والمتعـة والبهجـة أقول: الشخص الذي يوصَف بالصلاح وأنه مخلص جداً

لابد وأن يخطر في بالكم بأنه في غاية الســعادة في داخلـه ـ كلا، ليس هكذا، لكنـه مخلص جداً ـ إذن فالينقع إخلاصَــه هذا بالماء ولا داعي لأن يشـــربَ مـاءَه فهو ليس للشـــرب، بـل ليُرِقْـهُ! أي إخلاص

هذا؟! إخلاص لم يهبْهُ ســــروراً.. لم يمنحه حيوية عن الإمام علي (عليه الســـلام): «بِالإِيمَانِ يُرْتَقَى إِلَى ذِرْوَةِ السَّـــعَادَةِ وَنِهَايَـةِ الْحُبُور» فـالـدين هو السرور لِمَ سُوقُ الاستغفار كاسدة؟ لماذا نحن قلّما نلجأ إلى الله مســـتغفرين؟! لأن النـاس لا يتوقعون من أنسفهم بلوغ أعلى مؤشرات الحياة، أي النشاط وغير ملتفتين إلى أنهم هم من أفسدوا على أنفسهم عدم بلوغ هذا المؤشـر هم من أفسـدوا ذلك ثم إنـهم لا يدرون بـأنهم لو لجأوا إلى الله لأصـــلح لهم ما أفســـدوا إلهي، إنني لا أســـتمتع بحياتي.. فاعفُ عني! أوَلســتُ أنا الذي أفســدتُها؟.. فلقد وفَّرتَ لي أســبابها إلهي، أنا لا أنعم بالحيوية والنشــاط.. ماذا جرى لي؟! فاغفر لي! بالتأكيد أنا من أفســـدَ حالي فكان لابد – حتى في هذا الظرف – أن أتمتع بذروة الطاقة.. لكنني أفقدها لقد أســـأتُ.. فاعفُ عني.. اعفُ عني.. أي أصلِحْ ما أفسدتُه أنا عن إذنكم، أود الآن أن أســـتغفر أقول: إلهي، ظلمتُ نفســـي! لقد أفســدتُ حالي أنا أعش حياتي أنا لســتُ مبتهجاً لقد أســأتُ النظر.. أســأتُ التصـرّف لقد أفســدتُ على نفســي حالي يا جابرَ العظم الكسـير أنت الذي تجبُر

العظم إذا انكسـر.. فأصـلح أموري يا من يبدّل السـيئات بالحسـنات أنت الذي تحوّل الذنوب إلى صـالحات حسّـن حالي.. فحالي لابد أن تتحسّـن.. حسّـنها إذن حوّل حالنا إلى أحسـن حال حوّل قلبي إلهي حالي سـيئة.. أي إنني إنسـان طالح فبالغ بالعفو عنّي حتى تَصلُح حالي.. حالي الآن ليسـت على ما يرام كثيراً فإن رأيتَ أن الله لم يعجّل في الإجابة فداوم قليلاً فعليك أن تَخرُج من الوضع الذي أنت فيه إذ ستحصـل لك أمور حسـنة الأمر يتطلب منك المداومة والاسـتمرار، فإنّ له آثار جيدة فلا تخف.. اثبت.. قُل: اللهم اصـفح عني.. وتربّص وسـيقول لك الله: إنّك في عيني أولسـتَ معي؟ إذن أنا أيضـاً معَك.. أمورك في يدي يقول تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ» [البقرة، الآية: ٢٢٢] – إلهي، هل تقبلُني إذا تُبتُ؟ فيجيب الرب: بل أحبّك أن تتوب!.

حذار من العلاقات الزوجية الحميمة

الرجل والمرأة إذا تزوجا كانا كشخص واحد!! بقلب واحد!! يتعلّق كل منهما بقرينه!! وحذار من أن يخونا بعضهما لأنهما روح واحدة في جسدين!! صحيح أنهم قالوا: زواجاً سعيداً لكن ليس إلى هذا الحد! يقول جلّ جلاله: «وَعِزَّتِي وَجَلالِي لأُقَطِّعَنَ أَمَلَ كُلِّ مُؤَمِّلٍ أَمَّلَ غَيْرِي» كي لا يتعلّق قلبه بأحد سواي قطّ إنّ الله لا يذرك وحيداً مع الأسباب التي خلقها في هذا العالم يقول: عبدي.. التفت إليّ ما لَكَ أدبرتَ عنّي؟! إنك تلهو!! – بل أنا مع أهلي ومن حولي أقوم بخدمتهم أفضل خدمة – حسنٌ، فَالتذُق منهم كلّ خيانة حتّى ينقطع رجاؤك فتأتي إليّ! تعالوا إلى الشبكات الإجتماعية وعاينوا ما يُشتكى فيها من تجارب الحبّ الفاشلة يا أخي، هذا تدبير إلهي فالله لا يذرك ترتبط بشيء ما ثمّ يستمر الإرتباط، وينقضي الأمر يشهد الله إنّ المرء ليعجز عن الكلام لدى مشاهدة بعض أنماط التفكير العامّي لا يمكن التفوّه بكلمة لفداحة هذا الطراز من التفكير -«لعلّك أنتَ الجبان يا شيخ! أفصِح، لنرى مالذي تريد قوله مثلاً!» - سأنقل جانباً من القصة، فإن تجرئة فاذهب وقُله في بيتك! «الرجل والمرأة إذا

تزوّجا كانا كشخص واحد!! بقلب واحد!! يتعلّق كل منهما بقرينه!! وحذار من أن يخونا بعضهما لأنهما روح واحدة في جســـدين!!» أجل.. قلت لي, وأنا صدقتك كثيراً!! إذن فما قصة الرباط الذي ينبغي أن ينفصم ليتم الارتباط بالله؟ ومالحكمة – بتصوّركم – وراء الكثير ممّا نراه من الخلافات العائلية؟ مثلاً: «آه، لقد خاب أملي في قريني وليس لي إلا طَرق بابِ ربّي!» - طيّب، كان عليك أن تفعل ذلك من البداية يا هذا لَشَـــدّ ما يســـيء الكثيرُ فهمُ ما يصيب هذه العلاقات من أنواع الفصام فيخالون أنها أمارات إنهيار حياتهم المشتركة يقول: لقد، سئمت (من هذه الحياة) – فالتسـئم.. ثمّ ماذا؟! من البداية ما كان يجب أن تبلغ بالعلاقة هذا المقدار صـــحيح أنهم قالوا: زواجاً ســـعيداً لكن ليس إلى هذا الحد! أَتُوطّد اتصـــالك هنا وتقطعه مع الله يا هذا؟!! - لكن هذا يخلق مبرّراً للنزاعات العائلية فالنزاعات تنشـأ في الغالب بســـبب كثرة العلائق التي ليســـت في محلّها إنك ســـارح في أوهامك لقد خدعوك لم يكن من المُفترض أساســـاً أن تتعلّق إلى هذه الدرجة! إنهم يفهمون الحياة خطأً لا يدرون أنّ كل ما فيها

قد جُعل للإختبار تقول (الزوجة): إذا لم يتعلّق بي (زوجي) كما يلزم ولم أتعلّق به كما ينبغي فسأبغضه! إنكِ تتمادين في الخطأ، يا هذه! هل أنتِ فرعون، لتقولي: أنا ربكم الأعلى؟! إمرأة، وإذا بها تقول لزوجها: أنا ربكم الأعلى!! تحسب أنها لابد أن تكون معشوقة زوجها من الأزل إلى الأبد رجل، اقترن بامرأة واحدة لا غير وإذا به يتوهّم نفسه فرعونَ وأنّ من حقّه أنْ يستعبد إمرأتَه يقول: لا، إنها لا تُلقي لي بالاً إنها تنظر إليّ نظرة عابرة! ـ فالتشكر الله يا هذا على أنها تنظر إليك نظرة عابرة أساساً لم يُقدَّر أن تُجعل العلائق بين الناس بهذه القوة فتأخذك الأوهام بعيداً لا تقطع صِلَتَك بالله الزواج هو الآخر امتحان.

آهاتُ عليّ(عليه السلام) في جوف الليل!

صلّى الله عليك يا أمير المؤمنين(عليه السلام)
دعونا نأتي على ذكر أمير المؤمنين(عليه السلام)

لقد هيّأتُ بعض المشاهد من حياته سأستعرضها عليكم لتشاهدوها.. واستمتعوا بها في أمالي الصدوق وهو كتاب قيّم جداً يقول عروة بن الزبير: «كُنَّا جُلُوسَاً فِي مَجلِسٍ فِي مَسجِدِ رَسُولِ اللهِ(صلى الله عليه وآله) فقالَ أبو الدَّرداءِ: يا قوم مَن هو أكثر أصحابِ رسول الله فضلاً؟ يقول فقلت: لاشكّ أنّه عليّ بنُ أبي طالب (عليه السلام) قال فوالله ما كان في جماعة ذلك المجلس إلا واستاءَ وأعرضَ بوجهه!!» مظلومٌ علي.. مظلومٌ علي! أودّ هنا أن أُلوّع قلوبكم على عليّ(عليه السلام) عسى الله أن يرحمكم لذلك فالله تعالى يحبّ كل مَن يحبّ عليّاً(عليه السلام) فعوضاً عن قوله له: «أوَلستَ لا تملك غيري؟» من باب التوبيخ فإنه يضمّه إليه قائلاً: يا حبيبي، أوَلستَ لا تملك غيري؟ يتعامل معه بلطف وكذا الحال يوم القيامة فقام رجل وقاله له: «لَقَدْ تَكَلَّمْتَ بِكَلِمَةٍ مَا وَافَقَكَ عَلَيْهَا أحَدٌ مُنْذُ أتَيْتَ بِهَا!» فقال أبو الدرداء: ماذا أصنع.. «يَا قَوْمُ، إنِّي قَائِلٌ مَا رَأيْتُ وَلْيَقُلْ كُلُّ قَوْمٍ مِنْكُمْ مَا رَأوْهُ» ثمّ تحدّث عن جهاد أمير المؤمنين(عليه السلام) وأتْبَعَه بقصّة عنه فقال: كنتُ مع عليّ ذات ليلة فإذا

به يحاول إلهاء أصحابه ليذهب خلسةً ولم أعرف إلى أين أراد الذهاب.. خمّنتُ أنه توجّه إلى منزله كان الوقت ليلاً، وكنّا نجلس الى بعضنا فسمعتُ فجأت صوتَ أنين فتقصّيت المكان.. «فَإذَا أنا بِصَوتٍ حَزينٍ وَنَغمَةٍ شَجِيّ». كان ضجيج أمير المؤمنين(عليه السلام) على درجة من الغرابة حتى لم يكن بالإمكان معرفة أنه صوتهُ «.. وَنَغمَةٍ شَجِيّ وَهُوَ يَقُول: إِلَهِي كَمْ مِنْ مُوبِقَةٍ حَلُمْتَ عَنْ مقابَلَتِها..» كم من معصيةٍ كبيرةً رأيتَ منّي فعاملتني بالرأفة! «وَكَمْ من جَرِيرَةٍ تَكَرَّمْتَ عَنْ كَشْفِهَا..» كم من جنايةٍ شاهدتَ منّي فلم تفضحني! «إِلَهِي إِنْ طَالَ فِي عِصْيَانِكَ عُمُرِي وَعَظُمَ فِي الصُّحُفِ (صُحُف أعمالي) ذَنْبِي فَمَا أَنَا مُؤَمِّلٌ غَيْرَ غُفْرَانِكَ» فليس أملي في أحدٍ غيرك قال: «فَشَغَلَنِيَ الصَّوْتُ واقْتَفَيْتُ الأَثَرَ فَإذَا هُوَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ(عليه السلام) بِعَيْنِهِ» يناجي ربّه في جُنح الليل فتعجّبت كثيراً من شدّة مناجاته «... فَرَكَعَ رَكَعَاتٍ.. ثُمَّ فَزِعَ إِلَى الدُّعَاءِ وَالْبُكَاءِ والْبَثِ وَالشَّكْوَى» ثمّ أورَد الكتاب ثانيةٍ ما ناجى به أمير المؤمنين علي(عليه السلام) ربَّه وهي مناجات

يتعذّر أســاســاً على المرء قرائتها! فراح يكرّر الآهَ تلو الآهَ..! «آهِ إنْ أَنَا قَرَأْتُ فِي الصُّـحُفِ سَـيِّئَةً أَنَا نَـاسِـــيهَـا» مـاذا لو أتيتُ يوم القيـامـة فرأيتُ في صُحُفي ذنباً نسيتُ أن أستغفر منه! ماذا لو نوديتُ «.. فَتَقُولُ خُذُوهُ» فلا يسـتطيع أحد مسـاعدتي! ثمّ ينظر إليَّ الملأ نظرةَ ترحّمِ فيقولون: إنّهم يـأخذون هذا الشـقيّ! «قال ثُمَّ انْغَمَرَ فِي الْبُكَاءِ فَلَمْ أَسْـمَعْ لَـهُ حِسَّاً وَلا حَرَكَةً فَقُلْتُ غَلَبَ عَلَيْهِ النَّوْمُ لِطُولِ السَّـهَرِ » والبكاء قال: فأتيتُه وقد إقترب الصـــبح لأُوقظه لصـــلاة الفجر «فَإِذَا هُوَ كَالْخَشَــبَةِ الْمُلْقَاةِ، فَحَرَّكْتُهُ فَلَمْ يَتَحَرَّكْ.. فَقُلْتُ: إنَّـا لِلّهِ وإنَّـا إِلَيْـهِ راجِعُونَ، مَـاتَ وَاللهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ(عليه الســـلام) قَالَ فَأَتَيْتُ مَنْزِلَـهُ مُبَادِراً أَنْعَاهُ» فاســـتفســـرَت فَاطِمَةُ(عليها الســـلام) عن الخبر فقلت لها: لقد فاضَـــت روح عليّ(عليه السلام) قالت: أين؟ قلت: كان يناجي ربّه فخِلتُ أن النومَ قد غلبَـه فحرّكتـه فإذا بـه قد فارق الحياة! قالت: هذا دأبُ عليّ(عليه الســـلام) «هِيَ وَاللهِ.. الغَشْـيَةُ الَّتِي تَأْخُذُهُ مِنْ خَشْـيَةِ الله» هذا دأب علي.. إذهبوا وساعدوه ليفيق.

لا تدعوا الله هكذا

عندما تُقبِلون على الله، فلا تدعوه هكذا أبدا... إلهي! أعطني حاجتي هذه ولا أريد الباقي بعد! حل مشكلة البيت فقط، فحتى لو لم تتوفّر السيارة، فلا بأس! وكأنَّ الله يقول: كم حاجة تريد أن أعطيك؟! أعطيك بيتا أم سيارة؟! إذ لا أستطيع أن أعطيك كلّها فيقول: «إذن أعطني بيتا على الأقل!» هناك ختمة خاصّة لزيارة عاشوراء كنت قد عزمت على أدائها لقضاء حاجة وقد علّمَ الطريقة عالم جليل ووصف كيفيفة قرائتها فقلت في نفسي: «الأفضل أن لا أزعج الله كثيرا بهذه الختمة وأطلب منه حاجتين فقط.» ثم قلت: «ولكن حاجتي الأخرى مهمّة أيضاً، فلأجعلها ثلاث حوائج» ثم قلت: «أخشى أن تكثر الحوائج!» كان أهل الأوّل يحكون قصّة لطيفة وهي أن رجلا سأل الله عشرة قطاع فأعطاه الله ثم سأل عشرة بيوت، فأعطاه الله ثم

سأل عشرة بساتين فأعطاه الله أو مثلا سأل عشرة درازن من الأولاد، فأعطاه الله فكلما سأل الله أعطاه فذات يوم توجّه إلى الله وقال: إلهي! كلّ من يسألك قليلا فاقلع عينيه وارمها أمام رجليه! وإذا تنقلع عينيه وتسقط أمام رجليه يعني لا تزعم أن قد سألتني كثيراً فلم أعطك شيئا كثيرا بعد ولم أنجز لك شيئا بعد! كلّما يعطينا الله لا ينقص من خزائنه شيء

حسن الظنّ بالله

هل تريدون أن نقرأ هذا المستهلّ ونكرّره؟! «رَأْسُ الْعِبَادَةِ حُسْنُ الظَّنِ بِاللَّه» يقول الإمام الرضا(عليه السلام): «أَحْسِنِ الظَّنَّ بِاللَّه» يعني يجب أن يقول الإنسان مع نفسه «لا لا لا! إلهي نعم الرّب! يعينني، يراقبني. لا! إنه لن يتركني» والله العظيم إن إبليس من المكر والخداع بمكان بحيث يمكن خدعك بمقتضى حالك ومشاعرك مثلا إذا رآني

عنـدي مهجـة ومشـــاعر معنويـة، يغيّر خطـابـه ويشـــجعني فورا مع أنّ اللعين، كـان يقول لي قبل دقيقتين: «أترك هذه السـخائف!» ولكنّـه إذا رآك صـاحبَ مهجة وحالـة معنوي، يغيّر طريقه ويخدعك بإسـلوب آخر ثمّ تسـتنطق إبليس فيقول: «كم قد تلوّثنا بالذنوب! أفهل سـيغفر لنا الله؟! لا إله إلا الله ثمّ يذهب هذا الإنسـان مع إبليسـه الذي يقنّطه من رحمة الله إلى جلسـة دعاء كميل! » فيقول: إلهي! إغفر لي ذنبا واحدا على الأقل!... إلهي! أعلم أنـه حتى أنت لا تستطيع أن تغفر ذنوبي!... ولكن تنازَل الآن! ثمّ يقول لـه إبليس: «إبـكِ، فمـا أحلى حـالـك ومهجتك! إبكِ على رسـلك». فيبكي ولكنّ بكـاءه سـيكون حطبا لناره في جهنّم! إذ كأنه يقول: إنّ الله لن يغفر لي... ولن يأخذ بيدي... فماذا عسـاي أن أفعل لكي ينظر إليّ الله نظرة واحد؟... يا صـاحب الزمـان(عج) الطف بي مرّة واحدة مع أنـه جـالس في حجر الإمام(عج) ويسكّنه الإمام! مع ذلك يقول: «مـاذا عسـى أن أفعل، لكي ينظر إليّ الإمـام(عج) ذرّة!» حبيبي! قد احتضنك الإمام! فكلّ هذه الكلمات من مكـائد إبليس! كم هو حسـن ظنكم بـالله الآن؟

فكّروا جيّدا نجري امتحانا الآن وليجب كلّ واحد منكم عن سؤالي مع نفسه كلكم تستطيعون أن تصلوا إلى درجة سماحة آية الله العظمى بهجت(ره) بسهولة ومن لم يصدّق، فقد أساء الظنّ بالله لماذا تريد أن لا تصل؟! تستطيع أن تصل لا بأس إن لم تصل، ولكن اعلم بأنك كنت قادرا على الوصول اقبل هذه الحقيقة هنا، لكي لا تحرقك نار الحسرة يوم القيامة فقل هناك: «إلهي! أنا لم أصِر مثل الشيخ بهجت(ره) ولكنّي كنت أعرف في الدنيا أيضا بأني قادر على أن أصير مثله، ولكنّي أخطأة» بهذه الطريقة تهدأ قليلا هناك، فاسمعها منّي الآن أنتم الآن، كم تحسنون الظنّ بالله؟ شيخنا لا يمكن ذلك! لستَ أنت من يجب أن يفعل ذلك، بل المفترض أن ينجز الله ذلك أفهل الشيخ بهجت(رح) وصل إلى هذه الدرجة وحده؟! فلو كنتم سائليه لقال: «كلّ ذلك من فضل الله» وبإمكان هذا الربّ أن يلطف بك أيضا يلطف بي؟! أرأيت كيف ساء ظنّك؟! أرأيتم كيف استغرب وقال: يلطف بي؟! هل رأيتموه؟ «حَسّنوا ظُنونَكُم بِالله».

مِمَّ تخاف؟

قال ـ عليه السلام ـ : «ما سلّطَ اللهُ على ابنِ آدَمَ إلاَ مَن خافَهُ ابنُ آدَمَ» لا يسلّط الله أحدا عليك إلا من خفتَه! مِمَّ تخاف أنت؟ سيسلطه الله عليك لأنه يبغض هذا الخوف فكأنه يقول: لماذا لا تهابني؟! مع أنه أنا الوحيد الذي لا أضرّك! وأنا الذي أعمل لصالحك! وأنا الذي أطمئنك! أنا الذي أحتضنك! ثمّ لا تخافني فمن تخافه إذن؟! عند ذلك يسلّط عليك من تخافه أرأيتم أساليب الله هذه؟ مثلاً إذا تعلّق أملك بأحد يكلك الله إليه مثلاً تقول: «كان لفلان مال وأراد أن يقرضني فتعلّق قلبي به» فيقول الله: «طيّب! إذهب وراءه فقد وكلتك إليه» ثمّ يرسل الملائكة من جانب آخر ويقول لهم: «أسلبوا أموال فلان فقد عقد قلوب الناس بنفسه!» فعندما تذهب إليه لتستقرضه يقول: «ليس لدي مال، فوالله قد أصابتني خسارة فادحة خرّبت كلّ شيء!» ثمّ ترجع إلى الله وتقول: «إلهي! لقد أغلقت جميع الأبواب!»

فيقول: إذهب وفتّش فلعلّك تجد بابا مفتوحا آخر! فإنك أهل لذلك! يا من تلجأ إلى كلّ مكان... إلى كلّ مكان! فاذهب على رسلك! ثمّ تحترق قلوب الملائكة عليك فيقولون لله: «إلهنا! انظر إلى هذا المسكين» فيقول الله: لا تحزنوا فسـوف تخطر بباله فكرة بعد دقيقتين أو سـوف يجد بابا مفتوحا فيترك دعاءه ويغادر! فاصبروا قليلا إذ لم تخطر بباله الفكرة بعد فحين مناجاتك يخطر ببالك أن: «فلأقل لفلان وأستقرضه!» فتقول: إلهي أنا ذاهب وأرجع إليك!» فتقوم وتذهب ويقول الله لك: «إذهب على رسلك» عندما واعدك صاحبك بمداينتك التفت عنه وقل: إلهي الأمور كلّها بيدك وليس بيد هؤلاء ثمّ أشكر صاحبك أيضاً ولكن أشكر الله في الأصل أحد جذور الخوف هو قطع العلاقة مع ربّ العالمين والآخر هو الحبّ هو التعلّق فإنك إن أحببت الدنيا تصبح خائفا فلا يزال الخوف موجودا ما دام حبّ الدنيا في قلبك أتريدون أن أقرأ عليكم رواية؟ يقول الإمام الصادق – عليه السلام -: «يَا هِشَامُ مَنْ أَحَبَّ الدُّنْيَا ذَهَبَ خَوْفُ الْآخِرَةِ مِنْ قَلْبِهِ» [بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ١ – الصفحة

١٥٦] فأيّ خوف يبقى إذن؟ خوف الدنيا أيّ شــيء أحببته، ســتخاف عليه فإذا وجدتك نفســك تخاف كثيرا، فانظر أي شــيء تحبّه بشـدّة؟ مثلا إن أحببت ماء وجهك، ستخاف على سمعتك لا تهتمّ بسمعتك فإنها بيد الله! لا تخف! ولكنّي أحبّ سمعتي كثيراً لا تخف على سـمعتك! فإنها بيد الله! إنه سـيحفظ ماء وجهك من أجل القضـــاء على الخوف ماذا نفعل؟ الخوف قبيح جدّا إنـه من أقبح نتـائج حـب الـدنيـا بأشكالها وأقسامها والتعلّق بزخارفها لا تتعلّق بهذه الأمور، تشـجّع وتزداد شـجاعتك التوكّل من جانب الالتحاق بالله من جانب الإعتقاد بالله من جانب

وقطع التعلّق بالدنيا وبهذه الرغبات من جانب آخر إن هذه الدنيا التي تحبّونها لا تسـتحق الحبّ أصـلا فلماذا تحبّونها؟ إنها خادمتكم! إنها مطيّتكم! إنها أمتكم!

فإن لم تأخذ منها حظّك تُعطَها قهرا! ويضـــعوها تحت قدميك فلســت بحاجة إلى محبّتها! لا شــيخنا! فليست القضية هكذا! يبدو أن أوضاعك جيدة جدّا وإلّا فلا بدّ من الركض وراء الدنيا لتحصـــل على

شـــــيء منها بعســـــر... لقد أخطأ من قال لك هذا، عزيزي! فعندما خلقك الله وخلق الدنيا همس في أذنها بكلمات وانا أقولها الآن خلف اللاقطة فقال: يا دنيا! كلّ من ركض وراءك فتدلّلي له واسـحبي نفســك ودعيه يركض وراءك ثمّ يركض ثمّ يركض لكي لا أرى شكله ببابي قال - عليه السلام - : شدّد خوفك من الله لكي لا تخاف شيئا آخر وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ خَوْفُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ عَنْ خَوْفِ النَّاس» [الكافي- الشـــيخ الكليني – ج 8 ص 169] فإذا أراد الناس أن يرعبوه يقول: روح طير عمّي! ســخيف! جاء يخوّفني! أنا مشغول بخوف آخر، بهذا جاء الفرّوخ يخوّفني! نعم! فإنك إن خفت الله، فســوف لا ترى أحدا عن الإمام علي – عليه السـلام -: «مَنْ خَافَ اللَّهَ سُـبْحَانَهُ آمَنَهُ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَـيْء» [غرر الحكم: 9014-9015] فإذا أراد أحد أن يرعبك، سيريك الله وهن هذا العامل المرُعب فيقول: «انظر إلى ضعفه، انظر إلى نقاط ضعفه...».

ماذا تفعل الصلاة؟ إنها تقطع طمعَك في الدنيا وتجعله في الله هل يوافق الإخوة على أن الصلاة تفعل هذا؟ أم عليَّ أن أوضّح كيف نصلّي كي تفعل الصلاة هذا؟ أوضّح.. إذن لا توافقونني على أنّ الصلاة تفعل هذا آية الله بهجت(ره) عنده الحل، وهو كيف نصلّي كيف تفعل الصلاة هذا؟ -شيخنا، إذا كنتَ تقصد الصلاة بحضور قلب؟ فلسنا من هذا الصنف من العرفاء كي تحدّثنا بهذه الأمور - كلا أبداً، فأنا أيضاً لست من هذا الصنف من العرفاء – وإنْ كنت تعني الصلاة بآدابها الكاملة ومستحبّاتها مع إضافة أصناف "التوابل!" فلا وقت لدينا لهذا ولا نستطيع أن نبذل لله كل هذه التضحية! كيف يجب أن تكون الصلاة لنجني منها أفضل الثمار؟ أفضل الثمار.. بل كل ما تطلبه من الصلاة من ثمار؟ أن تصلّيها أوّل الوقت سُئل الشيخ بهجت(رح): أول الوقت يعني مع حضور القلب؟ أجاب: أبداً، بل هذه الصلاة العادية نفسها! لكن ما حُسْن كونِها في أوّل

الوقت؟ وهذا ما قصدتُه بالتوضيح لماذا الصلاة في أوّل وقتها تجعل الإنســـان آدَميّاً إلى هذا الحد؟ يا رفاق، أتدرون متى أوّل الوقت؟ أوّل الوقت هو ما يلي: يتأمّلُك اللهُ، فيقول: "يا ملائكتي، دَعُوا عبدي يمارس حياته بضـــع ســـاعات" فتمارس حياتك بامتحاناتها وانشـــغالاتها المختلفة وفجأة تنشـــغل بأمر ما، بســـيط أو معقّد؛ اســـتراحة، أو درس، أو تجارة في ســـاعة يَعلمها الله فيقول: آآآ... فاليرفع أحدُهم الآذان.. الآن، هذه اللحظة لأرى هل سيترك عبدي ما بيده ويأتي أم لا؟ - إلهي، لماذا الآن؟ - لأنه في وضـــعٍ يتحتّم عليه أن يترك ويأتي.. ارفَع الآذان الآن! عجباً، شيخنا، وهل الأذان هو حسب الطلب؟ ليس له وقتٌ معيّن؟ - أجل، ليس له وقت معيّن، اقبَلْها منّي! ينظر.. يتأمّل، يرى عبده يعيش حياته، فيقول: الآن هو جائع، ليكون اليوم وهو جائع، أذِّن الآن.. (فأنت جائع) أذِّن أذِّن الآن لأرى أيَترُك ويصـــلّي؟ فإن ترَك انتهى الأمر، فازَ بالكثير وقتُ الأذان ليســـت ثابتاً، لينتبه الإخوة وقت الأذان ليس ثــاااابتــاً الله الـذي يحـدّد متى يكون أذان كـلّ شـــخص ثمّ إنه يعلم متى يُرفع أذانك بالدقة ليجرّدك

من حالك السيّئة ويمنحك حالاً أفضل الله مربّيك في الأخلاق، أستاذك في العرفان – عجباً، هل الله حقّاً هكذا؟! – نعم، هكذا، فلو كنتَ عند الشيخ بهجت(ره) ما كان سيصنع معك؟ كان يعلم كلّ شيء، كان يقول فجأةً، مثلاً: يا فلان.. ذات مرّة كانت آية الله حَقشِناس(ره) خارجاً من درسه وقد وقف مُريدوه يودّعونه، وكان ذلك بعد الصلاة فنادى أحدَهم فجأةً، هكذا وقال له: يا سيد فلان، مهما شتمَتكَ زوجتُك فلا تقل شيئاً أبداً! قال: شيخنا.. لكن لا مشكلة لديّ مع أهلي! وذهب.. فعاد إلى البيت، وإذا بمصيبة قد حلّت، واجتمع كلّ أقاربها وراحت زوجته تُمطره بوابل من الشتائم فهَمَّ يردّ عليها، وكاد يفقد صوابه، و.. و.. لولا أن تذكّر كلام الشيخ فلم يقل شيئاً.. وصمتُه هذا هو الذي أعاد حياتَه إلى سابقها ما أجمل أن يطّلع (الشيخ) على حياة أحدهم فينبّهه في الوقت المناسب! الشيخ حقشناس؟! فما بالك بربّ الشيخ حقشناس؟! ألا ترضى أن يتعهّد (الله) تربيتك؟ يقول: على رسلك، مارِس عيشَك، وسأُصلِحُك بالصلاة فقط، بوقت الصلاة أُصلِحُك بوقت الصلاة لا

غير.. أنت مارس حياتك الآن أذِّن يا مُؤذِّن، الآن ، الآن، ولنَرَ.. الله يعلَم في أيِّ لحظة وفي أيِّ ظرف من حياة كل امرئٍ يُعلن الأذان التفِتْ إلَيَّ وقل: لو كان كذلك لاختلَف أذان كلّ شخص عن أذان صاحبه! – نعم، أذان كلّ شخص يختلف عن أذان صاحبه! – عجيب، لكن الكُلّ يسمع الأذان نفسه! - وما دخلُك أنت بهذا؟ في الظاهر أنت تسمع أذاناً واحداً للجميع! هذا الأذان لك وحدك عليك أنت، الآن، في هذا الظرف، أن تترُك ما بيدك وتصلّي أنتَ لسبب، هذا لسبب، ذاك لسبب، وذاك لسبب آخر يكفي فقط أن تقول, في تلك اللحظة: سمعاً وطاعة وسيُصلح "هو" باقي الأمور بنفسه.. فالله مُعلِّم.. جاء أحدهم إلى الشيخ بهجت(ره) وقال له قولُ العلّامة القاضي(ره): " كُلّ مَن صلّاها أوّل وقتها نال مقاماً" هل قصَدَ الصلاة بحضور القلب أم ماذا؟ فأجاب الشيخ بهجت(ره): كلا، لو كان هذا قصدُه لسألوه: وكيف نصلّي هذه الصلاة؟ ما الوسلية إلى الصلاة الكاملة؟ لو قصَدَ هذا فأين الفائدة؟ فلا تكون الفائد إلا إذا قصد مطلق الصلاة فإذا التزم أحَدٌ بالصلاة، أيِّ صلاة، في أوّل وقتها

فســيبلغ الصــلاة الراقية يبلغها بنفســه، تكويناً.. سيصعد شيئاً شيئاً يوماً بعد آخر.

حلاوة محبّة الله

كيف تصدق بأنّ الله رحيم؟ فلنطلب.. فلنذُق.. فلنبتدأ علاقتنـا مع الله لكي تتفـاعلوا مع رحمـة الله وتســتشــعروا مذاقَها وتذوقوا لذَّتها أتدرون ماذا ينبغي أن تفعلوا؟ لا بـدّ أن تروا عظمـة الله تعـالى يجب أن تشـاهدوا عزّة الله، أي كونه عزيزاً ينبغي أن تدركوا هيبته.. لا تحقّروا الله! فالله إذا صَـغُر لم تعُد محبّتُه ذات جدوى وآن زاولها! حتى الأطفال لا يذوبون في والديهم حبّاً إلا إذا عظّموهما الأطفال يرون والديهم كبيرين عظيمين بكل معنى الكلمة ثم يســتمتعون بمحبة هذه الأم أو هذا الأب الذي "في يده حلّ كل مشــكلة!" يقول الشــيخ بهجت(ره): الطفل لا يقلق أبداً بشــأن طعام غَدِه فلو أمكنك أن تسـأله – إذا اسـتطاع جوابك – أن: "لماذا لا تفكّر بطعام غدك؟" لقال: "لأن أمي تطعمني، أبي يوفّر

الطعام؛" – ومن أين يأتي أبوك بالطعام؟ - عجباً! ماذا تقول؟! "إنه على كلّ شـــيء قدير!" - يا هذا، لكن أباك ليس هكذا! – كلّا.. إنّه أبي.. لذا تراه يتوجّه، بكل بســاطة، إلى أمّه قائلاً: أنا جائع! فإن قالت: "ماعندي طعام" لم يفهم معنى "ماعندي" لذا يكرّرها ثانية: ماما، أنا جائع.. فأنتِ قوّتي العظمى!" لماذا لا نرى رحمة الله، أو نذوقها؟ لأنّ "ربّنا" ليس عظيماً في أنظارنا من أين لنا أن نؤمن بعظمة الله؟ بأن نرمي بطرفنا إلى قمّة "دماوند" مثلاً فنقول: "كم هي عظيمة! آه وكم أنت أعظم يا إلهي إذ شـــيّدتَ مثل هذه القمم العالية!" ولنتأمّل في نجوم السماء - وفي جو صافٍ خال من الغبار – كم هي عظيمة! لا في جو المدينة الملوّث، بل في موضع تملأ النجوم السماء «وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّــمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» [آل عمران, الآية: ١١٩] فلنشــاهد عظمة الله في الطبيعة فالإله الذي لا هيبة له لاطعم لمحبّته ورحمته النســاء يقلن أحياناً إذا أردن مصارحة بعضهن البعض في السر: "الزوج الذي لا أُبّهة له (لا الابّهة التي تأتي بالظلم والجور) لا تعود في محبّته جدوى أيضــاً" والأب

الذي لا هيبة له في البيت لا يكون من حبّه لبناته وأولاده طائل وسيشكو أولاده الحرمان العاطفي – لكنه ذليل، فمهما منحَنا من الحب فسيكون باهتاً! ثم أنك إذا تصفّحت آيات القرآن يا عزيزي فسترى أنّ معظمها غير عاطفي فهي تحاول، في الغالب، إقناعك بكون هذه الإله عزيزاً «لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» كان بإمكان الله هنا أن يتحدّث بشاعرية وعاطفية أكبر كأن يقول: "لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لنبتَت في الزنابق ولجرَت منه ينابيع الماء العذب!" لكنّه تعالى وضع هذه الشاعرية جانباً وتحدّث بجدّية وصلابة كبيرة: «لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ» لماذا يفعل الله هذا؟ لأنّ عليك، أنت، أن تكون عاقلاً فلتقرأ القرآن، وليعمَل على تصديع جبلِ قلبِك، وسيتدفّق منه ينبوع الماء أوَيمكن أن يتصدّع الجبل دون أن يجري نبع الماء؟! فإنه إذا هدم هذا السد، تحوّل القلب إلى نهر، بل بحر عليك، في هذه العلاقة، أن تدرك رحمة الله كي تهبَ هذه الرحمة لروحك الحياة، وتجدّدها دع ربّك - وهو الكبير –

يعاملك بكبرياء دعه يأمرك وينهاك: "هذا حرام" .. قتلتَني يا إلهي بعظمتك! "أنا أُدخِل إلى النار.. ولدَيّ عذاب أليم!" فكلّما زاد اعتدادُ الله بنفسه لمستَ أنت رحمتَه أكثر صــدّقني.. ادخل هذا الوادي.. إنها علاقة إنها بداية علاقة عذبة...!

إن أحداً ما قادم

عِش مع هذا الربّ، آمن به، إقبَل به.. صــدّق به.. اتّكل عليه، فهذا هو طبعه، إنه يأخذ عبدَه حتى مشارف اليأس. عِش مع هذا الإله.. عش معه.

انظر إلى تفنُّن الله وشاهد عجائب صُنعه. إنه تعالى يصنع الأعاجيب وهو يجريها علينا نحن أيضاً، فلا تخافوا، وتأهّبوا في الوقت ذاته. من وسط أيّ لُجَج، وأي ظُلُمات، وأي ظُلامات أخرج الله تعالى دين الإسلام الأصيل؟! تعال إذن وعِشْ مع ربٍّ كهذا. عِشْ مع ربِّ تابوتِ موسى(ع) في نهر النيل! مع ربّ يوسف(ع) المُلقى في غَيابَة الجُبّ! مع ربّ

إبراهيم(ع) المُرمَى في قلب النار! مع ربّ إسماعيل(ع) الوحيد في وادٍ غير ذي زرع! مع ربّ هابيل المقتول.. وقابيل القاتل!

لطالما عبَر الإسلام من هذه المضائق واليأس في أعلى مستوياته، وقد ذكرَت الأحاديث ذلك؛ وهو أن الفرج يأتي بعد اشتداد اليأس. قال الإمام الرضا(ع): «فَعَلَيكُمْ بِالصَّبرِ فَإِنَّهُ إِنَّمَا يَجِيءُ الفَرَجُ عَلَى اليَأس» (كمال الدين/645/2)، بل إن فرج صاحب الزمان (عج) نفسه يأتي هكذا.

يبدو أيها الإخوة أن أموركم الآن تسير على أفضل ما يرام؟ إني أرى وجوهكم تنبض بالحياة، ما شاء الله! إذن الفرج لا يجيء بهذه السهولة! فمتى ما ارتفع عويلُكم وطرقتم من الاضطرار كل باب، وخاطبتموه: مولايَ، لقد نفَدَ كل شيء فمتى تظهر إذن؟! يبدو أنك لا تودّ الظهور أصلاً..!! عند ذاك سيظهر! أما إذا قلنا بطراً: «الأحوال على ما يرام، فإذا ظَهَر(عج) تحسّنَت أكثر» فسوف لا يظهر! والله إنني أقول هذا استناداً إلى الأحاديث.

أعزائي، لو أنكم رفعتم الآن رؤوســـكم قليلاً، كأَن ترتقوا مبنىً من خمســة أو سـتة أو عشـرة طوابق لتُشــــرفوا على منطقة الشــــرق الأوســـط بأكملها لوجدتم أننا نعيش سـاعات الاضـطرار هذه. انظروا إلى الفلوجــة، إلى اللاذقيــة، إلى طرابلس، إلى الضـاحية، إلى البحرين، فإنكم إن نظرتم إليها الآن، علا صراخُكم في الصباح، وناديتم: يا ابن الحسن، متى الفرج إذن؟!! الفرج لا يجيء بهذه الســـهولة! فمتى ما ارتفع عويلُكم وطرقتم من الاضــــطرار كل باب، وخاطبتموه: مولايَ، لقد نفَدَ كل شـــيء فمتى تظهر إذن؟! يبدو أنك لا تودّ الظهور أصـلاً..!! عند ذاك سيظهر!

الوضع صعب. إنكم إن آمنتم أنـه صعب فلن يصعب أكثر، أمـا إذا لم تؤمنوا بـذلـك ازدادت صــــعوبتـه. الوضع شديد.. لكن لا تقنطوا، فأيُّ عجائب تولَد من مخاض هذه الشدائد! سوريا سُوِّيَت بالأرض تقريباً، وإذا بنمط من الجنود أخـذوا يتهيّأون لصــــاحـب الزمـان(عج) وأيّ جنود!! إن المرء ليقف حـائراً، أيتحسّر على كل هذا الظلم والجور، أم على كل هذا

التفتُّح؟! لقد مرّت على إسلامنا هذا أحلك الظروف فكانت مستهلاً لأضخم التحوّلات، فما الذي يُنتظَر حصوله اليوم؟! 20 مليون زائر يتدفّقون مشاةً على كربلاء الحسين(ع) أيام الأربعين!! لم نشهد قدرةً كهذه من قبل! لابد أن أمراً ما سيحصل!

فالله، في سالف الأيام، قد صنع كل شيء من «لا شيء»، فيا ترى ما الذي ينوي صنعه في هذا الظرف وفيه «كل شيء»؟! انظروا إلى المشهد من هذه الزاوية أيضاً، لابد أنّ حدثاً سيحدث!! فقدرة كهذه لا تُجمع عبثاً، فلو رصدتم ميزانية جمهوريتكم الإسلامية لثلاثين عاماً لما استطعتم خلق أجواء كهذه في المنطقة. القضية ليست في أيدينا أساساً.. لسنا نحن. لا أودّ إرعابكم وحسب. التحوّلات أخذت تتسارع كثيراً، وقدرة الإسلام تعاظمت جداً، هذا ليس فعلَ أحد.. الظروف ليست بيد أحد، إنها خارجة عن سيطرتنا. الأجواء غير طبيعية. إنكم تنتقلون تدريجياً إلى مشهد جديد. إن أحداً ما قادم!! صدّقوني.. هل أنتم مستعدّون؟؟ لابد أنّ حدثاً سيحدث!!

◆ أزيلوا سوء الفهم هذا

يسـيء الكثيرون فهم التديّن. يظنّون أن المتديّنين أقل تمتُّعاً من باقي الناس. أزيلوا سوء الفهم هذا.. أزيلوا سوء الفهم هذا. أغلب أفراد مجتمعنا يحملون هذا التفسير الخاطئ، وإن المؤمن المكتئب العديم المعنويات، الذي لا يُلمس فيه النشاط والحيوية الناجمين من القرب من الله من شأنه أن يفاقم سوء الفهم هذا. يحاول الآخرون بالرقص والدبكة الإيحاء بأنهم ينعمون بالحيوية، فهل شوهِدَت أضعاف هذه الحيوية في عينيك؟ مالم تُشاهَد، فإنّ سوء الفهم هذا قائم! لابد أن يَرى (الآخر) ذلك في عينيك بمجرّد أن يدنو منك، وأن يسألك: ما الذي يعطونك في الصلاة لتستشعر كل هذه البهجة؟!

إن المتديّنين يسيئون إلى سمعة الدين بضحالة تديّنهم. كم جنيت من اللذة من شهر رمضان

المبارك؟!.. قُل.. إن المتديّنين يسيئون إلى سمعة الدين بضحالة تدينهم، فلا يمكن حذف هؤلاء المؤمنين الضعفاء؟! ولا يمكن إخفاؤهم؟! ولا يمكن، مع وجود مثل هؤلاء المؤمنين من أمثالي، استمالة الآخرين إلى الدين! يجب أن تلتذّ بالعبادة!

لا يُدرى مَن ذا الذي تعبُد فلا تستمتع بعبادته! إنك تسيء إلى الدين أمام الآخرين ولا تفوز منه بشيء أيضاً! أيُّ إلٰهٍ هذا الذي تعبد فلا تحسّه! يا هذا، إن الفتى لتتورّد وجنتاه إذا شاهد صديقة من الجنس الآخر! أَإِلى هذا الحد إلهُك أضعف تأثيراً من صداقةٍ مع الجنس الآخر؟! كفاك عبادةً كهذه! لقد ضِقنا بك ذرعاً! عليك أن تستمتع بالعبادة.. أن تَسْكَر بها!

ـ «لكنّنا لا نَسكَر يا شيخ!»

ـ «إذهب واطرق باب ربّك وانظر ما يمكنك فعله، أنا لستُ أدري ما الحل، هذه مشكلتك يا عزيزي، احضر جلسةَ علاج ليحلّ لك عقدتَك هذه، ما أدراني أنا!»

يقول الإمام الرضا(ع): «مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ تَعَالَى وَلَمْ يَشْتَقْ إِلَى لِقَائِهِ فَقَدِ اسْتَهْزَأَ بِنَفْسِهِ». استمتِعْ بشهر

رمضان المبارك. إن لم تستمتع به، فهذه خسارة! إن لم تستأنس بشهر رمضان لم تدرك ما فيه! يسيء الكثيرون فَهم الدين. هم لا يرونه مُمتعاً. لابد أن يشاهدوا حلاوة العبادة في عينيك، فيقولوا: «عفواً، إلى أين أنت تذهب؟!».

والله إن 99.99% من المذنبين إنما يذنبون طلباً للّذة، لا استهانة بالله، فهم ليسوا أعداء الله. فلأي شيء يقترف المذنب الخطيئة؟ طلباً للذّتها. طيّب، فلتلتذّ أنت (بدينك) أكثر، ولتخبره بما تحس! أهو معتوه فلا يُقبِل على الدين؟! لماذا لا يُقبِل؟ أما ترى حين تُحيي مآتم عاشوراء بكل حماس كيف ينجذب شارب الخمر إليها أيضاً؟! يقول: انظر كيف يستمتع هذا بالعزاء! لابد أن في الأمر سرّاً، فلأذهب أنا أيضاً. فما هي فلسفة ارتكاب السيئات؟ أليست اللذة؟! وما هي حكمة العزوف عن الدين؟ إنها اللذة. فمَن الأحرى باجتذاب طالب اللذة إذن، أهي أمريكا أم أنت؟ إذن يجب أن تستمتع بالدين.. لابد أن تُشحَن بالحيوية.. يتعيّن أن تكون بمنتهى

النشاط في شهر رمضان، وإلا فقد أسأتَ إلى سمعة الدين.

- «يا شيخ، كيف أصنع لأبلغ هذه المتعة؟»

-«ما أدراني.. إذهب واطرق باب ربّك لتعالج مشكلتك!»

التديّن الهزيل يسيء لسمعة الدين ويؤدي إلى سوء الفهم. أزيلوا سوء الفهم هذا. يسيء الكثيرون فهم التديّن.. يظنّون أن المتديّنين أقل تمتُّعاً من باقي الناس. أزيلوا سوء الفهم هذا.. لابد أن يشاهدوا حلاوة العبادة في عينيك فيقولوا: عفواً، إلى أين أنت تذهب؟! لِمَ تلتذّ كل هذه اللذة؟ هل لنا أن نلتذّ نحن أيضاً؟

سنتحاور أكثر حول هذا الموضوع في سلسلة مباحث «سُبُل نيل الحال المعنوية البهيجة وحيوية العيش.»

لو لم نرَ الظهور قريباً

لو كان لدينا جميعاً أمَل في أن الإمام(عج) سيظهر الأسبوع القادم أتدرون أنه فعلاً سيظهر الأسبوع القادم؟!

- لكنك إنْ أمَّلتَ الناس بظهور الإمام(ع) الأسبوع القادم، فلم يظهر أفلا يترك الناس الدين؟

حسنٌ، هل الظهور قريب حقّاً؟ أينبغي علينا نحن التفكير بأن الظهور قريب؟ فلأحكي لكم قصة، ثم أجيب!

نبيّ الله نوح (على نبينا وآله وعليه السلام) استمرت نبوّته 950 سنة. جاء الوعد بأن الله سينجيكم يوماً ما، حتى قوم نوح كانوا ينتظرون الفرج، كانوا يتضرّعون إلى الله. أجاب الله: قُل لقومك: سيفرَّج عنكم بعد سبع سنين.. فاستعدّوا.

- أحقّاً ما تقول؟! (فرحوا أيّما فرح...) بعد سبع سنوات سيُباد الكفار، وسننتصر.. في النهاية سننجوا..

طيّب، انتهتْ هذه السنوات السبع أيضاً.. أمضيناها باشــــتياق على أية حال.. والفرَج؟!... إلهي! ثمّةَ صَمتٌ مُطْبِقٌ في السماء!... أين الفرَج؟!!

قال اللّٰه: يا نوح، تأخّرَ الفرَجُ سبعةً أخرى!

رجع نوح لأصــحابه وقال: غيّرَ اللّٰهُ رأيَه، حصــلَ بَداء، 7 سنوات أخرى!

نظر القومِ الواحد إلى الآخر باســتغراب! ســبعُ ســنوات أخرى!.. صــبرتم 950 ســنة، فاصــبروا سبعاً.. أو 14 سنة أخرى.

في نهاية الســبعة الثانية.. وإيمان البعض يكاد يتزلزل (نوح إلهي، الأمر هذه المرة جادّ، لا ينبغي أبداً أن أُخزَى، أرجوك! في نهاية السنوات السبع: يا نوح، سبع سنوات أخرى!

ـ لكن كيف سأخبر القوم؟!

ـ كما أخبرتُك.. قل: سبعٌ أخرى!

أتاهم وقال: يا قوم، سبعٌ أخرى..

فخرج نفرٌ من الدين، قالوا: إنها خدعة.

(نوح ألهي، كم كان عددنا أصلاً ليخرج بعضنا من الدين الآن؟! أَهذا تصرُّف؟! حسنٌ، كما تشاء! لكن، على أية حال، ما زال أمامنا السبعة الثالثة..

في نهاية السبعة الثالثة: يا نوح، سبع سنوات أخرى!!!

انصرف النصف الآخر!..

السبعة الرابعة..

- إلهي، لم أعد أعرف كيف أناجيك، ماذا عليّ أن أقول!

السبعة الخامسة!.. سبعة أخرى!!!

لم يبقَ أحد! الكل قالوا: إنك تهزأ بنا! هلّا كفَفتَ عن الوعود، لقد كنّا أتباعَك هكذا!

السبعة السادسة..

- إلهي، لم يبق أحد!

- سبعة أخرى!

أقبل نوح على من تبقّى من الأصحاب، ولا أدري كم كانوا، فأخبرهم. الذين تبقّوا كانوا قد اجتازوا

عمليات الغربلة. قالوا: فليكن. بعدَها لم يخرج أحد.. فجاء الفرج!

ها أنا حكيتُ القصـــة.. ماذا كان الســـؤال؟ إن أمَّلتَ الناس فلم يظهر الإمام(عج) خرجوا من الدين

- فليخرجوا! إننـا لم نَعِد، رفعنـا الأمـل فقط، فلم يتحقق، بـل لو وَعَدْنـا وعـداً من قِبَـل الله فلم يصـــدق ما كان يجب أن يتزعزع إيمانـهم. هذا يدعى: البَداء. البَداء هو قضـــية في أصـــول العقـائـد قلّمـا نتحـدث عنهـا. عن الإمـام الصـــادق(ع): «لَوْ عَلِمَ النَّـاسُ مَـا فِي الْقَوْلِ بِـالْبَـدَاءِ مِنَ الأَجْرِ مَـا فَتَرُوا عَنِ الكَلَامِ فِيـه» وسيغيّر اللهُ رأيَه.. لامتحان عبيده!

لمـاذا يقولون لنـا هذا؟ لأيّ شـــيء يحدّثوننـا بهذا الكلام؟ كـأنّهم(ع) مهتمّون بحـالنـا، أليس كـذلـك؟ مهتمّون بأحاسيسنا.. بإيماننا.. أتدرون بماذا كانت قيمة شهداء كربلاء؟ أتدرون ماذا صنع الحسين(ع) معهم ليلة العاشـــر؟ أخبرَهم: اقطعوا الأمل في أنّ بإمكانكم إنقاذي! أنا أقطع أملَكم في الحياة، كلّ مَن يبقى هنا مَيّت، أي سيستشهد! أنا أيضاً سأستشهد..

لم يذَرْ في قلوبهم قطرةً من رجاء الفرج.. لم يَدَعْ ذرّةَ أملٍ في نصـــرة الله، بمعناها الظاهري، فلم يهتزّوا قيد شعرة!

اليأس يبرّد المرء جدّاً.. أولئك الذين ظَلّوا على حماســم، مرحى لهم. فليهمس أحدُهم بأُذُن أحد الثوريين بكل ثقة أن: "يا هذا، هذه الثورة لن تستمر إلى الظهور أبداً وكلكم ستبيدُون!" ثم لا يفقِد هذا اندفاعَه... صعبٌ جداً.. بل نحن المتيقّنين بكلام الإمام الخميني(ره) بأن هذه الثورة ستتصل بالظهور، فهذه من كلمات سماحته القطعيّة، نحن المتيقّنين لم نصل هذا الحد من الحماس، فماذا سيحلّ بنا لو برَّدَنا أحدُهم؟! كأنّهم(ع) مهتمّون بحالنا، أليس كذلك؟ مهتمّون بأحاسيسنا.. بإيماننا..

عن سَدِيرٍ الصَّيْرَفِيِّ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَ.. عَلَى مَوْلانَا الصَّادِقِ(ع)... قال:

...وَأَمَّا إِبْطَاءُ نُوحٍ(ع) فَإِنَّهُ لَمَّا اسْتَنْزَلَ الْعُقُوبَةَ مِنَ السَّمَاءِ بَعَثَ اللهُ إِلَيْهِ جَبْرَئِيلَ(ع) مَعَهُ سَبْعُ نَوَيَاتٍ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ... بَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ اسْتُنْجِزَ مِنَ اللهِ

الْعِدَةُ فَأَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَغْرِسَ مِنْ نَوَى تِلْكَ الْأَشْجَارِ وَيُعَاوِدَ الصَّبْرَ وَالِاجْتِهَادَ وَيُؤَكِّدَ الْحُجَّةَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخْبَرَ بِذَلِك الطَّوَائِفَ الَّتِي آمَنَتْ بِهِ فَارْتَدَّ مِنْهُمْ ثَلَاثُمِائَةِ رَجُلٍ وَقَالُوا: لَوْ كَانَ مَا يَدَّعِيهِ نُوحٌ حَقّاً لَمَا وَقَعَ فِي عِدَتِهِ خُلْفٌ... ثُمَّ إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ يَأْمُرُهُ عِنْدَ إِدْرَاكِهَا كُلَّ مَرَّةٍ أَنْ يَغْرِسَ تَارَةً بَعْدَ أُخْرَى إِلَى أَنْ غَرَسَهَا سَبْعَ مَرَّاتٍ وَمَا زَالَتْ تِلْكَ الطَّوَائِفُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ تَرْتَدُّ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ بَعْدَ طَائِفَةٍ... الخبر.

الغيبة (للطوسي): كتاب الغيبة للحجة، ص 167-171

◆ إنّي أعشَقُه

لماذا نحن عاجزون عن تربية أطفالنا وشبابنا، بينما نرى جبهات القتال وفترة الدفاع المقدس - حيث طُرحَت قضية «الشهادة»، وهي النوع

الأســـمى للحياة ـ قد رَبَّتْ هذا العدد الغفير من الناس؟! ذلك لأننا حَوّلنا القضية إلى مسخرة! أهذه هي طريقــة مُقــاربــة الــدين؟! ألا ترى كيف أن المراهق ذو حماس إنساني رفيع؟!

يقول علماء النفس: «في حوالي سنّ الرابعَ عشرة يخطر الســـؤال التالي في ذهن أبناء البشـــر كافة: لمـاذا قـد خُلِقـتُ؟» أقول: لا تقمعوا الطفـل وتَكُمّوا فمَـه! افســـحوا المجال لهذا التســـاؤل. ليس من الضروري أن تفرضوا عليه أمراً، بل ولا أن تعلّموه شــيئاً. الله قال لنبيه(صـــلّى الله عليه وآله): «إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّر» [الغاشـــية, الآية: ٢١]، عليك فقط أن تُذَكّر.. أنقرهُ نقرة بسـيطة وسـينبثق تلقائيّاً. وحين يخطر في بـال الفتى أعمق الأســئلـة الفلســـفيـة والعرفانية وهو في الرابعَ عشـرة فهذا يعني أن الله قد خلقه عاطفيّاً. الســؤال: لماذا ترى المراهق عند أول وأعمق ســـؤال فلســـفي في حياته ولدى أول تجربـة دينيـة ـ تراه قد خُلِق عـاطفيّـاً؟ لأنـه لا بـد للأحاسيس والهيجان الثوري أن يصاحب الخطوات الأولى نحو الـدين! لمـاذا تعلّمون الـدين بطريقـة لا

تُوقِد أيّ شُعلة في كيان المراهق؟!! لماذا؟!! أيكون الله قد جعل هذه الإحاسيس فائضة؟! أو وضَعَها دون وَعي؟!! بل أنت الذي لا تفقَه كيف يجب أن تتعامل معها! إنك تلقّن المراهق كلاماً يصلح لسن الأربعين، أو للحظات الاحتضار لتخلق منه متديّناً! اضرم فيه النار!.. إنه جبل بركاني! لقد خلقه الله على أحسن وجه.

ـ أين ينبغي صرف أحاسيس المراهق؟

ـ «عفواً، هذه الأحاسيس فائضة، لا تأخذها في نظر الاعتبار! خُذهُ إلى صف هادئ، وأخضِعْهُ لبرنامج في منتهى النظام. علّمه الدين هكذا بشكل هادئ!»

لماذا خلق الله المراهقَ عاطفيّاً؟ لأن الدين يَشرَع بالأحاسيس. عذراً، هذا الدين نفسه الذي يبدأ بأعمق سؤال فلسفي وهو: «لماذا قد خُلِقتُ؟» السائل يريد أن يفهم حياته. وما هو الجواب على سؤال: «لماذا قد خُلِقتُ؟» هل تعلمون أنه في الأغلب يُجاب عليه بشكل خاطئ؟! ولا يقتنع أكثر الشباب بالجواب، فيتساءل مجدّداً بعد عشر

ســـنوات: حقّاً، لماذا قد خُلقتُ؟ ما المشـــكلة لو لم أُخلَق؟

إذا ســـــألَك (المراهق): لمـاذا خُلِقتُ؟ ففسّــــر لـه «الخَلق» بــ«الحياة»، قل له: أتعلم ما الحياة؟ فإذا أوضَـــحتَ له ما الحياة فســـيقول: «لا حاجة لأن تخبرني لماذا خُلِقت! كم هو جميل أنّني قد خُلِقت! أي لذة أعيشـــها لكوني قد خُلِقت!» إنه ســيتغازل.. مع الحياة.. نعم مع الحياة! وسيقول: «حقّاً، مَن ذا الذي خلقني؟ لا بد أنّ أحداً ما قد خلقني.. ينبغي أن أعبدَه.. إنّي أعشـــقه! «رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذا بَاطِلا.» [آل عمران, الآية: ١٩١]

فاطمة الزهراء(عليها السلام)، وهي تعبد ربّها عند السَـــحَر، تتأمّل في الســؤال ذاته الذي يقول علماء النفس كـافـة أنـه يتبـادر للجميع في ســـنّ الرابعَ عشـرة، فتجيب عليه. من هنا تبعث(عليها السـلام) هذا العشق والاتّقاد والهيجان! تعلمون أن هذه الآية الشـــريفة هي لســـان حال فاطمة الزهراء(عليها الســـلام). يقـال إن شـــأن نزولهـا هو منـاجـاة فـاطمـة(عليهـا الســـلام) في جوف الليـل: «الَّذينَ

يَذْكُرُونَ اللّهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ»[آل عمران الآية ١٩١] حينما خرجَتْ إلى فناء الدار. أخرج للحظات إلى فناء الدار وانظر إلى النجوم، وتفكّر في الحياة! «رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذا بَاطِلا.»[آل عمران الآية ١٩١] هل يا ترى خلقتَها باطلاً؟ أوَيُمكن ذلك؟! هل خلقتَني عبثاً؟! هل خلقتَني لأمرٍ تافه؟!

إذا سألَك (المراهق): لماذا خُلِقتُ؟ ففسّر له «الخَلق» بـ«الحياة»، قل له: أتعلم ما الحياة؟ فإذا أوضَحتَ له ما الحياة فسيقول: «لا حاجة لأن تخبرني لماذا خُلِقت! كم هو جميل أنّني قد خُلِقت! أي لذة أعيشها لكوني قد خُلِقت!» إنه سيتغازل.. مع الحياة.. نعم مع الحياة! وسيقول: «حقّاً، مَن ذا الذي خلقني؟ لا بد أنّ أحداً ما قد خلقني.. ينبغي أن أعبدَه.. إنّي أعشقه!

الحديث الذي سأتلوه عليكم يندر نظيره. ماذا تقول الزهراء سلام الله عليها؟ «مَن أصعَدَ إلى اللهِ خالِصَ عبادتِهِ أهبَطَ اللهُ إليهِ أفضلَ مصلحَتِه»[تنبيه الخواطر: ٢ / ١٠٨] إنها أم.. والأم شفوقة، لقد لخّصت لكل فرد منّا كل ما ينفعه طيلة عمره. اذهبوا وفتّشوا وإن عثرتم على أجزَل من هذا القول للرُّقِيّ بالعيش فاتوني به، أقصد من كلمات أهل البيت(عليهم السلام) ذاتها. هذه هي «الأم».

تقول: مَن بعث إلى الله عبادة خالصة، ماذا سيصنع الله معه؟ سيحدّد له أفضل المصالح. فالشخص منّا إذا صدم سيارته قال: مصلحة! وإن تزوج أو أثرى، قال: مصلحة، لكن سؤالي هو: هل هذه أفضل المصالح؟ وهذا سؤال مهم للغاية. يقول: كان هذا مقدَّراً لي.. بذلتُ جهدي، لكن جرَت الأمور بهذا النحو سواء خيراً أو شرّاً.لكن هل نِلتَ أفضلَ مصلحة؟

أُقسم إننا لا نعرف أولياء الله، يشهد الله إن الكون في خدمة أولياء الله. والله، حتى فيما يتصل بحياة الإمام الخميني أو الإمام القائد ثمة أمور كثيرة

يعجز المرء عن البوح بها. يقول الشــاعر: لا تَقِس أحوال الصـــالحين على نفســـك، فالأولياء يربطون حياتهم بمحل آخر. أرأيتم ماذا فعل الخِضـــر؟ حتى موسى(عليه السلام) لم يستوعبه. قال له الخضر: أنا أشتغِل على أفضل المصالح وأعقدها، فثمة أنباء تبلُغُني وعليّ ترتيب الأثر.. إنّك لا تستوعب ذلك!

نسأل أحدهم: هل كانت مصلحة؟

- أجل

- هل كان زواجك مصلحة؟

- نعم

- وهل هي أفضل مصلحة؟

- لا أدري!

- وماذا صــنعتَ كي يقدّر لك الله أفضــل مصــلحة؟ أفضل مصلحة مشروطة بخالص العبادة.

غيّر نفســك، وســيتغيّر العالم في نظرك. كان أهل البيت(عليهم السـلام) يهتمّون بأنفسـهم، لذا غيّروا العالم.

كانت فاطمة الزهراء(عليها السلام) تهتمّ بنفسها، كانت تسعى في كل لحظة لتغيير نفسها ولتكاملها. غيّر نفسك، وسيتغيّر العالم في نظرك.

◈حلاوة الخيال!

هل الدنيا أفضل، من ناحية الإمكانيات، أم الجنة ورضوان الله؟ أخبروني من فضلكم

الجنة ورضوان الله، يقول، لا تقاس بالدنيا في الدنيا تأكل بضع لُقَم، وتشرب بضع جرعات شراب فتضطر للذهاب إلى "مكان" نتن الرائحة يخجل المرء من ذكر اسمه!

لماذا لا تجتذبنا الآخرة، لكن تجتذبنا الدنيا؟!! لماذا؟!

هل لأن الدنيا "نقد"، والآخرة "آجل"؟ هل لأنك ترى الدنيا ولا ترى الآخرة؟ كلا..

بل كون الدنيا "نقداً"، بالمناسبة لا بد وأن يجعلها تسقط أسرع من عينك، أنت ابن آدم!

ذلك أن الله سوّاك، أنت ابن آدم، بحيث تنظر بسرعة إلى عواقب الأمور

فتقول: ثم مـاذا؟! جـاءني ذات يوم عريس وقـال: اليوم عُرسي.. لكنني لستُ مسروراً كثيراً!

قلتُ: ألا تحب عروسك؟

ـ بلى، أحبها، لكنهم يبالغون في الإجراءات..

نريد التقاط صـور، نريد تصـوير أفلام، نريد كذا.. كذا أما أنا فلا ينتابني شعور خاص..

قالوا لي: راجع مستشاراً اجتماعياً فأنت مريض!

الحق، نظرتُ يمنة ويســرة لأتأكدّ من خلو المكان، فرأيتُ أن لا أحد

وقلـت لـه: انظر، البـاقون، المهتمّون جـدّاً بهـذا الموضوع، هم المرضى

أما أنت فسـليم! أنت الذي صُـنعتَ بطريقةٍ، ما إن ترى الدنيا ينتهي الأمر، فلا تستلذّها!

انظر إلى شـيوخ المجلس، إنك سـتغدو مثلهم.. ما عاد يرغب حتى في مضغ لقمته!

الإنســـــان مخلوقٌ ما إن تقع عينه على الدنيا حتى تســـقط من عينيه يا أخي، لِمَ ينبغي لنا الذهاب إلى الخلاء بعد تناول الطعام! فلماذا نتعلّق بالدنيا إذن؟!

سأقول لكم.. أتدرون لماذا نحن نحب الدنيا؟ الشيء الذي يجعلنا نحب الدنيا هو "خيال الحصـــول على الدنيا" وليس كون الدنيا نقداً!

ــــ أَدخلُ الجامعة، أحصَلُ على شهادة الدكتوراه، فينادونني: حضرة الدكتور

سـيموت ابن خالتي غيضــاً.. لم يحصــل حتى على الثـانويـة أَخرجُ مع زوجتي والأطفـال، فتقول لي زوجتي: يا دكتور، خذ الطفل! آآآه.. أيّ متعة!

أحد أسباب التذاذ الإنسـان بهذا العيش هو التخطيط للوصول إلى لذّةٍ ما فإذا وصلها سيكتئب.. سيقول لنفســـه: ليس هذا ما كنت أطمح إليه ســـيكتشــف المســـتوى الضــحِل لهذه المتعة فيكره الهدف الذي اختاره لو شــــاهدتَ هذه الدنيا جيداً لما التذذتَ بها فماذا لو شاهدت الآخرة جيداً؟

يخلق الإقبالُ على الآخرة في كيان الإنسان من اللذة ما يجعله ينسى جميع لذات الدنيا، بل وآلامها أيضاً!

الموضوع الوحيد الذي شرحه الله تعالى بنفسه في القرآن الكريم

بل إن المفسرين حين يبلغونه يتوقفون عن التفسير قائلين: ماذا نفسّر والله تعالى نفسه يتولّى - بالتفصيل - تفسيره هو "الجنة" يقولون: ماذا عسانا نقول هنا؟! أهداب الحور العين كذا.. أعينهُنّ كذا.. القمصان التي يرتدينها كذا.. وأنّ من مُتَع المؤمنين مسامرة بعضهم البعض.. وأن غلمانهم كذا.. لا تقل: حسنٌ، الجنة مكان جيّد، دعنا من هذا.. إنك تتخيّل المشاهد الدنيوية البهيجة ألف مرة ومرة فكيف بالأحوال الخارقة التي يصفها الله، نعم الله، للإنسان

بطريقة وكأن.. أعتذر، نعوذ بالله.. وكأنّ الله نفسه في جَذَل!! يقول لرسوله: أنت لا تدري ما الخبر هناك.. وما الذي أخبّئه للمؤمنين! لماذا لا نستعمل خيالنا في الشوق إلى الجنة؟

لماذا نستعمل خيالنا لكل شيء ونلوّن الدنيا في أعيننا، في حين أنها بالأبيض والأسود

ولا نفعل شـــيئاً بخصـــوص العالم الآخر، الملوَّن أصـــلاً؟! أحد أســـباب اللذائذ المعنوية هو تصـــوّر الجنة التصوّر الذي أراد الله أن نملكَه فلتلتذَّ بتصوّر الجنة.

الطريق المختصر للوصول إلى الله

ما الذي ينبغي أن تصـــنعه المعرفة يا رفاق؟ أن توصلَنا إلى الفقر المطلق أمام الغَنيّ المطلق وتُعمّق فينا حِسّ تمنّي الله نفسَـــه. المرحلة الأولى: العِلم.. وهو الذي يُشـــعرك بالفقر إلى الله ويقوّي فيك هذا الشعور. المرحلة الثانية: المحبّة، فهي تفعل فيك ما يجعلك فقيراً.

يا فاطمة الزهراء.. هلاّ أخذتِ الليلةَ بأيدي هؤلاء لتطوي بهم طريق المائة عام في ليلة؟ ليســـتيقظ فيهم من الغد شـــعورٌ، فينادوا كل لحظة: إلهي، أريدك! معك فقط أصبح غنيّاً.. أريدك أنت وحسب.. أريدك بشـــدة..!.. أنا فقير إليك جداً.. فقير إليك..

«أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ..»[فاطر، الآية: ١٥] أريدك أنت وحسب.. أريدك بشدة..! معك فقط أصبح غنيّاً.. «أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللّهِ وَاللّهُ هُو الْغَنِيّ»[فاطر، الآية: ١٥].

في النهاية سيسلبونك كل شيء.. يمدّدونك على المغتسل وينتزعون ثيابك قطعة قطعة، ويلفّونك بكفن حفاظاً على جسدك، لا أنّ الكفن يصبح ملكك! ليس في يدك الآن أيّ شيء، ولا تملك أي شيء، فكن فقيراً إلى الله وكفى.. «أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللّهِ وَاللّهُ هُو الْغَنِيّ»[فاطر، الآية: ١٥].

يقول الله: "من الصعب على عبادي هؤلاء أن يحبّوني فيكونوا فقراء إليَّ بسبب محبّتي.. فلأساعدهم"

ـ إلهي، ماذا تصنع لنا؟ نريد أن نذوق طعم محبّتك، وجذبتك.. فأعنّا.

فيقول: حسنٌ، بما أنّه يصعب عليكم حب "الله" تبارك وتعالى فلقد جعلتُ لكم "وجه الله"...

وجه الله هو "وليّ الله". عليّ(عليه السلام) هو وجه الله بالمعنى الحقيقي للكلمة. جعلَ لنا أهل

البيت(عليهم السـلام) لنحبهم، فإن انجذب قلبك إليهم(عليه السـلام) فهذا أول الحكاية. أرأيتَ كيف تشـتهي فجأةً: إلهي، أريد الذهاب لكربلاء عند قبر أبي عبد الله الحسـين(عليه السـلام). قالوا: «مَنْ أَرَادَ اللّٰهُ بِهِ السُّوءَ قَذَفَ فِي قَلْبِهِ بُغْضَ الْحُسَيْنِ(عليه السلام) وَ.. زِيَارَتِهِ»[جامع أحاديث الشيعة - السيد البروجردي - ج ١٢ - الصـفحة ٣٨٤]، فعلامة المؤمن هي أنه يشـتاق كل حين.. إلى منطقة بين الحرمين، لا يدري ما السـبب، يقول: أودّ الذهاب إلى كربلاء! خُذ صـكّ الزيارة الليلة من أمك فاطمة الزهراء(عليها السـلام). قل لها: أمّاه، لا أسـتطيع العثور على قبرك لكن سـمعتُ أنك في ليالي الجُمَع في كربلاء، فخذيني في ليلة جمعة قريبة إلى هناك، أتنشّق رائحتكِ، أسمع صوتكِ..

لأجل ماذا جعل الله محبّة أوليائه؟ إنّهم عباد الله.. عباد الله الصالحون فما بالك بحبّهم إذا دخل قلبَك؟!

لحظة صدق وإخلاص مع الله تغير حياة الأنسان

أنظروا أيها الأحبة فلأقل لكم شــــيئا؛ في لحظات اســــتماعكم للمحاضــــرة، ســــواء أتتحمّلوني أنا المســـكين أم يتحدّث إليكم إنســـان محترم، أطلقوا سراح قلوبكم. فلعلك ترى قلبك يتأوّه حسرة ويقول: آه كم قد ضـــيّعت. أو يأنّ قلبك ويقول: كم أودّ لو أبلغ هذه الدرجة!

وكل حياتك هي رهن هذه اللحظات! فلا تقل: ذهبت إلى استماع المحاضرة فشُحنت حماوة في لحظةٍ ثمّ خرجت وبردتُ. فإن الله لا ينســـى حالك في تلك الساعة. إن الله مستعدّ لأن يتناسى آلافا من ذنوبك، ويتناسى آلافا من آمالك الخاطئة، ويتناسى آلافا من فســـقك وفجورك. ولكنّه ربّ رحيم فيقول: لقد جاء مرّة وقال آه! ليتني كنت أحبّ الله بهذا القدر. فيا ملائكتي نظّموا حياته على حسرته الوحيدة هذه.

اذهبوا وتوسّـــلوا بأي وســـيلة لكي تحضـــروا في مجلس يســـتثير في قلوبكم آه حســـرة وحســـب. ثم ابتهِج وقل ذهبت وزفرت بحسـرة احترقت تحسّـرت على الماضـــي تمنيّت الفضـــائل. يشـــهد الله أن لو تحسّـــرت حســـرةً ولم تظهر عليك آثارها وتتدهور

أوضـــاعك، تظهر في ذريّتك! يشـــهد الله أن حســـرة راقيـة واحدة قد تؤثر على من حولك. لعلّك تحاول الفرار من الله كثيرا إلى آخر عمرك، ولكن الله يرفض قائلا: هل تتذكر أنك في أواخر ليالي شـــــهر رمضان تحسّرت حسرة؟! أفهل أسمح لك بالذهاب! لســـان حالك ســـيقول: دعني يا إلهي فقد تحمســـت هناك لحظة وتأوهت حســـــرة. فيقول: كلا! إن هذه الحسرة جميلة لي وأنا لن أنساها.

لقد قال النبي(صـــلّى الله عليه وآلـه): «ارتعوا في رياض اَلْجَنَّة قَالُوا يَا رَسُــولَ اللَّهِ وَ مَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ قَالَ مَجَالِسُ الذِّكْرِ». مجلس الذكر. فإنه يذكّرك بالفضائل فتقول فجأة: يا ليتني كنت هكذا!

أيها الإخوة! لقد كان الشهداء ينالون الشهادة هكذا، وأنا كنت أرى ذلك بعيني. في جلســـــة واحدة كان يشـــتهي أحدهم شـــيئا، ويهشّ قلبه إلى ذلك العالم. فقول الله يا ملائكتي لقد فســـح المجال وقال لا بأس بالشـــهادة! فاشـــتغلوا عليه. بعد ذلك حتى ولو كان يسحب كلامه ويتراجع، كان الله يستلم بزمام حياته

فيدفعه ثم يدفعه ثم يزيده عشقا بعد عشق، حتى يصرخ أن متى تأخذني إليك يا ربّ؟

أتدري متى خرّبت حياتك وفضحت نفسك وكشفت عن حقيقتك. أتذكر في تلك الجلسة قلت: يا ليتني عندما أهوى على الأرض يأتيني الإمام ويضع رأسي على حجره! لقد حسم الأمر هناك! وبدا أن فيك نور!

الرواية تقول إذا أراد الله أن يعمّر حياة عبده يبدأ من نقطة صغيرة من نور.

ما هو امتحاني؟

البعض بحُسن سلوكه يصنع أحياناً كياناً لنفسه، لا أقصد أنه يصنعه أمام الآخرين. علينا أن نتوخّى منتهى الحذر ونتقصّى أين يريد الله امتحاننا فعلاً؟ فنجتاز الامتحان بجدارة هناك

بعض الناس مُنظَّم بالفطرة، أي يحب أن تكون كل أموره منظمة، فإن التزَمَ بالصلاة كان من السهل

عليه الصلاة في وقتها. حسنٌ، عليه إذن أن يذعن بأن: الصلاة في وقتها ليست إنجازاً كبيراً لك، لا تخدع نفسك بالقول: إن من ميزاتي البارزة هي أنني أصلي في وقتها وهي ميزة في منتهى القيمة..! لا تغالِ يا هذا في التباهي وامتداح نفسك. نعم، هو عمل جيد، ونسأل الله أن يتقبل منك الصلاة في وقتها.. ها قد دعوت لك! لكن لنتنبّه جيداً كيف علينا أن نتصرف. علينا أن نتوخّى منتهى الحذر ونتقصّى أين يريد الله امتحاننا فعلاً؟ فنجتاز الامتحان بجدارة هناك. على كل فرد فينا أن يتقصّى مكامِن ضعفه الحقيقية فيخوض امتحانه هناك.

القصص التي تُحكى لنا عن عظمائنا لا تعني بالضرورة أنّ علينا تطبيقها بحذافيرها والتصرّف بالضبط كما كانوا يتصرفون. فامتحانك مثلاً قد يتلخص في احترامك لأمك، المعضلة الأساسية التي تُربِك حياتك هي هذه، وليس لديك في المجالات الأخرى مشكلة تُذكُر، وصادَفَ أنّ القصص التي سمعتَها عن أحد كبار العرفاء تدور كلها حول الصلاة، وصلاة الليل، والزيارة.. معظم الامتحانات

هي هكذا، فتحاول أن تحيا حياة هؤلاء العرفاء بالضبط ولا تخرج بنتيجة! فتقول: لماذا؟! إنني أصلي كصلاة الشيخ بهجت بالضبط، وأحذوا حذوَه، وإن نيّتي والله صادقة، ليس لدي من غرض! فتجد أنك، وببعض الحيلة، تتهرّب من المواطن التي يكمن فيها امتحانك؛ مثل ماذا؟ مثل تحمّل أخلاق زوجتك.. مثل ماذا؟ مثل مداراة أمك.. ففي هذا المجال أنت لم تسمع قصصاً مميّزة عن سيرة الشيخ بهجت! فقد تكون أم سماحته مثلاً (أقول مثلاً، لا أدري) فارقَت الحياة وهو طفل فلم تسمع في هذا الجانب قصة مميّزة عنه فتتأسّى بالشيخ بهجت في باقي المجالات.. لكن امتحانك ليس هنا!

- إذن فلماذا يحكون لنا قصصهم؟

ـــ يحكون لنا قصصهم لنتحفّز قليلاً.. لنبذل جهدنا كي نقتفي آثارهم. لكن، أولاً: إذا تشبّهنا بهم في بعض المجالات فليس بالضرورة أن نكون قُمنا بإنجاز.. فلا نَغتَر.. ولا نجعل لأنفسنا هالة، إذ قد يكون الأمر علينا سهلاً في هذه المجالات. ثانياً: إن أخفقنا في التشبّه بهم في بعض النواحي فلا نيأس.

ـــ شيخنا، أنا لا أقدر على صلاة الليل كما هو شأن العرفاء وأولياء الله. العلامة الطباطبائي في إحدى الليالي وبدلاً من تخصيص ساعة أو ساعتين لصلاة الليل صلاها، مثلاً، في نصف ساعة، فتألّم صباح ذلك اليوم من أنه: ماذا صــنعتُ بالأمس لكي أُحرَم هذا الحرمان؟!

البعض لدى ســماع هذا ييأس ويقول: عبثاً أُتعب نفسي، دعني من هذا كله! لا شُغل لي بالله والنبي والقيامة.. أَإلى هذا الحد صعبة هي العبودية؟! إنه عبث! فلأذهب إلى النار وكفى!! إنه الوقوع فريسة اليأس، وهذا خطأ. كلا، فبإمكانك عبر عمل أو عملَين بسيطين جداً مما يحصل في حياة كل واحد منا، أن تسبق العلامة الطباطبائي أيضاً! ولا أريد الهبوط بمقام العلامة الطباطبائي(ره) لكن هناك من العرفاء من أصحاب الباطن ممّن سبقهُ شابٌّ عاصٍ كَفّ نفسَــه عن ذنب واحد فقط، لا أنه أتى بكل صالحات ذلك العبد الصالح!

ذات يوم عَلِق عارف مع شــاب وســط الصــحراء وآذتهما حرارة الشــمس أيّما أذى. فقال العارف:

فلنسـأل الله أن يأتينا بسحابة تُظلُّنا ونحن نسير في الصحراء.

فقال الشـاب: اِممم..لا بأس.. ولم يكن الشـاب أهلاً لهذه الأمور، بل وما كان يرى نفسه شيئاً – إذ كان من أهل المعاصي – ليسأل الله أن يُظلّه بغيمة. قال: لا بأس، ادعُ أنت وأنا أقول: آمين.

فدعا العارف وقال الشـاب: آمين، فجاءت سـحابة. فقال الشـاب مع نفسـه: ما أَجَلَّه من عارف! ما إن أراد حتى أظلّه الله بظل! فراحت السـحابة تتبعهما وهما يسيران صوناً لهما من لهيب أشعة الشمس، فبلغا مكاناً كان عليهما أن يفترقا فيه عن بعضهما. ولما افترقا سـارت السـحابة مع الشـاب. فرفع العارف بصـره إلى السـماء، ولعله كان يظن أن السـحابة كانت لطفا من الله به هو، فسـارع نحو الشـاب قائلاً: يا هذا، السـحابة كانت من أجلك، ما الذي صنعتَ في حياتك؟

ـ أيٌّ صنيع؟! أنا إنسان تعيس.

ـ كلا، لا بد أنك قمتَ بعمل عظيم.

ــ أجل، ذات يوم أوقعتُ امرأة في حبائلي لممارسة الخطيئة، ثم تركتُها لحال سبيلها (والقصة طويلة).

قالت: استحِ من الله.. ارحمني.. لا تهتك عرضي.

فقلت: فلأترك المرأة ـ هذه المرة ـ مرضاةً لله.

وإذا بالله يبعث سـحابةَ رحمتِه فوق رأسـه إثر دعائه! فإن أراد الإنسان الاطلاع على أحوال أولياء الله والعرفاء فلا ينبغي أن يقيس نفسـه بهم فيُدخل اليأس إلى نفسه، فلربما رأيت أنه ثمة طريق (وكل من يتمعّن قليلاً يسـتطيع أن يجد هذا الطريق) من خلاله سـتسـبق حتى العلامة الطباطبائي. ليس من حق أي امرئ أن يقنط، فالقنوط مؤشّـر على قلة المعرفة بالله رب العالمين. الناس مختلفون.. فاعثر على الطريق الخاص بك. علينا أن نتوخّى منتهى الحذر ونتقصّـى أين يريد الله امتحاننا فعلاً؟ فنجتاز الامتحان بجدارة هناك.

اضبط نفسك!

أرجوكم أن نخرج جميعا عن الإسـلام ونقبّل العبادة والإيمان وأمثالهما ونضـعهما على جانب ثمّ نصـبح فترةً من أهل التقوى من أهل المراقبـة ولا نفعل كل ما اشـــتهينا كن من أهل المراقبـة! ما هي النقطـة التي في مقابل المراقبة؟ اشـتهي! تعبتُ.. مثلا لعلّك تُعطى برنامجاً ثم تســأم منه بعد فترة عندها تدخل في ســلك الآدميين آه فقد تعبت ولا حافز لي اليومَ للعمل كنت أطبّق البرنامج يوميّا في هذه الســاعة، أمّا اليوم فلستُ على ما يُرام اليوم حيث لا حافز لك يتضـــح ما إن كنت من أهل المراقبـة أم لا أم طغى هوى نفســك إن أردتَ منع هواك من الطغيان فلابد أن لا تعمل وفق هواك ــ إذن تعمل وفق ماذا؟ وفق برنـامج فـإن أردت العمـل وفق برنـامج وخـامرَ البرنـامجَ شـــيءٌ من الثقل والتعقيد هنا تنتهي إلى مفهوم باســم المراقبة السـوّاق في الشـــارع كلّهم يراقب ليتقّي الاصطدام وأسـاسـا لا يسـمح الله لأحد بـالعيش من دون مراقبـة وممّـا تنجزه المراقبـة من آثار، هو النظم وقد جاء هذا المعنى في صدر وصية أمير المؤمني علي بن أبي طـالـب(عليـه الســـلام) وصيّة النـاس العاديّين تشـتمل على أهم كلمـاتهم أما

أمير المؤمنين(عليه السـلام) فليس بإنسـان عادي كانت كلماته طيلة حياته أهمّ ما قيل في عالم الخلق «أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللهِ وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ»[نهج البلاغة - خطب الإمام علي (ع) - ج ٣ – الصـفحة ٧٦] النظم ناجم عن التقوى إن لآية الله شـريعتمداري حفيدا كان يسكن مع السيد الإمام(ره) في حجرته كان يقول هذا الرجل الكبير: كنا نرى الإمام أنيقا دائما فعندما كان يستيقظ في الأسحار ويتوضأ ثم يقف للعبادة في الحجرة قبل الزواج كان ظاهره وكأنه ذاهب إلى مجلس ضيافة مرتّب! فلم نرَ الإمام مرتخياً قطّ! طبعا لست بصدد تحديد آداب لكم المهم أن لا يكون الإنسـان سـائباً بل من أهل المراقبة وأهل الدقة راقب نفسك واضبطها فإن لم تضبط نفسـك وتُرخيها فمهما عملت بعدئذ من حسـنات فاعرف (إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)[المائد، الآية: ٢٧] إنه قد أرخى نفسـه ولكن اشـتاق الآن إلى صـاحب الزمان، فقرّر فجأة أن يقيم مجلس دعاء الندبة اضـبط نفسـك أولاً إنه قد أرخى نفسـه ثم يشتهي أحيانا أن يمارس بعض الأعمال الحسنة من تريد أن تخدع؟ كونوا من أهل المراقبة، وافحصـوا

مدى طاقتكم ثم ابدأوا شـيئا فشـيئا بودّي أن أعمل وفق برنـامج، على أسـاس المراقبـة فإن لم تعمل على أسـاس المراقبة عملتَ على أسـاس ماذا؟ - هواك لا تعمـل على أسـاس هواك التقوى تعني المراقبـة فلنكن فترةً من أهـل التقوى من أهـل المراقبة ولا نفعل كل ما اشتهينا وأساسا لا يسمح الله لأحد بـالعيش من دون مراقبـة علينـا أن نعمل وفق برنـامج.

◈ السيطرة على الذهن رياضة لتقوية الروح

أهم رياضة لتقوية "عضلات" الروح هي السيطرة على الذهن.

أجرى علمـاء النفس تجربـة لافتـة، أو بـالأحرى اختباراً فقاموا بدراسة سلوك أولئك الذين يرغبون في عدم فعل شـيءٍ ما لمعرفة مَن الذين ينجحون في عدم القيام بفعلٍ ما مع أنهم يحبّونه؟ فوضـعوا

بضع قطع حلوى أمام بضعة تلاميذ ونصبوا كاميرا وتركوا الغرفة. قالوا لهم: لا تأكلوا الحلوى لمدة ساعة وسنعطيكم جائزة. وكانت الجائزة مُغرية، والطفل يحب الحصول عليها. لكنّ الحلوى أيضاً تُسيل لعابَه وتُغريه بأكلها!

هدف الدراسة هو: من سينجح في عدم تناول الحلوى؟ ومَن سيفشل ويأكلها؟ فلاحَظوا أن الذي ينظر باستمرار إلى الحلوى محدّثاً نفسه: "لا، لا ينبغي أن آكلها.. لا"، يأكلها في النهاية. ومَن الذي لا يأكلها؟ هو الذي لا ينظر إليها.. يُدير وجهه وينظر إلى جهة أخرى، أي إنه يسيطر على رغباته عن طريق السيطرة على الذهن. اختبَروا مئات العيّنات بنفس الطريقة فلاحظوا أن الذين لا يفكرون في الموضوع يستطيعون السيطرة على أنفسهم.

أينما اتّجَه ذهنُك اتّبَعَه قلبُك ثم لا تستطيع السيطرة على قلبك، أما الذهن فتقدر على السيطرة عليه. فإن سيطرتَ على ذهنك فستضبط سلوكك أيضاً. هناك في ثقافة مجتمعنا ونمط حياته عوامل تمنع السيطرة على الذهن. فقد ازدادت أوقات الفراغ في

الحياة المَدنِيّة، وازدادت وسائل "اللهو".. لاحظوا.. "اللـــــهـــو"، المعنى واضح من التسمية، وسائل "اللـــهــو"، أي إنها تُلهي الذهن وتخدعه. ازدادت وســـائل اللهو. قديماً لم تكن وســـائل اللهو بهذا الانتشـار. ففي كل جوّال اليوم ألف لعبة.. وكَمّ هائل من الأخبار المُلهية. تُعرَض عليك أنواع التطبيقات وأشكال البرامج قائلة: "أُريكَ شيئاً مثيراً"

- تعساً لك! أتريد إشغال ذهني؟! أتودّ أن تحطّم فيَّ إرادةَ "لأيِّ شيء أُولي اهتمامي؟"

- لا، إنه شيء مثير.

- أعرف، هذا التعيس مثير..

- إنه ليس حراماً.

- وإنْ، لكنه يُفسد ذهني!

وإذا بمغناطيس يجذبك لهذه الجهة وآخر لتلك

- لا أريد مشاهدة شـيء مثير أصلاً.. جعَلوا عناني بِيَد جوّال فتارة يجذبني إلى هنا وتارة إلى هناك. فلو تعاملتَ مع حيوان هكذا لتحطّمَت أعصـــابه بعد

برهة وقال: ماذا دهاك؟ إنني أســير في طريقي، لِمَ تجذبني لهذه الجهة؟ انزَع عِنانَك وأرِح بالَك..

ـ وما المشكلة في أن يُدير شخصٌ آخر ذهنَ المرء؟

ــــــ أجل، إذا كان هذا "الآخر" هو "شــخص رب العالمين ذاته" فهو جيّد. سَــلِّم عنانَك إذن بيد الله تعالى.. اقرأ القرآن.. وانظر ماذا يصــنع بك.. يُلفت نظرك إلى الموضـــوع الفلاني.. ثم يأخذك إلى يوم القيامة.. ثم إلى موضـــوع كذا، ثم إلى الموضـــوع هذا، فإلى الموضوع ذاك.. يُمسكك من ذقنك ويوجّه وجهَك حيث يريد: انظر لهذا الاتجاه.. انظر لذاك.. أيُّ روعة! وبعد مُدّة يصــبح الإنســان آدميّاً بمعنى الكلمة.. انظر لهذا بهذا الشــكل.. يُلفت انتباهك.. وتعلَم أن مواضيع القرآن غير مبوّبَة بهذه البساطة، ففيه تنوّع رائع.. موســيقى.. يرتفع إلى أعالي الجنان.. وينزل إلى قعر جهنم.. ويأخذك عند الصــالحين.. ثم يعرّج بك على الطالحين.. فلنتلهّى بالقرآن.. فليُلفت القرآن انتباهنا إلى هذا، وهذا، وذاك..

كم هي رائعة تقتيات السيطرة على الذهن في ديننا!.. في سلوكنا الديني. فالصلاة روتينيّة.. روتينيّة، روتينية، روتينية، روتينية... لماذا؟

ـــــ إلهي، لولا بعض التنوّع؛ مثلاً: اليوم سورة الحمد.. قل: أيام السبت اقرأوا "الحمد"، وأيام الأحد أقرأوا "الناس".. اجعل تنوّعاً في تكرار السجود.. وتكرار الركوع. قل مثلاً: الآن ركوعان وسجودان.. الآن ركعتان، ومن ثم ثلاث ركعات.. أيام الثلاثاء ثلاث ركعات.. وأيام الأربعاء أربع.. أَضفِ بعض التنوّع؟! فبعض الذوق جميل على أية حال! إننا ما إن نشرع بالصلاة حتى ننتبه إلى أنها انتهَت! لشدة حفظنا لها.

فيجيب: "يا تعيس، إنما جعلتُها هكذا للسيطرة على الذهن. أردتُ أن لا تشغل العواملُ الأخرى بالَك. انتبه إلى الأشياء بقدرة ذهنك أنت".

السيطرة على الذهن مصدره السلوك الباطني وثمرته قوة الروح، فإن سيطر الفتى على ذهنه واكتسب قوة في الروح فسيصبح، في حقل العلم،

عالماً وسـيكون، في مجال العمل، مُبدعاً وسـيجني أنواع اللذّات.

الرسالة موجهة إليك!

رفاقي، سـأطرح السـؤال بشـكله المبسّـط جداً: كم تدوم أعمارنا؟ المتوسّـط سـبعون عاماً. لنقل مائة عام، ولنَرَ الخير! دعنا لا نُبطل الصـفقة من أجل ثلاثين عاماً فقط! ما شـعورك تجاه هذه المائة عام؟ الرسالة موجهة إليك! الكل يدركون أن العمر قصير لكن من أي زاوية علينا أن ننظر إلى قِصَـر العمر هذا؟ شـرف ابن آدم كلُّه هو أن يرتقي إلى فَهمِ أنّ مائة عام قصـيرة جدّاً! فأنت تفتح عينيك فجأة.. «الناسُ نِيام إذا ماتوا انتبَهوا»[المحجة البيضـاء، ج ٧ / ٤٢]: مائة عام كانت قصيرة للغاية! لاسيما وأنكم تعلمون ما يحصل لحظة الموت.

يقول العُرفاء: سـاعة الموت وفي لحظة واحدة يُعرَض فلم حياة الإنسـان كاملة بكل تفاصـيلها في

ذهن الإنسان فتعرف حينها ـ دفعة واحدة ـ ما الذي فرَّطتَ به؟ وأيّ لحظات أفنيتَ؟ وما الذي كسَبتَ؟ فإذا بالتحسُّر على ما فرَّطتَ هي نفسها آلام نزعِ الروح، وإلا فأنتم تعلمون أنه ليس في نزع الروح ألماً فسلَجيّاً. فبمجرّد أن يتخطّى الألَم مثقال الذرة، تخرج الروح، ويغيب الوعي.. ويكون الانقطاع الكامل.

يُروى أن الملَك عزرائيل(عليه السلام) جاء يقبض روح النبي نوح(عليه السلام) وكان نوح(عليه السلام) مستلقياً في بيته، أو بالأحرى في كوخه وقد امتدّت رجلاه خارج الكوخ. فحيّاه عزرائيل(عليه السلام)، فعرفَه نوح(عليه السلام) وردّ عليه التحية، فقال: يا نوح، أتيتُ لأقبض روحَك! فقال نوح(عليه السلام): هل أنهض؟ قال: لا، لا تتعب نفسك.. هكذا وأنت مستلقٍ! ثم قال له: يا نوح، لولا بنَيتَ لنفسك بيتاً إذا استلقيتَ فيه لم تخرُج رجلاك منه. قال: ما قيمة الألف سنة من العمر حتى يفكّر المرء في هذه الأمور! فقال عزرائيل: سيأتي أناس يشيّدون لأنفسهم الأبراج والقلاع، يبنونها

بالإسمنت والخرسانة المسلحة والقضبان الحديدية المختلفة المقاسات، أعلى من قامتهم بعدة أضعاف، تحوي غرفاً وطوابق عديدة.. بالطبع لم يقلها بهذا الأسلوب، بل تحدّث عن متانتها وضخامتها. فقال نوح(عليه السلام): كم سنة سيعمّرون؟ قال: متوسط أعمارهم سبعون سنة! قال: يفعلون ذلك من أجل سبعين سنة فقط؟!

كلما يقبض الله روح إنسانٍ يشتكي الأخير قائلاً: لِماذا لَم تخبرني؟! فيقول الله: بل أخبرتك ثلاث مرات.

- متى أخبرتَني؟!

- إنّك لاهٍ أصلاً! إنك تنظر فقط إلى زخارف الدنيا! ألَم يمت قريبُك مرّةً.. ألم يحصل كذا وكذا مرّةً..

فالله يخبر كل امرئ بذلك ثلاث مرات قبل موته

- كيف يخبره يا شيخ؟

- لا أدري، أنت تعرف ذلك!

أمعن النظر.. وتأمّل من أي زاوية تنظر.. وستكتشف بأن الرسالة موجهة إليك.

نُقل في رواية أخرى أنه سُــئل نبي الله نوح(عليه السـلام): ما رأيك في الزمان وما فات من عمرك؟ قال: هو كغرفة فيها بابين، دخلتُ من أحدهما وخرجت من الآخر، حتى لم أجلس فيها.. مررتُ فيها مروراً.

كم أنتَ حي؟!

قصَّ لي شاب: تطوّعت لخدمة الشيخ بهجت(قده) فكنت أقدّم الشاي في مجلسه العزائي، وكنت حينها في الثانوية. سافرت مرّةً بضعة أيام إلى مشهد للزيارة، وبعد عودتي ذهبتُ إلى الشيخ(قده) في حاجة وقلت له: «لقد كنتُ في مشهد.» قال: «طيّب، هل شاهدتَ الإمام الرضا(عليه السلام) لدى دخولك المقام؟» قلت: «كلا.. بالتأكيد لم أرَ الإمام.. بل زُرتُه!» قال: «ألَم ترَه حتّى في المنام أثناء مقامك في مشهد؟!» قلت: «كلا.» قال: «يعني أنك لم ترَه إلى الآن رغم كل سفراتك هذه إلى

مشـــهد؟!!» قلت: «لا.» قال: «عجيب! إذن أنت لم تزُر مشهد إلى الآن!!»

لماذا، يا رفاق، لا تتوقّعون ملاقاة الحســــين(عليه السـلام) كل ليلة؟! أمثالي فاتتهم الفرصـــة، ولا يصـــيرون آدميين، لكن ماذا عنكم؟ يا أبا عبد الله، أتيناك وأحوالنا في شـــدّة التعاســـة لكن نريد هذه المرة أن نبدأ بآمال عريضة جداً. هل ستمرّ عشرة محرم هذه أيضاً دون أن نسمع صوتَك؟!

كم أنتَ حي؟! يقول لك الدين: حياتك ذات أهمية، فسَمِّنها! كُن حيّاً جداً! خُذ من الحياة نصيباً عظيماً! الله يستاء من العبد الذي لا يجني من حياته نصيباً.. ضخماً. القرآن يصرّح بأن هناك حياتين. هل تدري ماذا سـيحصـل إذا فُتحَت عينُ قلبك؟ أو تفتّحَت أُذُن روحك؟ أو ماذا سيحدث لو صـارت يدُك يدَ الله؟ أو ماذا ستفعل على نجوم السماء إذا غَدَت قدمُك قدماً إلهية؟ هل تعلم إلى أين يمكن أن يصـــل إدراكُك؟ «فَلَنُحْيِيَنَّـهُ حَيـاةً طَيِّبَـةً.» يقول الدين للإنســـان: «انظر.. عليكَ أن تكونَ في منتهى الحياة!» فحياتك

هذه ليسَـــت حياةً، أنت تعيش كالجمادات، لم ترتفع عن الحيوانات غيرَ شَعرة.

«فَلَنُحْيِيَنَّـهُ حَيـاةً طَيِّبَـةً.»[النحل، الآيـة: ٩٧] يقول العلامـة الطبـاطبـائي(ره): الحيـاة الطيبـة لا تعنـي: أنني أُنَقّي لـه حياته هذه، بل يقول الله: «فَلَنُحيِيَنَّـه»، أي ســـأمنحه حياة أخرى، بل إن تلك الحياة تختلف تماماً عن هذه، إنـه ســيولَد من جديد، ســيخرج من رَحِم أُمّه «الطبيعة»، ســـيتحرّر بالكامل، ســـيُقطع حبلُه السُـرّي من رَحِم الطبيعة! سـيكون قادراً على السير.. على النطق.. على السماع.. على الإبصار، سيأكل الطعام.. سينمو. يقول لك الدين: حياتك ذات أهمية، فسَمِّنها! كُن حيّاً جداً! إربَح من الحياة ربحاً عظيماً! الله يستاء من العبد الذي لا يجني من حياته ربحاً.. ضخماً

حسنٌ، أوّد أن أُناجي الله قليلاً في ضـوء هذه الآية. تشـــرع بعض آيـات القرآن بـالقول: «صُـــمٌّ بُكمٌ عُميٌ!»[البقرة، الآية: ١٨] أي طُرشـان، خُرسـان، عُميان. نعم، نحن لســـنا عُمياناً.. الحمد الله، فلقد قلـتَ يـا ربي: من آمن واتقى فـإن «أولئـك هم

المفلحون»، أما الباقون فهم صُـمٌّ بُكمٌ عُميٌ. طيّب، إذن أنا الآن لســتُ أطرش وأخرس وأعمى، الحمد لله. لكن إلى أيّ حد عيني مفتوحـة؟! نعم، عيني تُبصر، لكن كَم تُبصر؟ كم تسمع أذني؟ إلى أيّ مدى أنا حي؟ إلى أي مدى؟ ما مدى إحساسي بأن الإمام الحســين(عليه الســلام) يقترب من كربلاء؟ كم أنا أشـعر بقلب صـاحب الزمان(عج)؟ هذا القلب قريب مني جدّاً. إن بإمكانه(عليه الســلام) أن يســألني: «لماذا لم تفهم إحساسي؟!»

قال أحدهم للإمام الصـادق(عليه السـلام): «سيدي، صدري يضيق تارة ويفرح تارة، ولا أعلم السبب!» فقال(عليه الســلام): «نحن أهلُ البيت أئمّتُك فمن الطبيعي أن ينقبض صـدرُك إذا انقبضَـت صـدورنا وإذا سُرِرنا فإنك تفرَح!» بل وفوق ذلك، إنك ستفهم أيضـاً ما سـبب فرح صـاحب الزمان(عج)! فقط كُن حيّاً! يا أخي، عِش قليلاً!.

الإدمان على سوء الحال!

لقد أنِسنا، نحن معاشر البشر، بتنكيد عيشنا، اعتدنا على العيش بمرارة وعلى ســـوء الحـال، فمـا إن تتحسّــن أحوالنا نبادر بأنفسـنا إلى إفســادها! هكذا أصبحنا..!

- بأيِّ مشكلة كنتَ متورّطاً؟

- تورّطتُ بمشكلة شغلَت كل تفكيري.

- طيّب، فُضَّت والحمد لله؟

- أجل، فُضَّت للتّو.

- حسنٌ، الحمد لله، افرَح إذن.

- أجَل!... لكن.. مهلاً..!

- غُصتَ في أفكارك، لماذا؟

- أفتّش عمّا إذا كان لديَّ مشكلة.. للغوص فيها..!

- تعساً لك! أَخرجَك الله من مشكلتك تلك، فتُنقِّب عن أخرى؟!!

صــارت الحياة عند أغلبنا بهذه الصـورة. اعتدنا – كالمرضـى - على شـغل أذهاننا بالمشـكلات! ما إن يَفُضّ لنا مشكلة حتى ننشغل بالأخرى. كالمرضى.

أخذوا مؤخّراً ينشرون في الفضاء السيبري صوراً "لإيذاء النفس"، فتيان وصبايا يشرّطون أيديهم بالمِشرَط ما يُحدث لهم ألَماً ونزفاً مُدّعين أن هذا يهدّئ أعصابهم! قد نقول: "يا ويلي، ما هذه الفظاعة!".. لكن الكُل هكذا!! بل لقد اعتدنا التفكير بالمآسي، والانشغالات، وأصناف القلق، والحسرة، والحسد. أصبح مادّةً لعقولنا..! كالمرضى.

إذا صفا فكرُك فلا تُقحمه في التعاسة. إنّ البعض ليجترّ أفكاره السلبية اجتراراً! في الأمس كان مشغول الفكر في موضوع سلبي، فنام، واستيقظ صباحاً، وقد نسي الموضوع، وانخفض ضغط دمه.

- طيّب، اترُك الموضوع! اتركه! تعال واقرأ بعض القرآن، اتلُ دعاءً، اشغل نفسك بشيء آخر!

تراه يُخرج أفكاره السلبيةَ ثانيةً ويشرع في اجترارها: حسنٌ، بماذا كنتُ أفكّر؟ هذه كانت مشكلتي! لكنني كنتُ شديد الانزعاج بالأمس، فلأتعمّق بالفكرة كي أبلغ درجة انزعاج الأمس! كأنّي لم أدرك عمق الكارثة جيداً..!

- تعســاً لمثل هذا العيش! ما عســا الإنســان يقول؟!
إنه مريض، مُدمن.. مُدمن على الأفكار السلبية!

- يا هذا، أَحِل أمرَك إلى اللّه.

- وسيُفَضّ إن أحلتُه إلى اللّه؟

- أجل.. بالتأكيد.. يقول لك اللّه: أنا ســـكرتيرك.. أنا مـديرُ أعمـالـك.. أنـا زميلـك في العمـل، اذهَـب في إجازة! سأنجز أعمالك.. أرِح فكرك من الانشغالات.

السكرتير الجيّد هو الذي يريح فكر مديره، يقول: لا داعي لتدوينـه ما دمتَ أحَلتَـه إلَيّ، كن مطمئنّاً أني ســـأنجزه في وقتـه. اللّه يقول لـك: أَحِلْـهُ إلَيّ، أنـا سكرتيرك.. أرِح فكرَك.. كن مطمئنّاً.

- وسيُفَضّ إن أحلتُه إلى اللّه؟

-أجل.. يقول لـك اللّه: أنـا ســـكرتيرك.. أنـا مـديرُ أعمالك.. أنا زميلك في العمل، اذهَب في إجازة! كن مطمئنّاً.

فقدان البهجة والسرور علامة المرض.. إنه موضع المرض.

العادات التي تحُول دون سرور الإنسان

عدم السعادة يعني فقدان الصحّة.. يعني المرض. الإنسان لا يكون سليماً روحياً إلا ساعة الفرح فإن ذهب عنه الفرح مَرِض، وهو مرض مزمن جدّاً إلى درجة أن الكثيرين لا يلتفتون إليه. فإن أراد المرء نَيل الحلاوة واللذة فلابد أن يتمتع بنوع من الصحّة. كيف تحظى بهذه الصحّة؟

ضروبُ الخوف الذي ليس في محله مما يعتاد عليه البعض.. ما تعوّد عليه بعضهم من تفكير في بعض المخاوف.. وكذا الحسرة والحزن اللذان صارا عادة لدى البعض.. الذين يتعوّدون على أيٍّ من هذه الصفات السلبية لا يذوقون طعم السعادة أبداً. بل إن بعض الناس هو «ابن القلق»! فإن قُلتَ له الآن: علامَ قلقُك؟

قال: «قلِق بشأن تسديد أقساط القرض!»

ـ «لكن المُقرض يقول: وهبتُك القرض!»

ـ «أحقاً ما تقول؟!.. يا الله.. كم كنتُ قلقاً بشأنه..» وإذا به بعد دقيقتين يفكر..

ـ «بماذا تفكر الآن يا هذا؟»

يقول: «تمهّل لحظة.. أنا الآن.. لستُ أدري بماذا أفكر تحديداً، لكن...!!»

التعيس يقلّب ذاكرته علَّه يعثر على مصدر قلَق آخر، وفجأةً: «أجل، تذكَّرت...!!» إنه مريض.. يفتش عن موضوع مقلق يفكر فيه.

الإنسان يتعوّد على كل خصلة. تضَعهُ في أسعد الظروف، فيقول متنهّداً: «واحسرتاه!»

ـ «قبّحَكَ الله!.. واحسرتاه؟! ألم يصفّق لك الجميع الآن.. ألم تفرح؟! تعساً! لا أحد يملك حياتَك هذه.. أرِحْ أعصابَك..!»

يجيب: «أنت مخطئ..»، ويظل يفتش عما يتحسّر عليه!

إنها عادة روحية لدى البعض، فالإنسان يتعوّد على الغضب.. ويتعوّد على التحسّر.. بل إن من عادة

البعض أن يحقدوا على أحد ما، ومن عادة بعضهم التفتيش عن عيوب الناس وإلقاء مشاكل أنفسهم في رقاب الآخرين، ومن عادة آخرين إذا تورّطوا في مشكلة أن يفتشوا، أوّلاً، عن مُذْنِب.. فيعكفوا، ثانياً، على كيل الشتائم له.. ويظلّوا، ثالثاً، يلعنونه.. ثم يخشون، رابعاً، أن يظهر مذنب آخر في حياتهم...!!

- «دعكَ من هذا.. لِمَ الإلحاح.. لقد أشقيتَ نفسك!»

رفاق، هذه الخصال تنقلب عادات. الذين يتعوّدون على أيٍّ من هذه الصفات السلبية لا يذوقون طعم السعادة أبداً. الذين يتعوّدون على هذه الصفات السلبية لا يذوقون طعم السعادة أبداً.

لا مفرّ من الآلام!

أساساً الإنسان لم يُخلَق إلا للآلام واللذّات. حين نقول «آلام» فلا يظن أحدٌ أنه مستثنى منها. وحين نقول «لذّات» فلا نستثنيَنّ أحداً من طَلَب اللذة.

فحياة بني البشر كافّة تتلخص في تدبير التعامل مع الآلام واللذات. فأراذِل القوم وسفلتهم يعيشون على هذه القاعدة، وأولياء الله والصالحون أيضاً يعيشون عليها، ولا فرق بينهم إلا في مستوى الألم واللذة. وخلاصة حياتنا هي في تدبير الآلام واللذات، وهو كيف نتخطّى «آلاماً ما» لنتنعّم «بلذّاتٍ ما»؟ ما هي طُرُق تخطي هذه الآلام لبلوغ أعظم اللذات؟

الخطوة الأولى هي الإدراك. مثلاً على الإنسان أن يدرك بأنه لابد من المِحَن في هذه الدنيا. وأنّ الأمر لا بُدّ وأن يختلط عليك! فلو أردتَ اختيار زوجة بحيث لا تتنغّص حياتُك بسببها فكُن مَلاكاً، أو حيواناً! الملائكة والحيوانات هكذا. فلا بدّ للناس من مقاساة الآلام في تعاملهم مع بعض. لا تَعِش!

لماذا نحن غير قادرين على تخطّي بعض المِحَن؟ لأننا نجهل أنّ بعض المِحَن لا مفرَّ منها في حياة الإنسان. لقد خلق الله الرجل والمرأة ليتمكّنا، بما لديهما من اختلافات، من أن يُمَتّعا أحدهما الآخر، ومن تعذيب أحدهما الآخر أيضاً. لماذا نكذب على أنفسنا أحياناً، ونعيِّشها في خيال؟! بعض الناس

امتحاناتهم العائليّة أصـــعب، وبعضـــهم ابتلاءاتهم العائلية أسهل، لكن لديهم ابتلاءات أخرى أصعب.

بعض الكَنّات يواجِهنَ مشــاكل فيلجأنَ إلى أمّهاتهِنّ وآبائهِنّ: «زوجي هذا يؤذيني، لقد حصـــل كذا وكذا..!» فعوضاً عن دفاعِكم عن ابنتكم قولوا لها: هذه مُنغّصـــات الحياة.. الكلّ يعاني منها.. بل هناك الأسوأ.. إنها قابلة للحل.

ـ «كلا. قلتُ له، فلم ينصَلح!»

-«لو كان قد انصـــلح مباشـــرة لكان عبدَكِ.. لكان حَمْلَك الوديع! إنه إنسان، وإصلاحُه يطول. هذا إذا كان الحقّ معكِ! فقد تكونين مبالِغةً في توقّعاتك! لكن المهم أنّك انزعجتِ! حســـنٌ، نحمد الله أنّ انزعاجك في هذه الحدود! فقد باتَ معلوماً علامَ هو انزعاجك».

قال (أحدهم): «أبي يؤذيني».

فقلتُ: «طيّب، الحمد الله!»

- «أتهزأ بي يا شيخ؟!»

قُلت: «كلا، أبداً. فلا بد لكل امرئ من شِدّة، وشِدّتك هي أنّ أباك يؤذيك، وهي أسـلَم بكثير من الشـدائد الأخرى!» فـالعِلم بـالشـيء يخفّف الآلام على الإنسـان، ويمنحه القدرة على اجتيازها. إنّه شـيء جيد جدّاً.

يقول أمير المؤمنين علي(عليه السـلام): «إذا نَزَلَ بكَ مَكروهٌ فانظُر» وتفحَّص «فإنْ كانَ لكَ حِيلَةٌ، فَلا تَعجَز». أي إن كان لديكَ علاج لإزالة هذا المكروه فلا تجلس عاجزاً، بل قُم وعالِجْه.. هلاّ قُمتَ؟! «وإنْ لَم يَكُن فيهِ حِيلَةٌ»؛ أما إذا لم تتمكن من إزالة هذا المكروه ولم يكن في يدك حيلة «فلا تَجْزَع»[شـرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج ٢٠ – الصـفحة ٣١٠] طيّب، دعه وشـأنه! إن استطعتَ حلّ المشكلة، فحلّها، وإلا فدَعها وشأنها!

كان الإمام الصـادق(عليه السـلام) جالسـاً يوماً مع أصـحابه فإذا بصـوتِ بكاء يرتفع من البيت! فقام(عليه السـلام) وقال: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون» ودخل البيت، ثم خرج والبِشْرُ والهدوء في وجهه

ـ ماذا حصل، سيّدي؟

ماتَ ولدُه!

بل رُويَت عن الإمام الباقر(عليه السلام) قصة مماثلة وبالتفصيل. إذ قيل: كان(عليه السلام) متألّماً جداً، يروح إلى داخل البيت ويجيء حيث كان ابنه مريضاً بالحُمّى. فقلنا: «ماذا سيجري على الإمام(عليه السلام) لو فارق ولدُه الحياة؟!» فإذا به(عليه السلام)، بعد أن مات الولد، يرتدي ثوباً جديداً، ويكتحِل! فقالوا له: «سيدي، قلنا لا بدّ أنك ستجزع جزعاً عظيماً لموته! إذ لقد رأيناك جزِعاً أثناء مرَضِه»

قال: «لأنني لا أحب أن يمرض ولدي، ولا أن يفارق الحياة. فأنا أحبّ ولدي، وأحبّ عافيتَه أيضاً. ولقد حاولتُ جهدي، ودعوتُ له كذلك لكن الله أراد أن يأخذَه.. إذن أنا مُسَلِّمٌ لأمره!»

لا بدّ أن يكون في هذه الدنيا مكاره. إن كان لديكَ علاج لإزالة هذا المكروه، فعالِجْه، أما إذا لم تتمكن من إزالة هذا المكروه ولم يكن في يدك حيلة.. طيّب، دعه وشأنه «فلا تَجزَع»!

ما هي طُرُق تخطي هذه الآلام لبلوغ أعظم اللذات؟ الخطوة الأولى هي الإدراك. لا بدّ أن يكون في هذه الدنيا مكاره.

التوجه إلى الله بعون الموسيقى

إن الله جذاب جدّا وأوج جذابيته في أنه لا يرى ولا يسمع بل لابد من اكتشافه، فعليك أن تكتشفه، يجب أن تصرف وقتا وتنشغل به عمّا سواه.

قال لي أحد الأساتذة في الموسيقى شيخنا لا تتصعّبوا كثيرا في الموسيقى. فقلت له ولكننا لا نتدخّل الآن بشأنكم. قال صحيح ولكن الموسيقى مهمّة جدّا. وأنا أتوقّع أن في المستقبل سيستخدمون الأرغن في المساجد ويعزفون الموسيقى، كما يستخدمونها في الكنائس.

فقلت: ولماذا يستخدمونها في المساجد؟ قال: لأن بعض أنواع الموسيقى تستهوي القلوب وتجذلها، بل إنها معنوية وعرفانية وتجذب القلوب صوب

الله. فقلت: المشـــكلة هي أنك لم تلتفت إلى نقطة. قال: وما هي؟ قلت: هي أن الله يريد أن تتوجه إليه بلا اســـتعانة؟ قال: وما الإشـــكال في ذلك. قلت: إشـكاله هو أنه قد أعدّ صـلاة الليل وقال لا يفترض أن يـأتيك مدّاح أو خطيب أو نـاعٍ في ذلك الوقت! ينبغي في ذلك الوقت أن تكون نفسًـــك، فلا تشـــغّل شـريطا ولا تبث شـريط مناجاة بل كن كما كنت، ولا داعي لأدائها جماعة، بل ائتني وحدك.

إن لم يتّجه قلب امرء إلى الله إلا بالمحاضـــرة فهذا غلط. وإذا كـان المرء لا يتجـه قلبـه إلى الله إلا في جلســة المناجاة العامّة فهذا غلط. جلســات المناجاة العـامّـة في محلّهـا، ولكن فليحـافظ على المنـاجـاة بشكل خاص أيضا. وليكن لـه واعظ من نفسـه. فعظ نفسك بنفسك.

◈متى ما صرتَ حيّاً تعال لنتحدّث حول الموضوع!

أيُّ مراتب من الحياة حصـــلتَ عليها؟ أيُّ طاقات تفجّرَت فيك هي غير موجودة في النـاس العاديين؟ مـا فرقُك عن الكفـار؟ أيُّ زهرة في عـالم الطبيعـة تسـتطيع شَـمَّها وهم لا يسـتطيعون؟ ما الجمالات التي أدركتَها؟ ما الذي تدركه ولا يدركه الآخرون؟ قل لي!

يدور الكلام في القرآن الكريم عن مفهومٍ اسـمـه «الحياة» ويُراد به غالباً «المسـتوى العالي من الحياة». حياةٌ غير هذه الحياة. فالحياة تعني أوّلاً «أنْ تكون حيّـاً»، ومن ثم «أنْ تعيش». الحيـاة تعني أوّلاً «أنْ تكون حيّاً».

كم تملك من الحياة؟! إذا ربطوا عينيك وأخذوك إلى مسجد بُنِيَ حديثاً ثم اقتادوك إلى مسجد آخر يُصلَّى فيه منذ مائة عام فلا بد أن تدرك الفرق بينهما، وإلا فإن مشـاعرك ما زالت خامدة، وحياتك لم تبدأ بعد! حياتك لم تبدأ بعد.. حياتك لم تبدأ بعد!

ما المقصود من الحياة؟ الحياة في القرآن تعني: كُن حياً بمعنى الكلمة

ـ حسنٌ، ماذا لو تمتّعنا بمستوىً أقلّ من الحياة؟

- القرآن يقول: أنـت إذن ميـت! يقول: «وَمَـا أَنْـتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُور»، أيـها النبي، أنت لا تستطيع أن تكلّمَ مَن يرقُد في قبر

- لكنـه يمشي، و..!

- الله يقول: أمـا ترى إنـه في قبر؟! أمـا رأيـت القبر مظلماً، ويتعذّر التنفُّس فيـه؟ هل هذا يتنفّس؟.. هل يمشي؟.. هل مشى؟.. متى؟ إنـه راقد في قبر! صلّوا على «غير الميت!» هذا، بفتوايَ! إنـه يشيّع جنازة نفســه! هو يشــيع جنازتَه منفرداً! ينادي «قولوا لا إلـه إلا الله»، ويسـير! إلى أي مدى تشـعر أنك حي؟ أنت لا تستطيع أن تكلّم مَن يرقُد في قبر. الله يقول: أما ترى إنـه في قبر؟!

تعالوا، يا رفاق، نبعث في أنفسنا إحساساً بالحاجة إلى الحياة. وأفضـــل مثال على ذلك هو هذا الذي تعيشـــونه الآن؛ وهو هذه النفحة من الحياة.. مثل حُبّ الحسين(عليه السلام)! فقسماً بالله إنك لا تحب أمك هذا الحب. ولا الأم تحب ولدها كهذا الحب. ولستَ تحبُّ أباك هكذا. بل ما من أب يحب ابنَه كما تحبّ أنت الحسينَ(عليه السلام)! يستحيل أن يبكي

المرء عشرَ سنوات على أمه إذا فارقَت الحياة. إنك الآن تعيش في مرتبة أخرى من الحياة. أساساً إنك لدى بكائك على الحسين(عليه السلام) لم تعُد تحسب كم الحسين ينفعُك. إنك تعيش تجربة العشق. إنها مرتبةٌ أخرى من الحياة. مرتبةٌ الإمامُ الحسين(عليه السلام) وهو في مصرعه هو الذي طلبها من ربّه: «إلهي، اسمح لي أن أذهب لأذيق هؤلاء رشفةً من الحياة.»

ـ ماذا يصنع الأنبياء؟ إنهم يبغون إحياءك

ـ وهل نحن موتى؟!

ـ أجل، بالتأكيد!

«يا أَيُّهَا الَّذينَ ءامَنُوا اسْتَجيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذا دَعاكُمْ لِما يُحْييكُمْ». النبي(صلّى الله عليه وآله) يريد إحياءَك، لكي يرتفع مستوى مُتعتك، ولكي يعلو منسوب حُبّك، لكي تفرح أكثر. الدين ليس مجموعة لوائح لتنظيم القوانين، بل هو يسعى لإحيائك.

رجل من الصالحين من تلامذة العلامة القاضي(قده) وهو آية الله أياذي، والآن ذكرى سنويته، التقيتُ

بـه عدة مرات.. أيّ رجل ربّاني كان! قال لي أحد تلامذته بعد وفاته: كنتُ أدير مدرسته الدينية، وكان الطلبة يزعجونني. فقصَدتُه مرّة وقلت له: «الطلبة لا يصغون إلَيّ. أنا أريد إدارة شؤون المدرسة وهم يظنون أنني أفتش عن مصـــلحتي! إعزلني لأتفرّغ لدروســـي.» فقال لي: «سَـــآتِ مســـاءً ونتكلّم في الأمر.» فجاء مســاءً إلى ساحة المدرسـة وناداني، ثم قال لي: «لماذا الشكوى؟! في النهاية لا بد للعمل من بعض المشاحنات. فالأذواق مختلفة. تكلّموا مع بعضكم، حاولوا إقناع بعضكم البعض.» وفيما كنتُ أتمَلمَل تارةً وأُنصـــت إليه تارة أخرى، وفيما هو يتحدث، مَدَّ يدَه فرأيتُ شـــجرة نارنج تبعد مســـافة مترين أو ثلاثة أمتار. وإذا بالشجرة تُقرِّبُ إليه أحدَ أغصانها أكثر فأكثر فأكثر حتى قطف منها نارنجة! وأنا أنظر إليه هكذا مبهوتاً. وتابَع: «أحياناً الإنسان يملك الإرادة لحل مشـــاكله. فلتُقَوِّ إرادتَك قليلاً.» وناولَني النارنجة، وذهب!

كُن حيّاً

- حقّاً.. أيّ مراتب من الحياة حصلتَ عليها كإنسان متدين؟

- حاليّاً أُنَفّذ الأوامر!

- طيب، أوَلَيس الأوامر غايتها أن تجعلك حيّاً! أي طاقات تفجّرَت فيك هي غير موجودة في الناس العاديين؟ ما فرقُك عن الكفار؟ أي زهرة في عالم الطبيعة تستطيع شَمَّها وهم لا يستطيعون؟ ما الجمالات التي أدركتَها؟ ما الذي تدركه ولا يدركه الآخرون؟ قل لي! قل لي، قل لي! لا بد لك الآن أن تستشعر لذّات لا يستشعرها الآخرون. «لِمَا يُحيِيكُم» الدين يمنحك الحياة. انظر، متى ما صرتَ حيّاً تعال لنتحدّث معاً حول الموضوع.

- يا شيخ، إلى أين أذهب لأصير حيّاً؟!

- مجرّد انبعاث هذا التمنّي للحياة في نفسك يعني أن علامات الحياة تُشاهَد عليك! لقد بدأت علامات الحياة تظهر على هذا الميت!!.

كيف نصلي صلاة جيدة؟

الصـلاة، في المرحلة الأولى، التزامُ الأدب وليسـت مبادلةَ الله الغرام! ما إن يقال "صـــلاة" حتى يظن البعض أن الصــلاة الجيدة هي تلك التي تظلّ، من أولها إلى آخرها، تذرف الدمع وترتعد فرائصــك خوفاً من الله! كلا، ليس في الصـلاة أبداً شـيء من هذا.

اســمحوا لي أن أخبركم بمعنى الصــلاة الجيدة في المرحلة الأولى. ليســت الصــلاة عبادة يتحتم أن تؤدّيها بحال معنوية.. تؤديها بدموع.. تؤديها ببكاء ولوعة وعشق، لأنك حتى وإن كنتَ من أهل اللوعة والدمعة فإن أمير المؤمنين(ع) يقول: «إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالاً وَإِدْبَاراً»؛ فأحياناً تكون لدى المرء رغبة في العبادة وأحياناً أخرى لا تكون لديه هذه الرغبة! من المستحيل للعبادة التي يجب ممارستها خمس مرات في اليوم أن يكون من الضــروري البكاء أثناءها! فلو كان البكاء لزاماً عليك كُلّما صــلّيتَ لقال الله: "صَلِّ متى ما وجدتَ عندك حالاً للصلاة".

المرحلة الأولى في أداء الصلاة الجيدة هي السلوك فيها، إذ يجب أن يكون عن أدب. فلنُحسِن الوضوء.. لا نَصفِق الماء هكذا على أذرُعنا! فإننا نقوم بعمل وقور. فلو أردتَ غسل الفاكهة أمام الضيف وتقديمها له كيف ستغسلها؟ ستغسلها باحترام. فحين تتوضّأ أمام الله فهو ليس غَسلاً لتضرب بكفك هكذا وتنصرف! فلنُحسِن الوضوء.

ما معنى التأدّب أمام الله؟ قيل: القراءة الصحيحة للقرآن. سؤال: متى تَبطُل الصلاة؟ إذا صلّيتَها بشكل خاطئ، أم إذا صلّيتَها بلا بكاء؟ كم خصصتَ من الوقت لتُتقن القراءة الصحيحة في الصلاة لتتلفّظها عربية بمعنى الكلمة؟ إذا وقفت للصلاة لا تُنَقّل بصرَك هنا وهناك.. صَلِّ بأدب. إذا وقفتَ أين يجب أن تنظر؟ إلى محل السجود. فأين ينبغي النظر إذا ركعتَ؟ لو نظرتَ إلى التُربة عند الركوع.. سيرتفع جفناك.. وهذه إساءةُ أدب! فالمرءُ بين يدَي الله لا يرفع بصرَه إلى هذا الحد! علامَ يجب أن تُسَمّرَ بصرَك حينها؟ على قدميك.. أسفل قدميك. فأين يجب أن تنظر حال التشهُّد؟ إنك إن نظرتَ إلى

التربة انفَرَجتْ زاوية نظرك أيضاً. أثناء القيام عليك النظر إلى التربة، لكنك إن نظرتَ إليها جالساً تنفرِجُ زاويةُ البصـــر ويرتفع جفناك. فتأدّبْ!.. انظر إلى ركبتيك أثناء التشهد.. لا إلى التربة.

- خصِّصْ (للصلاة) وقتاً كافياً.

- لكنني والله مستعجِل!

ـ "مهلاً.. أين تريد الذهاب؟ أمنزعج من أنني شئتُ أن أمارس ربوبيّتي عليك، وأشـــاهد عبوديّتك لي معاً؟! أبِالسرعة هذه؟! أبعدم الصبر هذا؟!"

مَن فرغَ من صـــلاته فانصـــرفَ ولم يأتِ بالتعقيبات قال الله: «خُذُوا صَلاتَهُ فَاضْرِبُوا بِهَا وَجْهَه». قلت له: أعطيك الآن كل ما تسألني، فنهض وانصرف.. إلى أين يذهب؟ أبِالســـرعة هذه؟! أبعدم الصـــبر هذا؟!"

ليست الصلاة عبادة يتحتم أن تؤدّيها بحال معنوية.. تؤديها بدموع.. تؤديها ببكاء ولوعة وعشـــق. المرحلة الأولى في أداء الصلاة الجيدة هي السلوك فيها، إذ يجب أن يكون عن أدب.

هذا من فضل ربي

خذوا دنياكم من فضـــل الله يا رفاق. هذَا مِنْ فَضْـــلِ رَبِّي. أرأيتم أولئك الذين يتعرّضـــون للظلم، إنهم يقولون: «الله عادل.. الله يســـتوي في موضـــعه المناســـب». فالذي يكتوي بنار الظلم يثق بعدالة الله فيهدّئ بذلك نفسَـــه. لكن هذا الإنســـان نفســـه يهرب أحياناً من عدلِ الله. وهذا يحصـــــل في.. الأدعية، وعلى لســـــان.. أئمة الهدى(ع) أنفســـــهم! «عدلكَ مهرَبي»، من عدلكَ أنا أفرّ!! عدلك (يا إلهي) لا يسُرُّني!

ـ فماذا تريد إذن في مقابل العدل؟ أتريد الظلم؟

ـ كلا.. أريدُ فضلَك عوضاً عن عدلك!!

وعدلُكَ مُهلِكِي، وَمِن كُلِّ عَدلِكَ مَهرَبي (مقطع من دعاء عرفة)

من عدلكَ أنا أفرّ!! والله يعلَم بهذا. هو ينادي: أيا هذا.. هل سئِمت.. من كل هذه الضوابط.. والقواعد؟

ومن هذا العالم المليء بالفعل ورد الفعل؟ تعال لأُسعدك. فهناك أيضاً مكان يمكنك أن تحلّق فيه، هناك أيضاً محل تكون فيه طليقاً، هناك أيضاً موضع أُعامل فيه عبدي بشكل آخر. إنّه الموضع الذي أُعامِل فيه بفضلي. وإنّ الفضل بيدي.

إلى أي مدىً هذا الكلام جدّي؟ دعوني أنقل لكم قصة. لقد حسدَ إبليسُ آدمَ فقال: «لا يمكنني أن أرضخ للأمر». قال الله: «أنا الذي آمرُك!». فقال: «وليَكُن!». قال: «لقد كنتَ عبدي!». أجاب: «لم أعُد الآن عبدَك!» إلى هذا الحد بلغ به الكفر! قال الله: «إذن أنت رجيم.. أغرب عني وسأرى ما سأفعل بك يوم القيامة». فقال إبليس: «عبَدتُك ستة آلاف سنة، وأنت لا تذر عبادةً دون أجر. ألستَ تريد أن تحاسبني يوم القيامة.. فلقد كفرتُ؟ إذن أعطني أجري في الدنيا!» كم كريمٌ هو الله! قال تعالى: «قل أنتَ كم أُعطيكَ لترضى كلّ الرضا.. وسأعطيك» قال: «أعطني عمراً طويلاً يمتد ليوم القيامة». قال: «أُعطيك إلى زمن ما».

- «أعطني ولَدَين مقابل كل ولَد لآدم». قال الله: «أعطيك». فقال: «وأريد أن أجري كالدم في عروق بني آدم». قال الله: «أعطيك!!» احملوا فضلَ الله على محمل الجد. ثم قال: «طيّب، هذا كان أجري يا إلهي، فهاتِ شيئاً من فضلك!!»

إنه يعرف الله. هاتِ شيئاً من فضلك! إنه يعرف الله. فإذا بنا نحن من التفاهة بحيث نحضر مراسم دعاء فلا نطلب من فضل الله شيئاً!! «أعطني أيضاً من فضلك».. هذي التي تمنح النشوة.

فقال الله: «حسنٌ». فكان ما أعطاه من فضله خيراً من كل ما قبله، «خيراً» من وجهة نظر إبليس طبعاً. قال: «سأجعلُ ابن آدمَ إذا وَسوَستَ في صدره لا يلتفت إلى أنك أنت الذي توسوس له، بل يتصوّر أنّه هو يريد ذلك». قال: «ممتاز». حتى إبليس يعلم ما معنى الفضل! ويعرف أن الله أهلٌ للفضل، وهو يستحصله منه. ويعرف أن الله أهلٌ للفضل.

هل شاهدتم البعض يضع على باب داره يافطة تقول: هذا مِن فَضلِ رَبّي؟ هل تعلمون أنه يُستَحَبّ أن يقول المرء لما يملك: هذا من فضل الله؟ ثم إنّ

الله يعطي عبدَه العارف بفضــله المزيد من فضــله. «من فضله» يعني: «لم يكن من المقرر أن أعطيك هذا، فكان يتعيّن، وفقاً للقاعدة، أن تُمتَحنَ أنت بامتحان الفقر مثلاً»

- «إذن فلماذا أعطيته يا رب؟!»

- «على كُلٍّ، لقد أعطيناه من فضلنا!»

- «ومَن يستحقّ هذا الفضل؟»

-«على كلّ حال.. لو كان من المقرر أن يخضـــع لقاعدة وأن أزوّدك بها لكان من العدل! إنه فضـــل، هل تفهم ذلك؟ أتفهم ذلك؟ إنه فضل!»

هذَا مِنْ فَضْـــلِ رَبِّي. هو الذي قال: «ابتغوا من فضلي». فليس في حوزتنا حقاً ما يستحق أن نبذله في حضرة الله تعالى.

◈لا تبكِ الحسين(ع) بصمت وكبرياء!

أيها الرفاق، يا أحبائي، إحدى طرق التواضـــع هي المشـــاركة في المواكب الراجلة. إذهب والطم في المواكبِ الراجلة في الطرقات. وإذا توقّف الناعي، وأيّاً كان مقامُك، دكتوراً أو مهندساً أو أستاذ جامعة أو تاجراً أو رئيســـاً، أينما وقف الناعي أبرُك على الإســـفَلت واشـــرَع بالبكاء. مواكب العزاء الراجلة مهمة جداً. لا تظل تمارس العزاء كأهل الطبقة الراقية. أطلق المواكب، وسِرْ فيها.

ســـماحة آية الله العظمى البروجردي(قده) كان الجميع يودّون تقبيل يده. تعلمون أنه كان عارفاً أيضاً. سماحته كان أُصيب في أواخر عمره الشريف بوجع العين. كان الناس يرغبون في تقبيل يده، لكنه كان يرفض. يرفض لأنه من غير الممكن أن يتقاطر الجميع ليلَ نهار لتقبيل يده. وإذا به يســـير في أعقاب موكبٍ راجل ويأخذ من تراب أُقدام المُعزّين ويضـــعه على عينه فتُشـــفى! تراب أقدام نفس أولئك الذين يودّون تقبيل يده. لقد شـــاركَ في الموكب للتبرُّك بتراب أقدام المُعزّين.

كان الإمام الخميني(قده) يقول إنه لو اكتفى بقراءة زيارة عاشوراء بمئة لعن ومئة سلام تحت سقف لما حُفظ الإسلام، فالمذهب بحاجة إلى الضجيج. إذا شاركتَ في المأتم فردّد مع اللطمية. لا تجلس من دون ترديد. لا تشمَخ بأنفك. ارفع صوتَك. فديتُ الحسين(عليه السلام) بنفسي، فمن شدّة ما أثاره أعداؤه من الضجيج يوم عاشوراء لم يدَعوا أحداً يسمع صوته! الترديد مع اللطمية أشبه بالارتجاز. فقولهم: «أميري حسين ونعم الأمير» هو ارتجاز، فارتَجِز.

لا تبك على الحسين(عليه السلام) بصمت.. وبكبرياء! فلا أحد كبير في مدرسة الحسين(عليه السلام)، الجميع تراب تحت أقدامه. كان العلامة بحر العلوم، أو غيره من علمائنا الأعلام، واقفا مع جماعته بين الحرمين. كان يوم عاشوراء، وكان الناس يهرولون، والجوّ صاخب، وإذا به فجأةً يهرول تاركا الآخرين! فقالوا له: سيدنا، لكنك رجل وقور، ومرجع تقليد! قال: إذا رأيتُ الحجة بن

الحسن العسكري(عليه السلام) يهرول فما عساي أصنع؟!

مواكب العزاء الراجلة مهمة جداً. أطلق المواكب. ارفع صوتك من أجل الحسين(عليه السلام).

🔶لا تكن كباقي الناس

هناك حافزٌ بين سائر حوافز الإنسان من شأنه أن يعدّل حوافزه. ويجعله حوافزَ آدميٍّ! وما ذاك الحافز؟ حافز الاختلاف عن باقي الناس

عاش كباقي الناس ومات مثلهم كم هو عارٌ هذا الكلام على كلّ فرد منكم الحاضرين في هذا المجلس لا تكن كباقي الناس كن مميّزا

كان إنسانا عاديّا كباقي الناس فكلما جاع أكل، كباقي الناس وكان يأكل قدرَ ما وَسِعَت بطنُه، كباقي الناس وكلما تعب انهدّ ونام، كباقي الناس وكان ينامُ مُنبَطِحاً على بَطنه قدرَ ما وَسِعَه المجالُ، كباقي الناس ثم يستيقظ غير نشيط لأيّ عمل. كباقي

الناس ثم يسترجع وعيَه شيئا فشيئا، قُبَيلَ الساعة العاشرة أو الحادية عشر صباحا، كباقي الناس كان أسير شهواته، كباقي الناس وكان يطرب للمدح والثواب، كباقي الناس وكان يخاف مثل "الكاف. لام. باء" أن يستهزئ به أحد، مثل باقي الناس وكان ذليلا أمامَ استهزاء الناس ومدحهم، كباقي الناس كان مولعا بالشهوات، كباقي الناس كان حسودا كباقي الناس كان بخيلا كباقي الناس كان شقيّاً كباقي الناس وصار إلى جهنمّ كباقي الناس! وأنت كباقي الناس أيضا! كن مميّزاً وهل يسعنا أن نكون مميّزين جزافاً؟! يا عمّ! هيّا نكون مميّزين

- وما عسانا أن نفعل؟

- لنمشِ على أيدينا بعدَ اليوم!

لا يمكن ذلك. فإن شئت أن تكون مميّزا عَبَثاً، انتهيت إلى تُرُّهات الموضة هذه. لسنا بصدد الانتفاضة [على الأعراف] لابدّ أن نحظى بمَبنَى

أنا أعطيك مبنىً يا عزيزي! أعطيك مبنىً تتوقّدُ به ذريّتُك إلى عشرة أجيال انظروا إلى قول الإمام الخميني(ره): «إن ثورة الشعب الإيراني هي

منطلق ثورة العالم الإســلامي العظمى بقيادة الإمام الحجّة أرواحنا فداه، منّ الله على جميع المســلمين وأهل العالم وجعل ظهوره في هذا العصـر الراهن. إنّ القضــايا الاقتصــادية والمادّية إن صــرفت المسؤولين عن تكاليفهم الملقاة على عاتقهم لحظة واحدة، فإنه ينتهي إلى خطر عظيم وخيانة جسيمة لابدّ للدولة في الجمهورية الإســلامية أن تبذل قصــارى جهدها في إدارة شـؤون الناس بأحســن وجه ولكن ليس ذلك يعني أن تلفتَهم عن أهداف الثورة العظيمة المتمثلة بإقامة حكومة الإســلام العالميّة.» نحن بانتظار ثورة الإمام صــاحب الزمان(عج). لدينا مهمّة! لدينا شغل مع أهل العالم

كم نفرا منكم الجالسين هنا يحمل رسالة عالميّة؟

كم نفرا منكم يعرف لغة شعوب المنطقة؟

وكم منكم يعرف لغة أبناء فرنسا وانكلترا وألمانيا؟

كم منكم يعرف لغة أبناء أمريكا الجنوبيّة؟

لقد ســافرت إلى أقصــى نقاط أفريقيا فكانوا متعطّشين!

أي بقعة في العالم إن تذهب
إلى اليابان، روسية، الصين..
واتّجه نحو جانب.

كمال الانقطاع...

أســـمعتم عبـارة: «إلَهي هَب لِي كَمـالَ الانقِطـاعِ إلَيك»؟ «هَب لِي كَمالَ الانقِطاعِ إلَيك».
أنا محتاج إليك... أترقّب آيةً منك..
طيب، كيف يُوجَد كمال الانقطاع هذا؟
عجيب جدًا. ثمة أشــياء علينا اســتحضــارها في أذهاننـا.. أضــخم خطوات حيـاتنـا، هي تلـك التي تحصــل في الذهن. في الحديث: «إذا أَرادَ أَحَدُكُم أَنْ يَسْــأَلَ رَبَّهُ شَــيئًا إلّا أَعطَاهُ»؛ أي إذا طلبتَ من الله شيئًا وتريد أن يعطيك إيّاه حتمًا «فَلْيَيْأَسْ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِم وَلا يَكونُ لَهُ رَجاءٌ إلّا مِن عِندِ الله»[الكافي – الشيخ الكليني – ج ٢ – الصفحة ١٤٨] فلا يخطر

في ذهنك أمل إلا بالله تعالى. فحقًا لا أحد يمكنه التأثير في حياتنا، لا أحد، أبدًا.. إننا إن أصابتنا وَعكة أو مشكلة بسيطة عدّدْنا أولًا الأسباب والوسائل.. اِيأَسْ من الناس جميعًا.

«يَعلَمونَ أَنّي أَقدِرُ عَلَى أَنْ أُعطِيَهُم ما يَسأَلوني»؛ حين يدعو ينبغي أن يستحضر في ذهنه أني قادر على الاستجابة له! وهذا هو شرط استجابة الدعاء؛ أي لا ينبغي أن يخطر ببالنا سوى أن الله قادر.. الله قادر.. ليس أنّ القدرة بيدك فحسب، بل لا أحد غيرك يستطيع فعلَ شيء.. إننا إن أصابتنا وَعكة أو مشكلة بسيطة عدّدْنا أولًا الأسباب والوسائل.. فلو كنا منذ البداية كالمريض الذي لا حيلة له سوى التوجه إلى الله فلعل وضعنا يتغيّر تمامًا.

لحظة واحدة من هذا الانقطاع في ذهن الإنسان كفيلة أحيانًا بأن يقرّب الله عبده إليه أيّما قُرب. ولأُخبركم أيضًا بكلام خطير أيها الأصدقاء: إننا إن لم نتمرّن على كمال الانقطاع عبر حضور الذهن والتفكّر فسيحصل لنا قسرًا عبر البلايا، فالله تعالى يقول: «وَعِزَّتي وَجَلالي... لَأقطَعَنَّ أَمَلَ كُلِّ مُؤَمِّلٍ...

أَمَّلَ غَيْرِي». فقولك في أول دعاء أبي حمزة الثمالي: «إِلَهي لا تُؤَدِّبْنِي بِعُقُوبَتِك» يعني: ها أنا أتيتُ بنفسي.. أتيتُ.. لا تضربني! إلهي، أتيتُ بنفسي.. الأسباب والوسائل كثيرة، لكنّ رجائي انقطع...

يقول تعالى: «وَإِذا سَأَلَكَ عِبادي عَنّي فَإِنّي قَريب»؛ أي: قل لعبادي إذا سألوك عني أني قريب. «يَعلَمونَ أَنّي أَقدِرُ عَلَى أَنْ أُعطِيَهُم ما يَسأَلوني»[البقرة، الآية: ١٨٦]؛ حين يدعو ينبغي أن يستحضر في ذهنه أني قادر على الاستجابة له!.

🔸تعلّم من الطفل كيف تتمتع بالابتهاج الروحي!!

الجميع موافقون؟ هل للجميع أطفال؟ الكل شاهد الأطفال. هل كان الجميع أطفالاً! كلكم تعترفون بأن الأطفال لا غمّ لهم. هل توافقونني؟ الغم هو الحزن العميق. الأطفال عاجزون عن الإحساس بحزن عميق. فهم حتى وإن مات لهم أحد لا يبكون بعمق

وســـرعان ما يلهون باللعب. وإذا تخاصـــموا فهم يتصـالحون بعد لحظات. هم لا يقلقون لشـــيءٍ أبداً. الأطفـال ينعمون بـابتهـاج روحي. إنهم مفعمون بالحيوية.. وبالنشاط.

كـان الشــيخ بهجت(ره) يقول: «ما الذي يجعل الأطفال هكذا؟ إنه ليقينهم بأنهم ما إن يجوعوا حتى يـهرع إليـهم أبواهم بـالطعـام.» ثم يقول(ره): «الأطفال لا يقلقون من طعام غَدِهم إطلاقاً.» الكبار هم الأشـــقياء إلى هذا الحد! عذراً لقولي أشـــقياء! ذلك أن الشــيخ بهجت(ره) يقول: «لو كنا كالطفل في يقينـه من: أنّـه لابد وأن يـأتيني أبويَّ بـالطعام غداً فلا ينبغي أن أقلق، فوثقنا بالله من أنه ســيأتينا برزقنا في الغد لا محالةَ لصـــرنا مثل الأطفال من دون غمّ».

ثم كم يمكن ـ حقّاً ـ الاعتماد على الأبوين؟.. تقريباً صـــفر. وكم يمكن الاتكال على الله؟.. كثيراً. ثم إنك تعلم أن الله يمكن أن يُتّكَل عليه، فلا تتّكل عليه، أما الطفل فيتّكل عليك أنت! أي إن هذا الطفل يقول لك:

«أمي، أبي، فلتستَحِ من نفسك! كن سعيداً مثلي! تعالَ نلعب!».

الابتهاج الروحي يعني انعدام هذا القلق المأساوي. ما هي البهجة الروحية؟ هي أن تعلم أن الله قدير! يستطيع إبادة الكائنات جميعاً! الله الله على قدرة الله هذه! هذا «الشعور» إذا توغّل في أعماقك فإنه «الابتهاج الروحي»!

ما المراد من الابتهاج الروحي؟ هو ذلك الذي لا تَبكي له.. بل تتمتَّع به. تتمتّع وتتمتّع به حتى تترقرق دمعةٌ في عينك، منبعها موضعٌ آخر.. موضعٌ آخر من الروح. فأين هذه الدموع، التي هي ـ بالمناسبة ـ تشبه دموع الأطفال العديمي الغم ـ أين هذه الدموع من دموعي أنا التعيس، الحقير، التافه، الخاوي من كل شيء؟! دموعي التي أريد أن أستخرجها من وسط الغموم والكروب الناشئة كلها من الكفر بالله، ومن الكفران بنِعَمه، ومن عدم الإيمان به، لأسكبها عند أعتاب الله!

الابتهاج الروحي يعني الالتذاذ لكونك في أحضان الله؛ بالضبط كالطفل إذا لاذَ بحُضن أبيه أو أمّه

وســط الغرباء. فهل رأيت الفرحة التي تغمرُه فجأة حينها؟ هي بادية في عينيه. فإن دنَوتَ منه مداعباً: «كيف حالك يا حبّوب؟» أدار وجهه جهة أمه أو أبيه متسائلاً: من هذا؟!

- «عزيزي، هذا شخص معروف، اهتمّ به!»

ـــ «أنا لستُ أعرفه.. مَن يكون؟! أنت مَن أعرفُه.. أنت مَن آوي إلى حضنه!»

أنت مَن أعرفُه.. أنت مَن آوي إلى حضـــنه! أي إن هذا الطفل يقول لك: «أمي، أبي، فلتســتَحِ من نفسك! كُن سعيداً مثلي!». الابتهاج الروحي يعني الإلتذاذ بإحساسك بأنك في أمان الله.

◈خمسون امرأة من ثلاثمئه وثلاث عشر. تساهم النســـاء في إنتظار الحجة (عج) عبر الوعي السياسي.

النساء نظرتهنّ تجزيئيّة ولا ضير في ذلك، كما أن هناك فوارق بين النســاء في مســتوى هذه النظرة

التجزيئيـة وحجمهـا عنـدهن. ولكن عليهنّ تقويـة النظرة الشموليّة في بعض الأبعاد.

إن حـبّ ظهور الإمـام، وحـبّ الفرج وحـب الإمـام صــاحب العصــر والزمان أرواحنا له الفداء، وحبّ أصـل الإمامة يسـتوجب أن يتّصـف الإنســان كثيرا بالنظرة الشــموليّة. ســيظهر الإمام لإعمار العالم! فالمرأة التي غير سـياسـيّة والتي لا تفهم شـيئا من السـياسـة، وليس لها نظرة عامّة عن العالم، كيف يتســـنّى لهـا أن تنتظر الإمـام؟! وهل الإمـام رجل صالح لنفسه لنسأله الدعاء وحسب؟

لابدّ للنساء وفي سبيل أن يعزّزن نظرتهنّ الشموليّة على المســـتوى العالمي، أن يزددن نظرا في أمثال مواضــــيع الانتظار والمهدويّة ويتأملن فيها أكثر. ولينظرن أكثر، إلى القضايا العامّة التي تدير العالم.

إن اتّصاف النساء بالوعي السياسي له قيمة عالية جـدّا. لقـد كـان الإمـام الخميني يقـدّر كثيرا بعض تصـريحات ومواقف النسـاء السـياسـيّات اللاتي كنّ يجسّدن موقفا سياسيّا كأمّهات الشهداء، وكان ينقل بعضـها في خطبه. ثم قال الإمام في إحدى خطبه إن

هؤلاء النســـاء قادتنا وقال ذات مرّة أنا أرضـــى بهؤلاء النســـاء قادة لي. المرأة المتصـــفة بالوعي الســـياســـي، هي المرأة التي قد غيّرت طبيعتها ذات النظرة التجزيئيّة.

إن رأى الســياســيّون أن النســاء يتّصــفن بالوعي السياسي، تقلّ أخطاؤهم أو خياناتهم ـ والعياذ بالله ـ كثيرا بل تزول. إنّ تخلّف مجتمعٍ ما على المســتوى السياسي بمعنى تخلّف نسائه، إذً بإمكان النساء أن ينبّهن الرجال في الصـعيد السـياسـي بسـهولة. وقد منح الله النســـاء تحرّرا وحرّية روحية في صـــعيد السياسـة، بحيث إن أصـبن التشـخيص يسـتطعن أن يصرخن!

لابدّ وقد رأيتم بعض النســـاء الأحرار اللاتي يدافعن عن الحق ويصـــبرن على جميع العواقب! انظروا إلى أمّ وهب مثلا وأمّا المثل الأعلى في القرآن هو آسية. فقد وقفت بقوّة وقطّعت إربا إربا ودافعت عن الحق ولم تتنازل، وكشفت عن حقائق. أنتم تعرفون أن هنـاك امرأتـان مبرزّتـان في ديننـا وهمـا فـاطمـة الزهراء(عليهـا الســـلام) والعقيلـة زينـب(عليهـا

السلام)، فإن التحليلات السياسيّة التي طرحتها هاتان المرأتان العظيمتان لا مثيل لها. وهل أن هاتين المرأتين هما قدوة في الحجاب؟! أنتنّ تستطعن أن تتعلّمن الحجاب من أَمَة الزهراء(عليها السلام) أيضا، وكذلك يمكنكنّ أن تتعلّمنه من كثير من النساء المسلمات. ولكن على الرجال أن يتعلّموا التحليل السياسي من فاطمة الزهراء(عليها السلام).

أحد مقترحاتي بالخصوص هو أنه هل تردن أن تكنّ مهدويات؟ فأقمن دروسا في التحليل السياسي. تحدثن عن قوى العالم. إلى أين تنحو أوضاع المنطقة الآن؟ لماذا أضحت الجمهورية الإسلامية أقوى من السابق؟ ما أكثر الصالحين الذين لا يدرى هل سيكونون من زمرة الأصحاب الثلاثمئة وثلاث عشر. ولكنّ خمسين منهم نساء! فليت شعري كم قد ارتقين هؤلاء! وللإمام آلاف الجنود تحت إمرة أصحابه الثلاثمئة وثلاث عشر، وإذا خمسون منهم نساء. إنه لأمر عجيب! إن هؤلاء الخمسين سيقومون بدور عالمي.

ينبغي للمرأة أن تكون محلّلة سـياسـية، وهذا هو معنى انتظار الإمام. فما لم تصـبحن سـياسـيّين لم يظهر الإمـام(عج)! لقـد كـان أهـل الكوفـة غير سياسيّين ولذلك أصبح أمير المؤمنين(عليه السلام) غريبا! كان أهل الكوفة غير سياسيّين فقتل أبو عبد الله الحسين(عليه السلام).

كلا! فإننـا نحبّ الإمـام جدّا. عجيب! لقد كـان أهل الكوفة محبّين أيضـا. أنا الآن بصـدد الدفاع عن الإمام الحجة(عج) فأقول كنّ سياسيّات.

انظرن، عندما تدخلنّ أنتنّ النساء في مجال التحليل السـياسـي وتقوّين أنفسـكنّ في تحليل القضـايا السـياسـية تسـتطعن أن تسـبقن الرجال. أ تلعلمن لمـاذا؟ إذ قد تسـتوقف الرجال بعض المجاملات، فيمزجون الحقّ بـالبـاطـل أو يفرطون أو يفرّطون. ولكنكنّ أحرار. إذ أنتنّ لستنّ بصدد احتلال منصب أو استلام منصب أو فقدان منصب، فانقدن بتحرّر. الإدارة هي من شـؤون الرجـال، ولكنّكنّ انقـدن الرجـال. وقلن: إن إدارة هـذا خـاطئـة وإدارة ذاك صحيحة.

نعم! حتى الرجال في بداية تجربتهم في التحليل السياسي، لا يقدرون ويخطئون، أو يعتريهم ضعف. أكرّر مرّة أخرى السياسة التي أقصدها، هي أن تعمدوا إلى السياسة العامّة على الأقل، يعني ظهور الإمام(عج)، والتمهيد للقضاء على القوى العالمية، وكيف نمهّد من أجل تحصيل القوّة.

إن أوج تربية الدين هي أن يجعل المرأة سياسيّة، وإلا فإن كانت المرأة تنطوي على الكثير من الفضائل الأخلاقية فهذا أمر طبيعي.

لماذا خلقَنا الله؟

لماذا خلقَنا الله؟.. لو سمع المرء جواب هذا السؤال مائة مرة فسيعيد السؤال كرّة أخرى. يقول: حقّاً، ماذا حصل حين أجبتَني آخر مرة؟ هل اقتنعتُ؟ يقول مثلاً: لو لم أُخلَق أصلاً، لَما توجّبَ عليَّ أن أكون صالحاً! ولَما تعيّنَ عليَّ أن أراقب نفسي كل هذه المراقبة! ولَما تحتّمَ عليَّ معاناة الصعاب،

وأنّه: بالِغ في المعاناة كي أُثيبَك! لكنتُ غيرَ موجود أصلاً.

حقاً، ما الجواب على هذا السـؤال؟ لماذا خُلِقتُ؟ يسطّر لك جميع أهداف الخلقة مستخدماً العبارات التي نستعملها عادة، مثل الكمال.. والعبودية.. يسطّرها جميعاً قائلاً: هذا صحيح، بل وأقِرّ أيضاً بأنّ على كل إنسان أن يصل إلى الكمال، ويكون عبداً لله، ويكسب المعرفة، ومن ثمّ سيثيبه الله.. لا بأس، لكنّني لو لم أُخلَق لما توجّب عليَّ سلوك كل هذا الطريق الشاق! كيف نردّ عليه؟

أتدرون لماذا لا يقتنع الشباب بجواب هذا السؤال إلا بعد حين؟ بل لعلّهم لا يقتنعون. لقد سألتُ الكثير منهم أن: أتذكُر إذ راودَك هذا التساؤل أيام المراهقة؟

فيجيب: أجل.

ـــ وهل أنت مقتنع الآن؟ بعد 20 عاماً، 30 عاماً، 10 أعوام، وهو متديّن

يقول: أتريد الصدق؟ ليس بعد!

جواب هذا السؤال، في الحقيقة، ليس جواباً نظرياً، بل جواب شهودي: متى يُقلع هذا الإنسان عن طرح هذا السـؤال؟ فيقول: "يا رب، أتذكُر حين سـألتُك مرّةً:

لماذا خلقتَني، ولم تجبني؟ الآن أقول: رائع أنّك خلقتَني!".. متى؟ حينما يكون في لذّة.. يقول: "رائع."

قل له وهو في لذّته: أتريد أن لا تكون؟

سيقول: كلا، ولِمَ لا أكون؟!.. لِمَ لا أكون مع كل هذه الروعة؟!

أثناء اللذة فقط يكفّ المرء عن الاعتراض. لماذا خلق اللهُ الإنسان؟ لأجل أن يلتَذ. هذا الجواب إن تمّ استيعابُه فهو أكثر الأجوبة إقناعاً على تساؤل: لماذا خلقني الله؟ اللذة تبعث السكينة في الإنسان،

فالشـخص وسـط اللذة لا يتسـاءل. ما إن تغمر اللذّةُ الإنسانَ حتى يرضى عن الله.

كلّما جنيتَ في هذه الدنيا لذة أكبر ضـاعفَ اللهُ لك الثواب في الآخرة.. كلّما جنيتَ لذة أكبر.

ـ أيّ لذة يا شيخ؟

ـ كلامي واضح، كلّما جنيتَ لذّة أكبر. ومتى يستاء الله منك؟ حين تُؤذي نفسك! ولهذا يقول أمير المؤمنين(عليه السلام) لربه في دعاء كميل: «ظَلَمْتُ نَفْسِي»؛ آذيتُ نفسي.. لم أستمتع.. أنا مُنكسر.. أنا مسحوق! ليس أنّني آذيتُك واستمتعتُ أنا، بل أنا الذي لم أستمتع! إنّك مُستاءٌ لأنني لم أستمتع.. فالآن مُدَّ لي يد العون..!

لماذا خلق اللهُ الإنسان؟ من أجل أن يلتذّ. أريد أن أنال أسمى لذّة.. أعظم لذّة.. أدوَم لذّة.. لذّة شاملة.. لذّة بلا مضرّة.

إذا كنت عاشقاً حقّاً فأين خوفك؟!

ما هو "الخوف" في حياتك؟ هلاّ قلتَ لي من فضلك. مِمَّ يخاف الإنسان؟ من.. من التفريط بالمنافع؟ من.. انتهاء العمر؟ من.. العذاب؟.. من عذاب الله، مرحى، جيّد، إنك تنضج ما شاء الله. مِمَّ تخاف؟

نظرَ أمير المؤمنين(عليه السلام) يوماً إلى رجل قد تغيّر لونُه من الخوف متصوّراً (الرجل) أنّه صار عارفاً! فقال له(عليه السلام): «مَا بَالُكَ» قد تغيّرَ لونُك؟ «قال: إِنِّي أَخَافُ اللهَ». فقال(عليه السلام): «خَفْ ذُنُوبَكَ (لا تُذنِب).. ثُمَّ لا تَخَفِ اللهَ»، فالله ليس بمخيف؟! أفحمَه! فانهار عرفانُه!

ـ لماذا تخاف؟

ـ أخاف من الله.

ـــ مِمَّ خوفُك؟ من عذاب الله؟ طيّب، لا تُذنب، كي لا تخاف، الله «لا يَظْلِمُ أَحَداً».

لكنّه حسب أمير المؤمنين(عليه السلام) فإنّه في ذلك المقام العالي من الحياة، التي هي الحياة الحقيقيّة، ينبع خوف المؤمنين من خشيتهم من أن يقصّروا تجاه تلطّف الله بهم، خوفهم أن لا

يستطيعوا التعامل معه بمقتضى عشقه عزّ وجلّ! فعنه(عليه السلام): «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لا يُصْبِحُ إِلاّ خَائِفاً.. وَلا يُمْسِي إِلاّ خَائِفاً». لماذا؟ لأنّه: «وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا للهِ»، فالذي يؤمن يحصل على أشدّ ضروب المحبّة.

«كَانَ عليّ(عليه السلام) إِذَا حَضَرَهُ وَقْتُ الصَّلَاةِ تَلَوَّن» تغيّر لونه «فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟!» لِمَ تنقلب حالُك هكذا؟! مجرّد أذان وعلى المرء أن يتوجّه للصلاة، فلماذا هذا الانقلاب؟ في الحرب لم تهتزّ منك شعرة، فإذا بلونك يصفرّ بالكامل إذا رُفع الأذان، بل "يتلوّن" عدّة ألوان! «فَيَقُولُ: جَاءَ وَقْتُ أَمَانَةٍ عَرَضَهَا اللهُ تَعَالَى.. وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ» أتعلمون أي لُطفٍ تلطّف الله بي، وأيّ أمانة أعطانيها؟ أمانة الإنسانية! أحبّ أن أكون على قدر هذه المسؤولية، وأخشى أن لا أكون كذلك! إنّه ذائب في عالم العشق!

يا أيّها المدّعي للعشق: أين خوفك؟ أين خوفك؟ لم تذُق طعم العشق بعد!.. لا تتظاهر، وإلا فأشدّ الناس عشقاً هو أمير المؤمنين(عليه السلام)! الأشدّ

عشقاً لله هو الحسين(عليه السلام) نفسه، أما رأيتَ ماذا يصـــنع؟ بالطبع حتى هؤلاء العشّـــاق حين يطرحون خوفَهم تراهم يتحدّثون عن النار. لكنّهم قد أخبروكم: ما هي نارنا هذه؟ "نارنا نار الفراق! لا نار الإحراق"، قالها(عليه الســـلام) في دعاء كميل، كلّ ما هنالك هو أنه(عليه الســـلام) حين لا يكرّر ذكر الفراق فلأنّه يخشى إساءة الأدب، يقول: "أنا أتكلّم عن نار جهنّم، لكنك إلهي تعرف ما أعني" ففي دعاء كميل تراه(عليه الســـلام) في النهاية يصـــيح فجأة بجملة واحدة، فيحلّ اللغز: «فَهَبْنِي يَا إِلَهِي..صَبَرتُ عَلَى عَذَابِكَ فَكَيفَ أَصْـبِرُ عَلَى فِرَاقِك» افترض يا إلهي أنّي تحمّلتُ عذابك، لكن كيف ســـأُطيق فراقك!! افترض أنّي تحمّلت عذابـــك..!! لكن من ذا الذي يتحمّل العذاب؟! يعني: اِفهَمْ، إذا قال عليّ(عليه الســـلام) "عذاب" فما هو مراده! نارنا نار الفراق!

إلهي، ضاعف من الخوف في أفئدتنا من أن نقصّر تجاه تلطّفك بنا إلى درجة امتقاع ألواننا من شـــدّة

هذا الخوف! إلى درجة أن يوقظنا هذا الخوف في الأسحار لعبادتك!

◈كل شيء مرتبط بقلبك.. كل شيء؟

كل شـــيء مرتبط بقلبك. لماذا لا ترحل بباطنك؟ في الدنيا لا يقيم أحدٌ وزناً لما نحب، أما الله فليس هكذا، في العالم الذي يحكمه الله، عالم الوجود، كل شيء مرتبط بقلبك.. كل شيء مرتبط بقلبك.

انظر إلى صـديقك، بعد أن كان مثلك إنسـاناً عادياً، إلى أين رفعوه الآن؟! إلى أعلى عِلّيين.. ستعترض أنه: "لم يكن بيننا فَرق!" فيقال: صـــديقُك هذا ما كان أبداً إنسـاناً صـالحاً، كان شـخصـاً عاديّاً مثلك لكنـه كـان دومـاً يطمع في أن يكون صــــالحـاً.. فرفعناه..

أرأيت مدى جهل بعض النـاس؟! يقول: ما جدوى ذهـابـك لمجلس العزاء، تَحمَى لِلَحظـات ثم تبرد بخروجك، ما فائدة ذلك؟

ـ الله لا ينسى هذه اللحظات.. إنها اللحظات الجميلة من حيـاتي، يكفي أن يُعجَـب ببواطننـا للحظـة، لا ضرورة لأن يكون المرء صالحاً دوماً.

ـ لماذا هكذا؟

ـ لأن بواطننا مهمّة جداً عند الله تعالى.

إحدى الوسـاوس الدائمية لإبليس الرجيم، الشيطان اللعين هي عدم إتـاحتـه الفرصــــة لنـا للعمل على تهذيب أنفســـنـا. يقول: "دعكَ من هذا، ما الذي ستناله إن جلستَ وتمنّيتَ بضع أمنيات؟!" قل له: "يا لئيم.. أولياء الله من العرفاء لم يصـــلوا ما وصلوه إلا عبر هذه اللحظات الجميلة! فلماذا تزرع فِيَّ اليأس قائلاً: إلى أين تظن أنك ستصل إن جلستَ مع نفســـك وتخيّلـتَ بضــــع أمور جميلـة؟ بلى، سأصِل!"

ليس من الضــــروري أن تنظر إلى ماضــيك قائلاً: "أمضــيتُ حياتي بلا تقوى"، لا بأس، قل: "إلهي، أنا أريد.. لقد قرّرتُ.. أنا عازم".

ماذا كانت مشكلة علي(عليه السلام) مع قومه؟

عاقبة القوم الذين تركوا إمامهم وحيداً..

لا إله إلا الله. اسمعوا مني هذه القصة المخيفة.

عاقبة القوم الذين رضوا بالحد الأدنى من كل شيء..

أمير المؤمنين(عليه السلام) خطب في الناس.. أمير المؤمنين(عليه السلام) بثَّ غُصَص صدره.. أمير المؤمنين(عليه السلام) راح يئنّ أمام الناس.. أمير المؤمنين(عليه السلام) بلغ ذروة الشكوى.. أمير المؤمنين(عليه السلام) ترك الناس.. أمير المؤمنين(عليه السلام) أخذ يناجي ربّه على مرأى من الناس.. وضع المصحف على رأسه وبدأ يخاطب الله أمامهم وجرَت هذه الكلمات على لسانه: «اللَّهُمَ قَدْ مَنَعُونِي مَا فِيهِ فَأَعْطِنِي مَا فِيه»، اللهم إنك تعلم أن هؤلاء القوم منعوني من الحق الذي أعطيتنيه في كتابك.

يقول الراوي: حتّى رأيت أوراق المصـــحف تقلّبها الريح فوق رأسه(عليه السلام). «اللَّهُمَّ قَدْ أَبْغَضْتُهُمْ وَأَبْغَضُـــونِي»، إلهي، أنت تعلم أنني أبغض هؤلاء القوم، وتعلم أنهم يبغضـــونني أيضـــاً. «وَمَلِلْتُهُمْ وَ مَلُّونِي»، اللهم إنــك تعلم أنني قــد ســـئمتهم. ثم يصيح: وتعلم أنهم قد سئموني أيضاً.

ثم نادى ربّه والمصحف فوق رأسه: إلهي خذ عليّاً من هؤلاء وأعطهم مَن هو شـــرٌّ منه: «أَبْدِلْهُمْ بِي شَـــرّاً مِنِّي»، وخذهم مني وأعطني في رضـــوانك وقربك خيراً منهم: «فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُم».

فماذا كانت مشكلة علي بن أبي طالب(عليه السلام) مع الناس يا أصـــدقائي؟ ماذا كانت المشـــلكة؟ أين كانت مشـــكلته؟ كانوا يقولون له: يا علي، إلى أين تريد أخذنا لإيصـــالنا إلى الحدّ الأعلى؟! أتريد إعمار العـالم كلـه؟! أتريـد تحقيق ذروة العدالـة؟! دعنـا بربّك.. نريد أن نعيش حياتنا! فكان(عليه الســـلام) يقول لهم: لكنكم إذ ذاك ســـتعيشـــون حياتكم أيضـــاً. وحينذاك أيضـــاً ســـتحلّ السـكينة، ويســود الســلام،

ويتوفّر كل شـيء، بل ستكون النعم أبقى، وسـيكون كل شيء أفضل

ـ ماذا تريد أن تفعل يا علي.. دعنا وشأننـا.

كان سرّ غربة أمير المؤمنين(عليه السلام) هي أن القوم رفضوا الذُّرى التي أرادها علي(عليه السلام). فلا تقتنعوا بالقليل! فلقد قنع قوم علي(عليه السـلام) بالقليل! لقد قنع قوم علي(عليه الســـلام) بالقليل.. كانوا يقولون لـه: يا علي، لســـنا أهلاً لإمامتك لنـا! هذا هو الســـر. فلا تتصـــورُنَّ أن أهل زمانه كانوا جميعاً جُناة، شـــاهرين للخناجر، آكلين للحرام، من أولاد البغاء،.. كلا، بل لقد قنعوا بالقليل فشـــقُوا! قنعوا بـالقليـل فتحوّلوا إلى جُنـاة وقطّعوا الحســين(عليه السـلام) في كربلاء إرباً إرباً! أجل، فبدايتهم كانت أنّهم قنعوا بالقليل.

الإمام الخميني(ره) (ولا حاجة لقراءة كلماته على مســـامعكم) كان يقول: «نحن لم نُقِم الجمهوريـة الإســـلامية لإعمار بلدنا.. نحن نبغي تحرير العالم بأسره.. نحن نريد أن نوصل أبناء البشر كافة إلى السـعادة». لقد قال في وصـيتـه: «فليتنبّه مسـؤولو

البلاد إلى أننا لم نجتمع من أجل بضع مدن وبلدات، بل إنّ في نيّتنا تغيير العالم كله!»

لقد قنع قوم علي(عليه السلام) بالقليل فشقُوا.. قنعوا بالقليل فتحوّلوا إلى جُناة وقطّعوا الحسين(عليه السلام) في كربلاء إرباً إربا!

◈ آخر استعداد للظهور..

آخر استعداد للظهور هو أن يتم إصلاح مسؤولي الأمة. لأن دولة الإمام صاحب الزمان(عليه السلام) وفرجه وظهوره.. هو من جنس إدارة المجتمع. الإمام(عليه السلام) لا يأتي للدعاء والثناء، أنتم تعلمون ذلك. أتظنون أنه إذا لم يكن الناس جديرين فسيأتي الإمام بملائكة أو313 شخصاً من السماء قائلاً: أيها الناس، ليس من الضروري أن تفهموا معنى الإدارة، بل ولا يجب أن تدركوا الفرق بين المسؤول الجيّد والرّديء! أنا بنفسي سأعيّن عليكم مسؤولين، و...

- يا أخي، لو كان الأمر هكذا، عذراً، أَكان يُستهزأ بالبشر إلى الآن؟! أكنّا ننتظر عبثاً؟!.. فلولا ظهرَ أسرع! هكذا! عيشوا لفترةٍ تُعساء.. وفجأةً: قرَّرنا منذ اليوم أن تكونوا سعداء! لماذا تفكير البعض "كرتوني" وأسطوري هكذا؟!

دولة الإمام صاحب الزمان(عليه السلام) وفرجه وظهوره هو من جنس إدارة المجتمع. لو أراد الرُسُل إدخالنا الجنة هكذا كالخراف! لما لَزِمَ كل هذا العناء؟! ما إن يلتبس على أهل المدينة موضوع يقول(صلّى الله عليه وآله): يا أهل المدينة، لا دخل لكم، اذهبوا إلى بيوتكم، أنا سأسوّي الأمر. يا عليّ، تعال الليلة نرتّب الأمر، اعدم هؤلاء، ارفع هؤلاء، اضرب هؤلاء.. انتهى الأمر؟ أيها الناس، تعالوا غداً للصلاة، سُوِّيَت الأمور!!

أَوَيُعقَل أن لا نفهم نحن الإدارة الصالحة ثم يحكمنا 313 مسؤولاً صالحاً.. ونكون جديرين بأن يتسيَّدوا علينا؟! لقد تآمر (بعض الأصحاب) على قتل النبي(صلّى الله عليه وآله) ففضحهم جبرئيل الأمين قائلاً: إنهم سيدركونك في الطريق ليلاً ليقتلوك!

فأمر النبي(صـــلّى الله عليه وآلـه) حذيفة وآخرين بتكثيف الحماية قائلاً: نفرٌ من أصـــحابي عازمون على اغتيالي! فزادَ عددَ الحرَس.. فُضح أمر أولئك.

فقال حذيفة: يا رســـول الله، فلنقتلهم.. لقد حاوَلوا قتل النبي(صلّى الله عليه وآلـه)!

فقال(صلّى الله عليه وآلـه): لا، اتركوهم.

عادوا إلى المدينـة.. قال حذيفة: يا رســـول الله.. هاهنا، فلنضرب أعناقهم، لم نعد في صحراء.

قال: أبداً.

ـ فلنُخبر الناس على الأقل ليُفضَحوا!

ـ لا داعي.

ـ لكن إن بقوا فسيعيدوا الكَرّة من بعدك!

فأجاب النبي(صـلّى الله عليه وآله) وكان مضـمون جوابـه: .. النـاس هم من يجـب أن يعرف من هؤلاء؟.. حتى من دون أن أفضـحهم أنا!.. حتى من دون أن أفضـــحهم أنـا!.. النـاس هم من يجب أن يعرفوا من هؤلاء؟..

أتَنتظر الظهور؟! من دون التعريف بـالمهـدي(عج) يجب أن يدرك أهل العالم أن هؤلاء الـ313 شخصاً هم الأصلح.. ولماذا هم الأصلح؟.. ولماذا سلوكهم صالح؟.. ولماذا الآخرون غيرهم ليسوا صالحين (لتولي المسؤولية)؟.. وأن كل طريقة أو أسلوب آخر هو خاطئ.. يجب أن يعلم الناس أن الظهور حاصل.. هذا هو الاستعداد للظهور.

- عجباً، هل يجب فهم الإدارة وإن لم نشأ التصدي لها؟

- بلا شك.. عجباً! شيء واضح.. وإلا لتلاعب بك المسؤولون بألاعيبهم وأساليبهم الشعبوية. أتعلم متى ستستحق البشرية هؤلاء الـ313 شخصاً كحُكّام في الأرض؟ عندما تدرك الفرق بين الحاكم العادل الصالح والحاكم غير الصالح.

تنبيه: الحوار التاريخي الذي نقله سماحة الشيخ مستوحى من الحادثة التاريخية الواقعية ولسان الحال وليس بالضرورة أن يكون بالنص.

أهمّ المهارات المعنوية

بعد أن عيّنتُ الهدف على ماذا عليَّ أن أكثّف تركيزي؟

أريد المُضي إلى الأمام لا أريد لأيّ من حسناتي أن تكون دون جدوى

فلنعمل على أن يوصلنا الحدّ الأدنى من حسناتنا إلى الهدف

وأن يكتبوا لنا حسناتٍ ليست عندنا أريد يا أحبتي أن أبوح بسر:

أن لا يكون لنا عمل بلا جدوى وماذا؟ ولا علم دون فائدة

وأن يُثمِر إيمانُنا وأن تكون محبّتنا في محلها

أريد المُضي إلى الأمام لا أريد لأيّ من حسناتي أن تكون دون جدوى

أهمّ المهارات المعنوية

"للعلم"، "والإيمـان"، "والمحبّـة" حلقـةٌ تربطهم "بـالعمـل" السـيطرة على هـذه الحلقـة الرابطـة والاهتمام بها يجعل العلم والإيمان والمحبّـة، وكذا العمل، مُثمراً بل حتى إذا لم تأت بالعمل فوجود هذه الحلقة بحد ذاته سـيُزوّدك بفوائد الأعمال حتى من دون عمل وفي هذه الحلقة يحصل شـيء آخر فهي نفسها تُنَمّي العِلم، وتضاعف الإيمان، وتزيد المحبّة أيضاً

وهـذه الحلقـة تهيّئ لـك إمكـانيّـة العمـل من جهـة وتجعل عملك سالماً ومُنتِجاً من جهة

إنّهـا الحلقـة المفقودة في حيـاتنـا وإبليس الرجيم اللعين الدنيء، عدوُّنا، يذيقنا دوماً التعاسـة بسـبب هذه الحلقة كيف؟ بالغفلة برأيي عليكم أن تشـرعوا الآن بـالتمرّن إنّهـا أبرز مهـارة معنويـة ينبغي لكل إنســان أن يحوز عليها إذا أخبرتكُم بجواب هذا السـؤال فلا تقولوا سـهل أجل هو سـهل والإنسـان دائماً ما يشــقى جرّاء غفلته عن الأمور الســهلة أتتصــوّرون أن المرء يذهب إلى النار لصــعوبة

الـدين؟ إذن لمـاذا أســمَوا يوم القيـامـة "بيوم الحسرة"؟!

النـاس ســيتحسّــرون في ذلـك اليوم فـإنّكم أيهـا الحاضرون هنا جميعاً، وأنتم في منتهى الصلاح

وأنا الشـقيّ التعيس الأقلّ منكم جميعاً ســنتحسّــر ونوبّخ أنفسنا يوم القيامة أن:

لماذا لم نصـبح كالشـيخ بهجت(ره) وكنّا نسـتطيع ذلك؟ لماذا؟ لأننا سنعرف أن هذا سهل

وأريد أن أدلكم على هذه الطريق الســهلة الحلقة المفقودة هذه هي "النيّة" نيّةُ "قربةً إلى الله"

نيّة أنني أفعل كذا لأتقرّب يا إلهي إليك إلهي، أريد أن أتقرّب إليك، أفعل هذا الفعل لهذا الغرض النيّة

لا تفعل الخير هكذا، فلا جدوى منه لأنك ســتصـبح قابيل، وتقتل هابيل! ســتكون من الدناءة بفعلك هذا الخير ما يؤهّلك لقتل هابيل! اجعل لكل فعل لك نيّة تعلَّم قول: "إلهي، من أجلك"

مشكلتك ليست ارتكاب المعاصي مشكلتك هي فِعلُك الخير دون أن تقول: "إلهي من أجلك!"

الله: أريد منك النيّة.

ـ إذن لا تريد العمل؟

ـ أريد العمل من أجل صدق نيّتك.

ـ فماذا لو نويتُ ولم أقدر على العمل؟

ـ أقبلُها منك..

أريد منك النيّة.

يا رفاق، هل النيّة صعبة؟ هل هي صعبة؟ أوَتريد القول يوم القيامة: لم أستطع أن أنوي؟

تمرّ أمام دار نصف معمَّرة، سنوات ولم يستطع صاحبها إكمالها فتقول: "إلهي، ليت عندي مالاً فأعمرها له"، هل هذا صعب؟! هل باطنُك ملوّث إلى هذا الحد؟ ما الذي طلب الله منّا؟

بالله عليك، ما الذي طلب الله منا؟ في الخبر: «مَنْ أَرَادَ شَيْئاً مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنُهُ (النوم) حَتَّى يُصْبِحَ كَانَ يَوْمهُ صَدَقَةً» هل النية صعبة؟! هذا الجزء من الوجود تم تجاهله

بل غير موجود، غير موجود أصلاً لماذا لا تنوي؟!

قسماً بالله إننا لتعساء إن لم نغتنم هذه الفرص!

هاهنا مشـــكلتنا«يُحْشَـــرُ النَّاسُ عَلَى نِيَّاتِهِم» يوم القيامة يقال: ليقف الذين كانت نيّتهم كذا في هذه الجهة.. ليقف من كانت نيّاتهم نصرة الحسين(عليه السلام) في هذه الجهة فيُقتاد أُناسٌ، أيُّ أُناس!

فيقال: هذا فلان، هذا.. لِمَ بقيتُ أنا؟! ــ لأنّك لم تنوِ ولا مرّة:

يا حســين، روحي لك الفداء، والله لو كنتُ بكربلاء لَـ..! قال أحدهم لأمير المؤمنين(عليه السلام):

«وَدِدْتُ أَنَّ أَخِي فُلاناً كَـانَ شَـــاهِدَنَـا» (قـاتَـلَ معنا)«فَقَالَ لَهُ(عليه الســلام): أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟» هل قلبُه معي؟«فَقَالَ: نَعَم» جدّاً«قَالَ(عليه السلام): فَقَدْ شَـــهِدَنَا» ليس هو فحســب، بل «شَـــهِدَنَا فِي عَسْـــكَرِنَـا هَذَا قَوْمٌ فِي أَصْـــلابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ» فكل من سيسمع مستقبلاً بغربتي فيقول: "يـا ليتني كنـت معـه لأنصـــره" رأيتُـه اليوم في عســـكري! ما هي مشـــكلتنا مع النية؟ هي أننا لم نعوّد أنفســـنا على الاســـتفادة من نيّة الخير«عَوِّدْ نَفْسَكَ حُسْنَ النِّيَّة» تنبّه يا عزيزي، علينا أن نعوّد

أنفسنا على النية بشكل صحيح فابدأ بالنية خطوة خطوة وواظب عليها كي تتعوّد عليها شيئاً فشيئاً ستعرف الطريقة وهذا بحاجة إلى تعلُّم.

لماذا نشعر بالوحدة؟

نحن لسنا في عزلة.. فالله موجود.. وهو يحبنا. فإحساسك بالوحدة هو إحساس كاذب، هو ذات الإحساس الذي أحسه النبي آدم(عليه السلام) إذ جاءه إبليس قائلاً له: فكر في نفسك.

نحن معاشر البشر مخلوقات من المقرر أن تكوّن هي لأنفسها قيمة، فلسنا كالملائكة التي لها قيمة ثابتة ولا تستطيع زيادتها. حسنٌ، طالما نحن مخلوقات عليها أن تكوّن هي لأنفسها قيمة فمن الطبيعي أن يمنحنا الله حرية، وقد منحنا. ثم لا بد أن يزوّدنا ببضعِ أنواع من الرغبات؛ رغبة في الصالحات، ورغبةَ أيضاً في السيئات والتوافه والنقائص وما إليها. ولقد زوّدنا الله ببضع رغبات

فعلاً، ذلك أنه لو زوّدنا برغبة واحدة لاخترنا دوماً ما تريده هذه الرغبة، وما كان لحرّيتنا من جدوى، فأن يجعلَنا أحراراً ثم يزوّدنا برغبة واحدة، بموهبة واحدة، بحاجة واحدة فمن الواضح أننا سنتخذ هذا الطريق. إذن لا بد من وجود رغبات متعددة في دواخلنا، فإذا كانت لدينا رغبات شتى وكنا أحراراً فلا بد أن يضعنا الله في ظروف امتحان.

ما معنى هذا؟

يعني أن يضعنا على مفترق طريقين كي نختار، طريقين يبدو لنا أن في سلوك كليهما منفعة لنا. فلا بد أن نواجه ظرفاً يحتّم علينا الاختيار، وهو أن نواجه طريقين. ولا بد أن توجد في دواخلنا رغبات مختلفة، وذلك لكي نكتسب قيمة؛ بأن نفيد من حريتنا فنحسن الاختيار. وحينما يجد الإنسان نفسه في مثل هذا الظرف فلا بد لله أن يتوارى قليلاً، وهنا يأتي موضوع الإيمان بالغيب؛ فلو كان الحور العين يقفنَ على مسافة قريبة منا ويُلوِّحن لنا هكذا فمن الواضح أي خيار كنا سنختار، إذن لا بد له تعالى من بعض التخفّي.

فمن أجل أن يكتسب الإنسان قيمة يضطر الله إلى الصمت قليلاً، ولكي تكون لاختياري قيمة، لا يستعجل الله في مجازاتي، فلا يسرع في إثابتي على ما أتيت به من عمل صالح، فإذا بي أجد نفسي وحيداً، وإنه إبليس اللعين التعيس الذي يأتي ليستغل وحدتي هذه، فلقد جعل جدي آدم(عليه السلام) يخطئ وهو في الجنة، ولم يتدخّل الله! إذ قال له الله: لا تقرب هذه الشجرة، هي مُحَرّمة عليك، أمامك الأشجار الأخرى فاقطف من أيٍّ شئت. فاستغل إبليس "عزلة" آدم، فما إن وجد آدم نفسَه وحده حتى جاءه إبليس قائلاً: «هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ»[طه، الآية: ١٢٠]، هل أدلّك على ما يجعلك خالداً في هذه الجنة وعلى «مُلْكٍ لا يَبْلَى» ولا يزول؟ أتريد أن أفعل هذا؟.. فنسي آدم ربه للحظة واحدة!.. نسي رحمته! تنبّهوا.. تصوّرَ أنه وحيداً.. وعليه أن يفكر في نفسه.. فساءت الأمور.. «وَعَصَى آدَمُ رَبَّه»[طه، الآية: ١٢١].. لقد أخطأ.. ترك الله آدم لبرهة فقط فغاص آدم في أفكاره، راح يفكر بمستقبله.. بمصالحه! غفل آدم للحظة!.. آدم!.. النبي آدم على نبينا وآله وعليه السلام غفل!

لماذا أخطأ آدم(عليه السلام)؟ لأنه خاف على مستقبله. ومَن الذي يخاف على مستقبله؟ إنه من لا يشعر بأن هناك لطفاً يرعاه. وما الذي سيحصل لمن يقلق على مستقبله؟ ستسوء حالُه.. ستسوء أخلاقُه.. سيقسو قلبُه..

لماذا لا نصدق بأن الله رحيم، وننسى هذا تدريجياً، ونسيء الظن شيئاً فشيئاً؟ لأن أجواء حياتنا نحن معاشر البشر، وبسبب الامتحان، هي مما يجعلنا نشعر بالوحدة. وبسبب هذا الشعور بالوحدة.. وهو أن نرى أن الله ليس في متناول أيدينا، وكأنه ليس على مقربة منا.. وهو لا يتفاعل معنا بشكل مباشر – بسبب هذا الشعور بالوحدة تبلغ بنا الحال إلى تصور أن لا أحد يحبنا! ولا أحد يهتم بنا! فنتجرّد مما كنا فيه من ذلك الصفاء الطفولي الجميل، الصفاء الطفولي الجميل الذي ذكرتُه مراراً نقلاً عن مثال كان يضربه الشيخ بهجت(ره) وهو أن الطفل لا يقلق أبداً على طعام غده قائلاً: أمي ستطبخ!

تقول له: لكن ماذا لو لم تُطعمك أمك؟

فيرمُقُك بنظرة اســتغراب قائلاً: "أمي لا تطعمنـي!.. هل أنـت أخرق يـا هـذا؟! ألا تعرف أمي؟!... إنـهـا أمي!!"

هل نســـــتطيع أن نحيا بهذه الطريقة؟ ألا يمكن أن نعمل لغدنا لكن أن لا نقلق عليه؟ نعمل بســـكينـة.. وبطيب خاطر.. لماذا ننسـى رحمة الله ورأفته؟ على أننا لو فكّرنا ـ عموماً ـ لصـــدّقنا بأن الله رحيم! لماذا ترانا نميل ـ شـيئاً فشـيئاً ـ حتى إلى سـوء الظن بالله؟ لأن حياتنا عبارة عن مســـرح امتحان ولا بد لنـا في الامتحـان من بعض الوحدة، فترانـا نتخيّـل أننـا في وحـدة تمـامـاً. فـإنْ تخيَّلنـا ذلـك، وانشـــغلنا ـ كآدم(عليه الســـلام) ـ بالتفكير في مستقبلنا، إذ قيل له: «هَلْ أَدُلُّكَ عَلى شَجَرَةِ الْخُلْدِ»، فإنه ثمة أيضـاً شيطان لئيم لعين لا يزال يوسـوس في صـــدورنا ليجُرّنا نحو الشـــجرة المحرمة لنؤَمِّن على مصـــالحنا المســـتقبلية! لا تخف.. مصـــالحك المستقبلية بيد الله. لِمَ نسيت رحمة الله تعالى؟!

نحن لســـنا في عزلـة.. فالله موجود.. وهو يحبنـا، فإحســـاســك بالوحدة هو إحســاس كاذب، هو ذات

الإحساس الذي أحسه النبي آدم(عليه السلام) إذ جاءه إبليس قائلاً له: فكر في نفسك وجرّه نحو الشجرة المحرّمة. لا تلجأ أبداً إلى الشجرة المحرّمة بسبب شعورك بالوحدة، فالله في منتهى الرحمة.

مفتاح فهْم تصرفات الله الغريبة

نحن حقًّا عباد الله وتبَع له، وعلينا حقًّا عبادتُه، وطاعتُه، لكن أتعلمون ما معنى هذا؟ مع حفظ الاستقلال. كُن مستقلًّا...

من اللافت لي..

أنّ الله لا يخاطب أبدًا عبده فيهديه، فيسلبه بذلك استقلالَه. لهذا السبب قد لا يحبّ معظمُكم القرآن، بل إنّ القرآن لا يجعل أحدًا يحبه بهذه البساطة، تقرأ منه قليلًا فيثيرُ مَلَلك فيقول: "اغرُبْ عن وجهي، اغرُب! هل أنا رواية.. لأخدعك فأصوغ عباراتي بحيث لا تتركني حتى تقرأني إلى النهاية!" أصدقائي، إنْ لم يجتذبكم القرآن فهذه خطّة الله

بالتأكيد، لا تظنّ أنّ الله لم يقدر على أكثر من هذا، لا تتخيّل أنّك سيّئ، إنها أساسًا خطّة الله! يقودك لخطوات ثم يتركك.. الاستقلال أساس، وإلّا لما خلقك إنسانًا، يقودك لخطوات ثم يتركك..

تقوم من نومك بضع ليال لصلاة الليل (هذا مذكور في حديث) فيفعل الله فجأة ما يجعل التعبَ يغلبك، بل يقول: "ملائكتي، لا توقظوه، بل دَعُوا صلاة الصبح تفوته أيضًا"، فتتنبّه من جديد وتقول: يا ويلي، لماذا حصل هذا؟ إلهي، لماذا تركتَني؟!

- "ماذا؟ ماذا حصل؟ ألم أقل عليك الاعتماد على نفسك؟"

ليس سلوكك الحسَن هو المهم عند الله، المهم عنده هو الباعث لهذا السلوك، لماذا لا يعذّبك الله من فوره؟ لماذا لا يشجّعك في الحال؟ لأنه يريد حفظ استقلالك.

أحدهُم: أين ذُكِرَت الحرية في القرآن؟

قلتُ: ثُلث القرآن على الأقل يتحدث في استقلال الإنسان وحرّيته.

قال: أين، وكيف؟!

- كلّ هذا الكلام في الجنة والنار لأجل ماذا؟ يقول: "سأعاقبك فيما بعد، بأيّ طريقة؟ قد أعفو عنك أيضًا، سأُنَعِّمك فيما بعد.."

- ألا تصفعه الآن؟.. اِصفعه يا رب!

- أنا أحترمه، بل لا أُريه ذرّة من جهنم، لا أُعيدُ أحدًا ممّن دخل النار، لا أسمح له بالعودة بهذه البساطة ليُخبره ما القصة هناك.

- لماذا تتكتّم يا إلهي، أخبرني!.. أَرِني.

- "لكن ستُثلَم استقلاليتك، فإنْ أتيتَني أتيتَني بسبب ما رأيتَ! ولا أريد دفعك لهذا، ولو أردتُ دفعك لم يصعُب عليَّ ذلك، لا أُريكَه في المنام، بل في اليقظة!"

لو أراد الله أن يجعلك تبعًا له، بالمعنى الشائع للكلمة، ومطيعًا ومنقادًا له من دون استقلال.. لما صَعُبَ عليه، لشاهدَ كلّ شاب يبلغ سنّ التكليف منامًا! ليس أسهل من ذلك، يُريه المحشر والقيامة و... ويقال له: هذه الجنة وهذه النار، أتُصَلّي؟

وسيصيح في المنام نفسِه: قل لي فقط كم ركعة؟ وسينهض من الغَد لصلاة الليل أيضًا! وانتهى... أصعبٌ هذا على الله؟ فلِمَ لم يفعله؟ يريد صيانة استقلالك في العبودية.

يا أصدقائي، يحبّ معظمُنا أن يكون تبعًا لله بطريقةٍ ما، بل يحبّ الله أيضًا؛ يقول: "إلهي، استحلفك أن تأدِّبَني كي لا أُخطئ.. أرجوك.. لا داعي لإعطائي كل هذا الاستقلال، يكفي بالله عليك، لقد أشقَيتُ نفسي بقراراتي الفاسدة، بضعفي، بمخاوفي.. أصلِحْ لي كل هذا يا رب!". وهل سيُلبّي؟! أو يستجيب؟! ثم إنك إن التصقتَ بالله وتقرّبتَ منه جدًّا وغَنِمتَ حالًا طيّبةً؛ حجًّا روحانيًّا، زيارةَ كربلاء راقية، عزاءً مُحَرَّمِيًّا رفيعًا، تعْلَم ما سيحدث بعدها، صحيح؟ سيضعك أمام بلاءٍ من الوزن الثقيل، اختبارٍ صعب، ذنبٍ عظيم، وسيضيع كل ما ادّخَرتَه كشربة الماء! يا هذا، الله لا يرحم في مثل هذه الأمور! خُذها منّي..

شابّ روسيّ، نقلتُ قصّتَه سابقًا، لدى سماعه اسم "الحسين" في لطمية في أخبار يورونيوز أَحَبَّ

الإمام الحســين(عليه الســلام) فبحثَ فاكتشــف أنّه مأتم يُقام على رجلٍ اســـمه الحســـين. في النهاية سافر أحد الإخوة إلى روسيا وعثر عليه، كان شديد التأثّر بالحســين(عليه الســلام)، يســمع اللطميّات باستمرار. يقول: "حين كنتُ أسمع اللطميّة.. (ولم يكن يعلم أن ما تقرؤون اســـمه لطميّة) كنتُ أمتلئ حرارة في برد سيبيريا القارس"، وهو لا يعلم شيئًا عن الإســلام والإمام الحســين(عليه الســلام). في النهاية دعاه الإخوة فجاء إلى إيران وأخذوه إلى مرقد الإمام الرضـــا(ع)، مع فروض الاحترام.. يا الله، يا إلهي.. كان في غَمرة الحبّ والحال، كان يقترب تدريجيًّا.. في رحلته الثانية، ولعلها الأولى قال:

- "أريد اعتناق الإسلام، لأنه دين الحسين"

اعتنق الإسلام، نطق بالشهادتين عند ضريح الإمام الرضـــا(عليه الســـلام) وعند الباب رَنّ الهاتف الجوّال.. فجأةً رأينا لونه تغيّر..

- ماذا حصل؟

كان الفتى متعلّقًا بأُمّه بشدّة... بشدّة.

قال: أخبرَتْني أمّي الآن: صـــــدرتْ نتيجة تحاليلي، عندي سرطان!

تســـأل عن حالنا؟.. قلنا: "إلـهي، الآن؟! ســـيقول: تفضّـــلْ! دينكم لا سَـــعْدَ فيه! أيُّ نَحْس هذا؟! فقدتُ أمّي! الآن أسلَمتُ، أهكذا جزائي؟!"

يقول: خيَّمَ علينا صمتٌ مُميت، ماذا سيقول؟! تأمّلَ قليلًا.. كان غائصًـــا في أفكاره، حزينًا على أمّه وفجأةً.. التفتَ قائلًا: "إنّ الله يختبرني أيضًا.. رآني تقرّبتُ منه فبَلاني أنا الآخر.. كما بَلا الحسين(عليه السلام)"...

أيها الحسينيون، كونوا أهل بلاء، ليطمَئِنّ بالُكم، لن تُبتَلَوا، قســـمًا بالله إنّ الأمر ليس هكذا، لكن، كُن مســـتقلًّا.. كن حُرًّا.. دع الله يقول: حتى لو ابتليتُه لما سقط.. كُن مستقلًّا! في صُلب العبودية لله، في صُـــلب طاعته، في صُـــلب التبعيّة له يوجد هذا الاستقلال، لاحظ نمط تعاطي الله معك!

لماذا لا يستغفر الناسُ ربَّهم إلا قليلا؟

أتعلمون لماذا الناس لا يستغفرون الله إلا قليلاً؟ هل هو لقلة معاصيهم؟ كلا. هلا أخبرني أحدكم عن أهم أسباب قلة استغفار الناس؟ لعدم إدراكهم له.. غيره. لغفلتهم.. غيره. ظنّاً منهم أنهم على صواب.. غيره. لنسيانهم ربَّهم.. غيره. لئلا تنكشف معايبهم.. غيره. لنسيانهم خطاياهم.. لانشغالهم بأهوائهم..

أتدرون ما هو أهم عامل وراء قلة استغفار الناس؟ إنه عدم اطمئنانهم لمحبة ربهم! إنهم لا يعتقدون بكون الله رؤوفاً! هم لا يصدقون بأن الله يأخذ بالبكاء لمجرد قولهم: إلهي العفو!! عذراً! لا أعرف كيف أعبّر، فالله لا يبكي لكنكم تفهمون قصدي.

لماذا الناس لا يستغفرون؟! لتصوّرهم بأن الله سيّئ الخُلُق. فلو علموا بأن الله أحنّ عليهم من أمّهاتهم لكانوا كالطفل الذي لا تمرّ دقيقة إلا وَبكى عند أمه. أرأيتم كيف أن الطفل يبكي لأيّ سبب؟ إنه يبكي كلما أراد شيئاً! إذن السبب وراء قلة استغفار الناس ربَّهم هو عدم ثقتهم بأن الله يحبّهم محبة

غـامرة، كحـالـة الطفـل مع أمــه. فـالطفـل، كمـا تلاحظون، يبكي عند أمه بكل ســهولة لأنـه على ثقة كاملة بأنه سيُرغم أمّه على الاستسلام بمجرد أن يبكي.

ولقد وُضّحَ سبب ذلك في دعاء كميل بأجمل بيان: «يا مَن اسمُه دواء، وذكرُه شفاء، وطاعتُه غِنًى.. ارحَم..» إلهي! ارحمني.. فـإنّ أملي فيـك، «ارحم مَن رأسُ ماله الرجاء، وسلاحُه البكاء!».. إلهي.. سأبكي (إن لم..)! مَن ذا الذي يهدّد الله بسلاح البكاء؟! هل شاهدتم كيف يهدّد الطفل أمَّه بسلاح بكائه؟ لأنـه على ثقة بمحبة أمه لـه. إذن مَن الذي يهدّد الله بسلاح البكاء؟ إنه الواثق بأنه ما إن يبكي، يقول الله له: حسنٌ، حسنٌ يا حبيبي، حسنٌ.. إنه يتوعّد (ربّه) أنْ سأبكي.. «وسلاحه البكاء». إذن مَن الذي يكثر من البكاء على باب ربه؟ إنه الذي يعلم بأنّ البكاء عند الله سلاح!

البعض يبكي ملءَ يده دموعاً! نعم، ملءَ يده.. هكذا، ثم تراه يحدّث نفسه: لا أدري، هل سينظر الله إليّ أم لا؟!! ماذا حسبتَ الله يا هذا؟!! إنه تعالى

يقول: بمجرد أن ينكســــر قلب عبدي ينتهي الأمر، فما بالك بسيلان عبرته! إذن لماذا استغفارنا قليل؟ لأننا لا نعتقد بأن الله يحبنا! أساساً هل تعتقدون بأن الله يحبّنا كل هذه المحبة؟! نحن دائماً نتصــــور بأن الله يهُمّ بضربِنا!

أتعلمون لماذا الناس لا يســـــتغفرون الله إلا قليلاً؟ لأنهم غير مطمئنين لمحبّة ربهم!

◈ معجزة فريدة اسمها النظرة!

قد لا تصــــــدقون أنّ الكثير من مقدّراتنا في الدنيا وثوابنا وعقابنا في الآخرة

يضــــبطها الله على أســـــاس "نظرتنا" معجزة فريدة اسمها النظرة حسبكم في مجال أهمية "النظرة" أن تعلموا أن تصــــوّركم عن "ما هو الله" له أثر في كيفية تصـــرّف الله معكم يقول تعالى: ســــلوكي مع عبدي مرتبط بظنّه فأنا أتصـــرّف معك بموجب ظنّك بي فالذي يرتكب إثماً، مثلاً، ويتوب من فوره، يغفر

الله له بل يقول له: لن أكتبه في سـجلّك!.. سـبحان الله لا أريد حقاً أن أطلق حملـة دعائيـة، أمر غريب جداً! مـا أعظمـه من لطف! لكن، في العادة، لا أحد باســتطاعته الانتفاع من هذا اللطف يقول: لكن إذا بُحثُ الآن، فوراً، ألا يقول لي الله: اللعنـة عليك! منذ لحظات فقط اقترفتَ إثمَك، أتطاوعك نفسُــك لأن تكلّمني؟! أرأيت؟! نظرتُه إلى الله سيئـة

نظرتـه إلى الله ســيئـة، فلا يعتذر! يماطل، يماطل، يماطل، وبعد سنة يخاطبه:

إلهي، لقـد ارتكبـت معـاصٍ جَمّـة، هلاّ تعفو عنـي! يتصور أن الله نسي وانطفأ غضبه

لم يعد في تلك الحالـة العصـــبية، لذا يمكن التحدّث إليـه!

عجيب!

نظرتك إلى الله خاطئة أصــلاً.. أتدري؟! أخشـى أن أنقل هذا الحديث فيكون لـه أثر تربوي سيّئ

يقول الله (ما مضــمونـه): في لحظة الذنب، في تلك اللحظة تحديداً

إذا نظر إليَّ، فعرف أني أنظرُ إليه، فاســـتحيا منّي، غفرتُ له!

يـا داوود، وعزّتي وجلالي أغفرُ لـه! إذا نظر إليَّ فإنّ حســـن ظنّكم بربّ الأكوان إنّما يعكس نظرتَكم إليه ففي بعض الأحيان إذا لم يكن لديك حُسن الظن هذا

فسيتحوّل إلى أعظم كبيرة لا تُغتفر!

🔶فقط انظُر إلَيّ...

الحسين(عليه السلام) بذل في هذا اليوم الكثير لكي يُلفت انتباهنا. إن لدينا مواضيع تستحق الالتفات:

الله (تعالى).. القيامة.. الحســـين(عليه الســـلام).. وأســـهلُها "الحســـين".. لأنه(عليه الســـلام) جاء بنفســـه ليلفت انتباهنا إليه، روحي فداه! جاء بنفسه.. فقد يقف المعلّم في الصف قائلاً: يا أولاد، التفتوا إلَيَّ. لكن التلميذ ذهنُه شـــارد. ينظُر إلى المعلم، لكن ذهنه في مكان آخر.

لطالما خاطبك الله في الأعالي: عبدي، التفت إِلَيّ وذهنُك في الصلاة ليس معه! أما الحسين، أتعلم ماذا يفعل؟ إنه كالمعلم الذي يقترب من التلميذ، ويمسك برأسه، يقول له: حبيبي، فقط انظُر إليّ.. تذهب إلى مأتم الحسين والمشاكل تعصف برأسك. يخاطبك(عليه السلام): سأُعالجُها لك.. اِنسَها.. لا تفكر فيها.. انظر إِلَيّ..

- يا حسين، لا ترفع يديك عني.

والله لا أبالغ.. يقول(عليه السلام): سأظل ممسكاً بك.. انظر إليَّ فقط.

لا إله إلا الله. والله أنا عازم على قتلك اليوم (خطاب للحاضرين). هكذا هو الحسين(عليه السلام) حتى مع أعدائه. لا إله إلا الله. من لا يطيق السماع... فليصرخ.. لا أدري.. يا حسين، اشغَل أذهان هؤلاء... لئلا يصيبهم مكروه لا سمح الله. جلس الشمر اللعين على صدر الحسين... لسان حال الحسين يخاطبه: أُنظُر في وجهي... أُنظُر إِلَيّ... «مَنْ أَنَا؟»... إنني أكلّمك!... فقال(الشمر): ما

الذي تقوله؟!!.... لما رأى الشمر أن الحسين يُصر على لفتِ انتباهه قلَبَه على وجهه....

◈كن واثقاً من رأفتي

يكره الله من يمرّ من رأفتـه غيرَ مكترِث كن واثقا من رأفتي مثلا قـال في هـذه الآيـة من القرآن: (ادْعُوني أَسْــتَجِبْ لَكُم)[غافر، الآية: ٦٠] فإنها مرآةً من الرأفة أليس كذلك؟ اســألوني كي ألبّي طلبَكم ولكن انظروا ماذا يقول الله مباشــرةً في هذه الآية نفســها (إِنَّ الَّذينَ يَسْــتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتي سَــيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرين)[غافر، الآية:٦٠] أقول لك عزيزي؛ قل لي، اســتجب لك وإذا يقول: لا بأس.. ولكن بعد حين! هذا ما يسمّيه الله الاستكبار عن العبادة

وأساسا لابدّ أنّكم تعلمون ما سبب عذاب جهنّم ليس لأنك خرقتَ بعض ما وُضِعَ من ضوابط

أوهل الله شـرطي المرور؟ كلا! لأني تجاسـرتُ على رؤوفٍ هذا ما يترتّب عليه العذاب

لقد أقسم المعصـوم بلفظ الجلالة ثم قال: «مَا يَنْجُو مِنَ الـذَّنْـبِ إِلَّا مَنْ أَقَرَّ بِـه» اعترف بمشـــكلتـك.. أفهمتَها؟.. إن فهمتها فقل لي كي أنَجّيك والآن نريد أن نقول: يا ربّ نحن متورّطون بمشـكلة مشـكلتنا هي أننـا لم نؤمن برأفتك لســـنـا عـارفين برحمتك وغير ملتفتين إليها ولا ننتفع بها حياتي كلّها قائمة على عدم الاكتراث برأفتك هواجسي كلّها تمَثّل عدم اكتراثي برأفتـك كـل كـآبتي، وجميع تعلقّـاتي بـأي شـــيء كان، هو عدم الاكتراث برأفتك أنا أســاســاً أحيَى بســـبب عدم فهم رأفتك أنا غيرُ واثق من أنّك رؤوف وترزقني

فلا أعمـل بـدافع الإبـداع وامتثـال أمرك وابتغـاء مرضـــاتك! بل أقول: فلأعمل وإلّا أبقى جائعا... ما هذا الكلام يا هذا.. تنحَّ عني! أنا أســـاســـاً نظّمت حياتي على أسـاس عدم الإيمان برأفتك أخاصـم هذا وذاك بســـبب عدم الإيمـان برأفتـك إذ أزعم أنـهم سيبتزّون منّي شيئا أحسد بسبب عدم إيماني برأفتك

إذ أزعم أنّ أحداً ما ينهب حصّتي والله يقول: أنا قد احتفظت بحصّتك فلماذا تحسد؟ ذرهم! أشعر بنقص الحب بسبب عدم الإيمان برأفتك أشعر بالوحدة والعزلة بسبب عدم الإيمان برأفتك أذهب وراء اللهو التافه لأني لا أؤمن برأفتك كي أستمتع بها فأذهب إلى مكان آخر لأستمتع أنا أيضا غير مؤمن برأفتك وإلا لكنت وَلَداً جيّداً ماذا سيحدث إن آمنّا برأفة الله؟ عندئذ سنرى كلّ أفعال الله ناجمة من رأفته فإذا رأينا نجوم السماء سالت دموعُنا وإذا رأينا الجبال والصحاري والسهال سالت دموعُنا وإذا رأينا طفلاً سالت دموعنا

وإذا رأينا شيخا منحنياً يمشي متّكيا على عصا سالت دموعنا يا رب.. إنك تحبّهم جميعا وقد خلقتهم جميعا وترزقهم جميعا إذا رأينا الطيور ترفرف بأجنحتها سالت دموعنا سوف نحيى حياةً.. أيما حياة مشكلتنا هي أننا لم نؤمن برأفتك لسنا عارفين برحمتك وغير ملتفتين إليها ولا ننتفع بها أنا أيضا غير مؤمن برأفتك وإلّا لكنت وَلَداً جيّداً.

من هنا تبدأ قصة الدّين

بسم الله الرحمن الرحيم، كان يا ما كان في قديم الزمان، يُحكى أن الله أرسل نبياً وقال للناس: إني قد فضّلتُه عليكم، فحسَدَه الناس! من هنا تبدأ قصة الدين. كَم هي أصول الدين؟ لا دخل لي.. أيّاً كان عددها، إنْ كانت خمسةً أم خمسين فإنّ أولها هي قصة حسد وليّ الله! حسد وليّ الله

قضيّة توقير أولياء الله أو عدم توقيرهم وحسد أولياء الله أو عدم حسدهم هي أساس قصة البشرية من أول الخلقة حتى الآن. يا رسول الله، إن أقرباءك الحاضرين في الاجتماع الآن لم يؤمن أيٌّ منهم بنبوتك فما الداعي لإصرارك بعد أن لم يصدّقك أحد على أن تضيف إلى كلامك شيئاً آخر فتقول: بل إن عليّاً(عليه السلام) مولاكم من بعدي أيضاً؟! لماذا تقحم الناس منذ البداية في امتحان الحَسَد؟ أيُّ سِرّ في الأمر؟!

حسد أولياء الله أساس قصة البشرية من أول الخلقة حتى الآن. وأنتم؟ إلى أين مفرّكم؟ إلى أين

ينوي مجتمعكم الفرار من هـذا الامتحــان المهم، ومحطّ التأكيد، والدائمي؟

ـ هل سنُمتحَن نحن بهذا الامتحان؟

ـ بالتأكيد سنُمتحَن

ـ لكن ما من علي بن أبي طالب (عليه السلام) بيننا لنرى إن كنا سنحسده أم لا!

ـ التفتوا، إن القصـــة أعمق من أن تقولوا: لابد أن يكون ثمة علي بن أبي طالب(عليه السلام) لنحسده! يقول تعالى في سورة البقرة، الآية 109: «وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إيمانِكُم كُفَّاراً» لماذا؟ لماذا يريدونكم أن تتخلّوا عن سبيلكم هذه؟

إنك إنْ شـــاركت في مجلس عزاء كتب أحدهم مقالاً تنديداً بمشـــاركتك! وإن شـــدَدتَ الرحال إلى كربلاء حرّر مقالا ينتقد فيه ســفرك! كم من الناس يذهبون إلى أنطاليا فلا ترى أحداً يكتب سطراً واحداً ضـدهم أما إذا قصدتَ كربلاء استشـاط بعضـهم غضـباً! إن ســارَ البعض على الأقدام للســياحة بين جميع مدن تركيا فلا شـــأن لأحد بهم أما إذا مشـــى البعض بين

النجف وكربلاء امتلأ بعضـــهم غيظـاً! يقول الله تعالى: هؤلاء يحبّون أن تكون الأمور هكذا

ـ لكن لماذا يحبّون ذلك؟ ما دخلهم هم؟

آه..! يُفهم هذا من تتمة الآية: «..حَسَـــداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِـهِمِ» هؤلاء يُسـتثار حسـدُهم لإيمانكم! وقصـة الامتحان بالحســـد لا تخص أمير المؤمنين «عليه السـلام» فحســب، بل تشـمل المؤمنين «عليهم السلام» أيضـاً! «مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقّ» الحق واضح بالنسـبة لهم، فلماذا يصطدمون معك هكذا؟ «..حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمِ»

فماذا نفعل؟.. ما الذي يتعيّن صـنعه مع الحُسّـاد؟ ماذا صنع النبي(صلّى الله عليه وآله)؟.. وما الذي فعلـه أمير المؤمنين(عليـه السـلام)؟ «فَـاعْفُوا وَاصْـفَحُوا».. مُرّوا مرور الكرام.. لا تصـطدموا! لكن هل سـيزول حسـدهم إن صـفحتم؟ كلا. وهل سـينتهون عن حقـدهم إذا عفوتم؟ أبـداً. وهـل سيواصلون أذاهم؟ أجل. إذن لا مفر.. وإن علينا أن نرضـخ للظلم إذن! تحـديـداً! فقد صـرّح أمير

المؤمنين(عليه السـلام) بأنـه لم يذُق طعم الراحة مُذ بُعث النبي(صلّى الله عليه وآلـه)!

هل تسـتشـعرون شَـرَر الحسـد تجاه خط الإمام (الخميني) وأَتْبـاعِ نـهجِـه؟ وكيف يسـقط في نـار الحسـد، كلّ حينٍ، تيـارٌ أو جمـاعـةٌ أو أفرادٌ جُدُد فيتقلّبون فيهـا.. ويحترقون.. ويُحرِقون؟ هل ترون ذلك كله؟ ما هي النتيجة الاجتماعية لهذا الحسـد؟ هي عدم مقدرتكم على حيازة السلطة السياسية. لقد أُلقي يوسـف في الجُبّ بواسـطة إخوته! ولقد قُتِل هابيل على يد أخيه! قل لي ماذا كان سيحصل لو لم يكن ذلك الحسد؟ كان سيبلغ يوسف السيادة وينقذ النـاس من القحط. إذن هل الحسـد موضـوع أخلاقي أم سـياسـي؟ انظروا قصـة يوسـف. إن الله لا يكف عن امتحان عباده وليس من الضروري وجود أمير المؤمنين(عليه السلام) بيننا، يكفي وجود المؤمنين بيننا لتعمل نار الحسـد على عدم تسـلّطهم، مثلما عملـت نـار الحسـد على عـدم تصـدّي أمير المؤمنين(عليـه السلام) للسلطة، ومثلما عملت هذه النـار على إضـعاف سـلطته بعد تولّيه لهـا، فهل

ستختفي نار الحسد إذا تسلّم المؤمنون السلطة في عصرنا؟ الحسد بداية قصة تشاهدون نتائجها في السياسة.

◈ هل نحن قادرون؟!

الامتحانات الإلهية تنسجم مع قابليات وقدرات وخصوصيات كل فرد منا، بل إن أوامر الله سبحانه وتعالى مركّبة من أمر وامتحان معاً، بل ليس لدينا ـ أساساً ـ أمر بلا امتحان، فعندما يوجَّه الأمر إلينا بالصلاة ويحدَّد لها وقت معيّن فإن ذلك يحصل في ظرف زماني ومكاني خاص وفي حالةِ ابتلاءٍ وامتحان خاصة بالنسبة لنا. وعندما يُرفع الأذان للصلاة فإنه يمثّل لكل امرئٍ أمراً وامتحاناً معاً بأنه هل سينتشل في تلك اللحظة نفسَه من الوضع الذي هو فيه ويتوجّه إلى الصلاة؟

بشكل عام مهما طرق آذانكم من أوامر الله ونواهيه فاعلموا أنها تقترن أيضاً بما يُدعى «امتحاناً»،

فلسـنا في صـدد الإتيان بفعل في فراغ. فإذا قال الله تعالى: «لايُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلاّ وُسْعَها» (البقرة/286) فهو يعني بطبيعـة الحـال: إنــه لا يختبر أحـداً إلا بمقدار وســـعِه وقابليته. لكن هل نملك نحن القدرة على خوض هـذه الامتحـانـات الإلهيـة؟ وهـل في ميسورنا التعاطي مع هذه الأوامر الإلـهية؟

إنّ حُكمَنا على قابليّاتنا الذاتية غير دقيق عادةً، فإما أننا لا ندرك هذه القابليات أو أننا نقع تحت ســطوة إغواءات إبليس الرجيم الملعون فنتصور أن قدراتنا دون مـا هي عليـه بـالفعل مضـــافـاً إلى أن دأبَ الابتلاءات الإلـهيـة أنـها تأتي أعلى قليلاً من مستوى قابلياتنا الفعلية وهذا طبيعي ولابد أن تكون كذلك.

فالتمارين الريـاضـــيـة تختلف عن تقلّب المرء في فراشــه، فالإنســان يتقلب حين نومه إذ يســتشـعر جســدُه التعب بين حين وآخر فينقلب لا شــعورياً. ومن الواضح أن التمرين الرياضي يختلف شيئاً ما عن التقلـب في الفراش، فهو يجعـل المرء يلهـث على أيـة حـال. وكـذا الامتحـان فهو أعلى قليلاً من

مستوى قابلياتنا الفعلية لأنّه يستهدف إخراج قابلياتنا الكامنة إلى حيّز الفعلية.

لكن لا يحق لأحد أن يقول جهلاً: هذا الاختبار لا يناسب طاقتي وقابليتي! فمن أين عرفتَ يا هذا مدى قابليتك؟! من هنا فإنْ لاحظْنا ابتداءً أن قابليتنا أدنى من الامتحان فلا نخطأنّ فالذي نفتقده هو القابلية الفعلية أما القابلية الكامنة فنحن نملكها وإنّ هدف الامتحان هو تفجيرها.

وكما أن الأفراد يحاولون أحياناً التنصّل من مسؤولية الامتحانات الإلهية بل لا يودّون التصديق بأن الامتحان امتحانهم وهو لتكاملهم أو إصلاحهم فإن المجتمعات البشرية أو الجماعات الإيمانية تتعاطى مع الامتحان بالطريقة ذاتها ورجائي أن تتأملوا في العبارة التالية: لطالما كان الإمام الخميني(ره) ينظر إلى مجتمعنا فيقول: «نحن قادرون». وعندما كان يقول: «إننا قادرون على العيش مستقلين» ما كان أحد من الساسة ـ تقريباً ـ يصدّق ذلك.

لا يجوز أن نكون تبعاً، يجب أن نحيا مســـتقلين. واعـلـمـوا أنـكـم إن خـطـوتـم الآن أول خـطـوة فستستطيعون ذلك. لا تظنُّنّ أنهم هم فقط القادرون على هذا كما دأَبَت أبواقهم حتى اليوم توسـوس في صـــدورنا من أنه لا مناص لنا من التبعية!! إنه لا يجوز لنا أن نكون تبعاً بل علينا أن نستقل بأنفسنا، ونحن قادرون، وأنتم قادرون.. ونحن قادرون.

الإمام كان يقول: «نحن قادرون». لماذا كان يقول ذلك؟ بســـبب ما كان يتمتع به من نظرة عرفانية ويحمله من بصـــيرة في الدين. إنه امتحاننا نحن.. إذن فنحن قادرون. أليس هو امتحاننا نحن؟!.. إذن نحن قادرون.

عندما شُـنَّت الحرب ضـدنا وقفت جميع دول العالم خلف صـــدام في الهجوم علينا، فقال الإمام: نحن قادرون. لماذا قال ذلك؟ لأنه امتحاننا نحن، فإن كان كذلك فنحن قادرون إذن.

-«لكن تعالوا يا جماعة نحصـي أسـلحتنا؟! نحن لا نستطيع!!»

أمـا الإمـام فقـال: «نحن قـادرون». أليس هو امتحاننا؟! إذ قد فُرِض علينا فرضـاً؟ فنحن لم نأتِ بهم ونلتمسـهم أن شنُّوا علينا الحرب كي نُمتحَن! بل هم الذين ارتكبوا هذه الحماقة، إذن لقد وقعنا في هذا الاختبار، فنحن إذن أهلٌ له لأن الله يختبرنا بقدر وسـعنا. نحن قادرون.. نحن قادرون، فمهما كان سـبب هذه الحماقة التي ارتكبوها بمحاصـرتنا اقتصـادياً فقد وقع الحصـار فعلاً، إذن هو امتحاننا ونحن أهلٌ لاجتيازه. نحن قـادرون لأنـه امتحـاننا نحن، فبالاستناد إلى الامتحان نعلم أننا قادرون.

فبما أن الامتحان امتحاننا فإننا قادرون، لأن الله لا يختبر عبداً فوق طاقته. إن قتالهم لنا بالتكنولوجيا هو امتحـان لنـا فبـاسـتطـاعتنـا الوقوف بوجههم بالتكنولوجيا أيضاً.

قادرون.. لأن الله لا يمتحن أمة بما يفوق طاقتها. الله لا يكـذب، بـل نحن الكـاذبون إن ادّعينـا عـدم القدرة. البعض جاء بشـعار «نحن قادرون» ورحل بشـعار «نحن غير قادرين»! لا أدري أي أثر لهذا الكرسـي في غرس الشـعور بعدم القدرة. نحن

قادرون، هذه رؤية دينية وهي نابعة من معتقداتنا وتصوّرنا الكوني للحياة.

فالله لا يمتحن الإيرانيين بما يفوق طاقتهم وقابلية بلدهم. وكذا فهو تعالى لا يختبر العراقيين بما يتعدّى طاقتهم. فإذا أتى الدواعش يعيثون في أرضهم فساداً فإنهم قادرون على مواجهتهم لأن هذا الامتحان وقع لهم. ولقد قال الإمام القائد الكلامَ نفسه لحزب الله في لبنان يوماً وهو إنكم قادرون على مواجهة «إسرائيل»، مع أن أكثرهم ما كانوا ليصدقوا ذلك ويقولون: كيف ذلك يا مولانا؟! فلا يمتحن الله امرأً إلا ويطيق هذا الامتحان.. مفهوم؟ ما من فرد وما من أمة يختبرهم الله إلا ويقدرون على خوض الامتحان.

أوّل واجب تربويّ على الأم..

إذا أتم السابعة قل له: هذا برنامج معاناتنا..!

في أيّ عُمر يدرك الناس أنّه لا عيش في الدنيا دون ألَم؟ متى يفهم الناس عادةً أنّ العيش دون معاناة مستحيل؟ خبّروني.. 40 سنة، 30، غيره.. أواخر العمر، 50 سنة مثلاً.. طيّب، علينا خفضُ هذا العمر إلى سبع سنين! أي يجب أن نهيّئ الطفل قبل السابعة ثم نقول له إذا أتمّ السبعة: "بُنَيّ، برنامج معاناتنا من الآن هو كيت وكيت!" كي لا يستوحش. وعندها سيتأدّب. وإذذاك سيُطبَّق الحديث من أنّه لا بدّ للطفل بين السابعة والرابعة عشرة أن يتصرّف، في البيت وفي المدرسة، كالعبد تجاه سيّده ومولاه. فلو اشتغلتَ مدّة عشرة أعوام على مكامن المعاناة الأساسيّة لدى الطفل فسينشأ إنساناً ناضجاً جدّاً.

أحد إشكالاتنا أساساً هو أننا لا نعترف بكلام الله إذ يقول: سنّ رُشد البنات في التاسعة.

- إلهي، ما هذا الكلام، أيّ رُشد، ما زالت طفلة!

يقول: يبلغ الأولاد سنّ الرشد في الـ14.

- يا رب، ما هذا الكلام، 14 عاماً فقط! مجرّد طفل! إنّه لا يفهم شيئاً!

فيجيب الله: إدارتُك لشؤونه هي التي جعلَتْه لا يفهم شيئاً! تربيتُك له هي التي جعلَتْه لا يفهم شيئاً! أنت - الذي تسمّيه قبل الـ14 تلميذاً وبعد الـ14 تلميذاً - لا تفهم شيئاً! أنت - الذي تؤخّر زواجه بحجّة كونه طفلاً - لا تفهم شيئاً! أنت - الذي تؤجّل توجّهَه للعمل قائلاً: "طفل، لا يدرك" - لا تفهم شيئاً! أو أولئك الذين خطّطوا لحياتك.. الذين قرّروا ضرورة أن يُبْقُوا عليك متخلّفاً.

كلّ ثلاث أو أربعِ سنوات، بل كلّ سنة تُؤجِّل سِنّ النضج في تعاملك مع طفلك سيكون لها، من الناحية الأخرى، من الأثر ما يعادل عشر إلى عشرين، بل خمسين سنة! سيفهم هذه الأشياء متأخّراً سنةً. فهل تَعي أيّ مصيبة نزلَت، أو ستَنزِل، به بسبب ذلك؟! أيّ كارثة ستحلّ بالمجتمع؟! أَبِبَساطة تسمّيه "تلميذاً" وهو ابن الثانوية؟! فيقول: ما زالوا ينادونني كما كانوا ينادونني وأنا طفل في الأول الابتدائي! أليس لهذا أثر نفسيّ عليه؟!

وهكذا فهْمُنا للمسألة أيضاً، وليس هو اشتراك اسم وحسب، فلا شأن لي أنا بالأسماء، ياليتنا نقول له إذا أتم الرابعة عشرة: لم تعد تلميذاً، أنت الآن "طالب عِلم"، أنت "باحث"، ونقول لطلاب الجامعة: "أنتم باحثون". من المؤكَّد سيحصل تغيير. نقول له: "يا هذا، لقد أصبحت ذا شأن." لكنّ والديه أنفسهم لا يعترفون بأنّه أصبح ذا شأن!

- "هو كلامٌ قاله الله وحسب!"

إننا نبدأ بالتربية في عمر متأخّر جدّاً، أي إنّنا لا نبدأ بها أصلاً، عُذراً! فترانا مُجبَرين فيما بعد على "إبداء ردود أفعال"، وليس "تربية"، فنحن الآن نُبدي ردود أفعال.. لا نقوم بخطة تربويّة. الخطة التربويّة هي ما يلي: قاموا بإعداد لُعبة في روضة أطفال تقوم على "معاناة الاختيار"! ما هي؟ إذا جاع الطفل في الساعة العاشرة نضع أمامه قطعتَي حلوى أو أكلتَين لذيذتَين ونقول له: عليك أن تختار واحدة. فيختار واحدة، وهو سيشبع بهذه الواحدة. ثم نرفع الأخرى أمام ناظريه، ونقدّمها مع قطعة ثانية إلى رفيقه بجواره. وهذا بدوره يلتقط واحدة..

مجرّد معاناة طفيفة، رقيقة، ناعمة. فهو، في الوقت ذاته، يأكل، ويشبع، بل إذا ما أحسّ بمعاناة فسيكون قد نسيها. ولأنّه سيأكل ويشبع فإنّه سينسى معاناته على نحو أفضـــل، لكنّك تكون قد علّمته أنْ: "اِعلَم أن الدنيا محلّ اختيار، وأنّك يجب أن تغضّ الطرف عن بعض الأشياء إذا حصَلتَ على غيرها".

فإن لم تعلّمه هذا، وكبُر، فستحاول حينذاك إقناعَه! لكن لم يَعُد هناك مجال للإقناع، دعك من هذا بربّك. ثم تلجأ إلى الاستعانة بالإيمان بالله فتقول: "أليس لك دين؟! ألستَ مؤمناً؟! ألا تعرف ما القيامة؟! هذا أمر الله ورسوله.."

ـــــ يا هذا، إنّه يختنق! إلى متى؟ فعندما لا تكون روحُه مستوعبةً لهذا الكلام، بل ولا مستعدّةً لتقبّله فلماذا تُخرّب اللهَ في عينيه؟! فلقد نشّـأتَه أنت على طبع سـيّئ، تركتَه لعادات بذيئة ثم تذكّره الآن بالله والإيمان، وتظلّ تتّهمه بعدم الإيمان بسبب معاصيه؟! يا رجل، عاداته النفسيّة هي التي لا تتيح له ذلك. أين ربّيتَه يا ترى؟

الأمّهات المحترمات يقُمنَ أحياناً، بدافع الرأفة والشفقة، بتنشئة أطفالهنّ على حُبّ الراحة. لتعلَم الأمّ أنّ أوّل واجب عليها هو التحكّم "بحبّ الراحة" عند طفلها. ما إن تتمتّع العوائل ببعض الرفاهية حتى تفسح المجال لحبّ الراحة لدى أولادها، وما النتيجة؟ النتيجة أنّ الطفل سيصبح تلميذاً، لكنّه لا يصير عالماً! سيصبح إنساناً مؤمناً متديّناً، لكنّه لن يبلغ ذروة الروحانيّة أبداً!

توكَّل توكُّل المحتضر..!

أفضل السبُل لنعيش حياة أكثر طمأنينة. كيف يحيا الإنسان مطمَئنّاً؟ الطمأنينة، بشكل أساسي، هي طمأنينة البال لا طمأنينة الجسد. فبالنسبة للجسد بوسع المرء أن ينشّطه بالرياضة، أما الطمأنينة الأساسية التي نفتش عنها فهي طمأنينة روح الإنسان، طمأنينة ذهنه وباله. وعن طريق ماذا تحصل هذه الأخيرة؟ تحصل بالالتفات إلى رب العالمين المهيمن على الإنسان.

"التوكّل" هو إيمان بقدرة الله من جهة، وبرحمته من جهة أخرى، ومَن لا توكُّل له فهو - مع شديد الأسف والاعتذار - يُهين قدرة الله التي لا تزول، ويَزدَري رحمتَه الواسعة. ولذلك يعاقب الله من لا يتوكل عليه!.. أجل.. فإن وراءنا عقاب! أساساً لم يكن مقرّراً أن يوجّه إليك صفعة!.. ولا أن يُنزل بك بلاءَ كذا، لكنّ تماديك في التعلق بسواه خوفاً من التورط في مكروه جعله يخاطب ملائكته أن: ألقوه وسط المكاره! عجباً! كم نقول له: تعلّق بنا، لكنه تعلّق بسوانا، فتحمَّل إذن تبعاتِه عن نفس الطريق!

"إراحة بال الإنسان"، و"تغيير حقائق حياته" هما أثران للتوكل. «مَنِ انْقَطَعَ إِلَى اللهِ كَفَاهُ اللهُ كُلَّ مَؤُونَةٍ» أي مَن يقول: إلهي، لا أتوكل إلا عليك، يخلّصه الله من كل مشكلة، «وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ، وَمَنِ انْقَطَعَ إِلَى الدُّنْيَا وَكَلَهُ إِلَيْهَا» أي مَن تعلق قلبه بالدنيا وأحسّ بأن كلّ ما فيها؛ من صديق، ومحسوبية، وأي شيء أو أي أحد تعتمد عليه؛ من مال، أو سمعة فسوف يَكِلُك الله إلى هذا الشخص أو هذا الشيء.

مثلاً، تفضّلوا وخبروني ما هو رأسمال حياتكم؟ لا أريد أن يبوح كل امرئ بخصوصياته كرأسمال حياته لكن قولوا لي عموماً: ما هو رأسمالنا نحن البشر في الحياة؟ الأولاد مثلاً أحد رؤوس الأموال. ثم، الأبوان، فهما سند للإنسان، إذن هما رأسمال له. ثم.. تفضّلوا.. السمعة مثلاً، فلكل منا فَلس من سمعة على أية حال.. تعالوا إذن نستغفر الله سوية: "أستغفر الله ربي وأتوب إليه، أستغفر الله ربي وأتوب إليه". إلهي، تعساً لنا إن قلنا: "إنّ لنا رأسمال"، بل نحن صفر اليدين!!

يا رفاق، إننا "متوكّلون" على كُلّ واحد من رؤوس الأموال التي ذكرناها!! ولا نمد أيدينا إلى ربنا أبداً مثل شخص خالي الوفاض صفر اليدين!! بل نخابطه: إلهي، إننا نتوكل عليك، لكن ـ الحمد لله ـ لدينا أيضاً بعض الوجاهة والسمعة، ولا نتعبك كثيراً فالحمد لله الأولاد موجودون ويعينوننا قليلاً، وهناك الأصدقاء أيضاً.. وثمة بعض المال أيضاً، الحمد لله.. بعض المال.. أما الباقي فبيدك يا إلهي..!!

ــ يا تعيس! لقد أشقيتَ نفسك! اذهب، اذهب وتمتّع بما ذكرتَ.. اذهب..! هو لا يصـــفعك فيهرق ماء وجهك، بل يكشـــف لك أموراً قائلاً: انظر، ما أنتَ صـــانع بجاهك هذا؟! لماذا توكلتَ على هذه الأشياء؟!

أتدري متى يصل الإنسان إلى "كمال الانقطاع إلى الله"؟ في لحظات الاحتضـــار، حين يتحلّق حوله الجميع معتقدين أنه لا يســـمع قائلين: "المســـكين راحل، وليس في أيدينا صـــنع شـــيء". إذ ذاك ستشـاهد الأطباء يقولون: "ما باليد حيلة" هازّين رؤوسَهم قنوطاً.. والباقين ينوحون.. فتصيح: أَحقّاً أنا راحل؟!.. إلهي، ليس لي غيرُك!! هذا هو التوكل يا رفاق!

الآن أيضـاً قلها.. الآن أيضـاً قلها.. فما من أحد لك الآن ســـوى الله!.. أنت صـــفر اليدين.. ليس في التوكل أيّما عناء، فقط ألقِ نظرة على الحقيقة الماثلة فوق رأسك، وهو الله تبارك وتعالى.

سلوككِ الحسَن لا يربي طفلك!!

لا تقولوا: إننا لا نأتي أمام طفلنا بعمل قبيح وكل تصرفاتنا أمامه حَسَنة فلماذا فَسَد إذن؟ السلوك الحسن لا يربّي الطفل!! ما الذي يربّي الطفل إذن؟ محاربة الهوى، أي لابد أن يشاهد طلفكِ أنكِ تحبّينَ شيئاً ما لكنك أغضَيتِ عنه.. صبرتِ.. ومنعتِ نفسك.. وتحمّلتِ.. وابتسمتِ. وكلما شاهد ذلك منكِ أكثر تربّى على نحو أفضل.

أتدرين كيف يحكم طفلُك على صلاتك مثلاً؟ إنه يقول: أمي تحب الصلاة، تحب المجالس الحسينية.. تحب قراءة القرآن، أمي تحب الحجاب، لذا هي محجّبة، ثم يرجع إلى نفسه فيخاطبها: وما الذي تحبّينه أنتِ؟ اطلبي أنتِ أيضاً ما تحبّينه. أي إنّ طفلك يتعلم منكِ، أنت الأمّ الصالحة، كيف يفسد! يقول: أمي «تحب» الصلاة، وأنا «أُحب» أن لا أصلّي، فأنا مثل أمي.. كلانا يسعى وراء ما يحبّه! المهم هو أن يلمس الطفل صبرَ أمه تجاه ما تحبّه.

اليوم ونحن في طريقنا حصل أمامنا حادث خلّفَ قتلى وضحايا وأضرار فتأثرتُ قليلاً.. ليس كثيراً،

لم أعرف أساساً مَن كانوا.. انزعجت بعض الشيء، فقيل لي: «شيخنا، ما أصبَرَك!... ما أشد صبرك! لقد ترك الحادثُ قتلى ومصاباً بكسور فلم يبدُ عليك التأثّر أبداً!» هذا الصبر غير ذي جدوى، فلم تكن للحادث صلة بي أصلاً، فلا ولدي ولا أبي ولا أخي أصيب فيه، ما كانت لي علاقة بالضحية، بل ما كنت أعرفها كي أحزن عليها، ومن ثم أصبر، وليس لامرئ أن يستلهم من صبري هذا درساً ليصبح آدمياً، فما هو صبرٌ في مقابل ما أُحب، بل هو صبر لا قيمة له.

فلابد أن تكون لسلوككِ الحَسَن قيمة كي يؤثّر على طفلك. ولا يكتسب هذه القيمة إلا في مخالفتك لما تحبين، وهو أن يعلم ولدُك أنكِ تحبين هذا الشيء، وقد سُلِب منك، فقلتِ: لا بأس. أو أنك لا تحبين فلاناً وتستائين منه، فجُعل معك، فقلتِ: لا بأس... لا بأس! وسرعان ما يتعلّم طفلك الدرس. فقد تسخطين مثلاً على زوجك، فإن تفوّهتِ عند ذاك بما يحلو لك، أو غمزتِ عليه، أو جرحتِه، أو صرختِ عليه، أو عبستِ في وجهه« فسترين

نتيجة ذلك في المدى البعيد، ستجدين طفلاً قد تربى في مدرستك يصنع هو الآخر كلّ ما يهوى، وكلما قلتِ له: يا ولد، أبهذا المنطق! لا تفعل ذلك. أجابك: «أي منطق؟! أنتِ نفسكِ كلما ضجرتِ أفصحتِ عن ضجرِك، وكلما سُرِرتِ أظهرتِ سرورَك!»

افترضي أنّك تريدين الآن تخليص ولدك من الأمور المحرمة في جوّاله، هل تقدرين؟ هل تستطيعين أن تقولي له: «حارب هواك؟ لا تدخل الشبكات الاجتماعية الضارة؟» سيقول: أنا أحب ذلك! فالولد الذي لم يرَ من أمه محاربةً للهوى لا يحارب هواه. على أن أمه، وإن لم تحارب هواها، ليست بالمرأة السيئة.. إنها صالحة. فلو أنك أظهرتِ صبرَك ومقاومتَك هواكِ لأطفالك فسينشأون ـــ في المدى البعيد ـــ أناساً صالحين، أما إذا لم تبيني لهم محاربتك لهواك فسوف لا ينشأون صالحين وإن كنتِ امرأة متديّنة!

على المرء أن يكون كأمّ موسى(عليه السلام) إذ قالت: «إلهي.. سمعاً وطاعة، لقد ألقيتُ ولدي (في النيل).. فاذهب به» وذهب فؤادها مع ولدها.

فأعاده الله لها نبياً! فلو أنها، مثلاً، لم تثق بربها لانتهى كل شـــيء ولم تكن لتوهَب هذا الولد! على المرء أن يضعَ كل ما يحب في سلة ويلقيها في اليم ويخاطبها: إذهبي.. الله يقول: اذهبي. فإن عافَ الإنسان ما يحب، استلمَه عشرة أضعافه! أما إذا حرصنا كل الحرص على محبوباتنا ولم نتخلَّ عنها نكون قد أتلفنا أعصابنا، وأفسَـــدنا أطفالنا ومَن حولنا، ثم لا نلبث أن نفقدها هي الأخرى!!

إذن فإن أردتِ أن تخلقي من أطفالك أناساً صلحاء فلابد أن تتنبّئي بالمســـتقبل. قولي: «أنا أحارب هواي الآن ليقتدي بي طفلي في قادم الأيام» وإذا به سيصمد هو الآخر أمام ما يحبه، فالدين هو بعد النظر. فالأمر لا يحصل دفعة واحدة، وهو أن يهوى الولد ارتكاب هذا الذنب فتنهريه: دعكَ منه.. لا تقرَبه! فيقول: «ترين أنني غير قادر يا أمي! أنا لا أستطيع التخلّي عما أحب، فأنت نفسكِ أمضيتِ أمام ناظرَيّ عمراً على هذا النحو!»

لا يصلح الولد إذا رأى من والديه سلوكاً حسناً. ما الذي يربّي الطفل إذن؟ محاربة الهوى، أي لابد أن

يشاهد طفلك ذلك، ولاسيما الأم فإن لها دوراً تربوياً.

قصة السامري الغريبة

كان بنو إسرائيل في أسوأ العذاب، كما في القرآن، فأنقذهم موسى بن عمران(عليه السلام) من كل المآسي، كما في القرآن أيضاً، وشاهد هؤلاء القوم أكبر كَمّ من المعجزات، كما في القرآن أيضاً. فأيّ قوم أتاهم نبيهم ليخلّصهم فأهلك جميع أعدائهم دفعة واحدة في البحر؟ بكل سهولة! فنبيُّنا(صلّى الله عليه وآله) جاهد جهاداً طويلاً! وظل سنوات يقاتل، وقدم الشهداء والشهداء. ونوح(عليه السلام) ظل يدعو قومه ألفَ، أو 950 سنة دون نتيجة! أما موسى بن عمران(عليه السلام) فقد أباد الأعداء بفترة وجيزة! باقي الأنبياء ما كانوا هكذا. بضربة عصا انشق نهر النيل!.. تفضّلوا ومُرّوا! أرادوا

ماءً.. (قيل اضـرب بالعصـا، فما دامت العصـا فلا تهتم، وجرى الماء! الطعام، ينزل لهم من السـماء! بل ويطلبون ما يشـتهون من الطعام! هذا مكتوب في القرآن.

ـ كيف نأكل العدس يومياً؟ ماذا عن الفاصوليا؟!

ثم بلغوا مكاناً، فقال لهم(عليه السـلام): انتظروا هاهنا حتى آتي لكم بكتاب من الله، أجيء لكم بالتوراة.

ـ طيب، اذهب.

فذهب موسـى ليأتي بالتوراة، ليجيئهم بمنهج للحياة.. كم من المعاجز كان لا بد أن يروا على يد هذا النبي (ليؤمنوا)؟! فإذا برجل يدعى "السـامري"، وفي أثناء غياب موسـى(عليه السلام)، وبحضور هارون، خليفة موسى وأخيه والنبيّ من بعده ـ بحضور هارون جعل السـامري قومَ موسـى يعبدون العجل!! يا الله! فجاء موسـى مغضـباً: لكن ماذا كنت تفعل أنت؟! لماذا أخذوا يعبدون العجل؟! أمر عجيب! غير ممكن! أَوَيمكن

أن ينسى القوم كل هذه المعاجز؟! نعم لقد حصل، تفضّل.. ثم تأمّل في أسباب ما جرى.

ألا وإن رسول الله(صلّى الله عليه وآله) يشير إلى أنه كما كان لقوم موسى سامري فإن لأمتي سامرياً أيضاً.

- عجباً! صحيح؟! ومَن يكون سامريّ أمتك كي نعرفه بقياسه بذاك النموذج؟ أو لعل كل تلك الأحداث قد حصلت لنفهم نحن ما سيحصل الآن!

قال(صلّى الله عليه وآله): «كَمَا قَالَ سَامِرِيُّ قَوْمِ مُوسَى: لا مِساسَ» لا تلمسوني فإن سامري أمتي سيقول: «لا قِتَال»!

سيشجب "ثقافة المقاومة"! وأسماؤهم مذكورة في التاريخ، وأحدهم أبو موسى الأشعري. الأساس عندهم عدم المقاومة. إذن فثقافة "لا تقاوم" هي ثقافة "التيار السامري" لهذه الأمة. السامري عبقري، إنه يستعين بأجزاء من الدين فإذا ما تحدث وجدتَ كل كلامه دينياً، وجدتَه أخلاقياً، ناعماً، لم ينتزع منه سوى "المقاومة"! لكنه كانتزاع خيط المسبحة، ستنفرط كل حباتها!

وإنكم ستتشهدون في المستقبل حتماً المزيد من محاولات نزع عنصر المقاومة من مدرسة الإمام الحسين(عليه السلام) وثقافة عاشوراء!! وحذف عنصر مقارعة الاستكبار من هذه المدرسة وهذه الثقافة. ما الذي سيبقى لعاشوراء؟.. العاطفة فقط!.. المحبة ولا غير!..

الذين يعملون على أن لا يعلّمونا الجهاد، وأن لا نلتذ به.. ولا يعرضون لنا صور الجهاد الرائعة، والجهاد بفتوّة، ولا يعلّمونا الجهاد المقرون بالأخلاق، ويحاولون فصلنا عن الجهاد، هؤلاء يريدوننا خرافاً! فالخراف هي التي لا تناضل.. هي مشغولة بعلفها. بوسعي أن أدلكم على أفلام في الدفاع المقدس مناهضة للحرب، وللمقاومة، بل وتُنمّي روح التطبيع! «فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ» (نهج البلاغة، الخطبة 27)، فالجهاد باب من أبواب الجنة لا يُفتح لأيّ واحد من أولياء الله، بل للخواص منهم فقط.

يا رفاق، فلنرفع مستوى المقاومة قليلاً وسيظهر إمامنا(عج) إن شاء الله. فما الذي يريده صاحب

الزمان(عج)؟ يريد أناساً أهلاً للمقاومة. الذين يحاولون فصلنا عن الجهاد إنما يريدوننا خرافاً! ثقافة "لا تقاوم" هي ثقافة "التيار السامري" لهذه الأمة. ما الذي يريده صاحب الزمان(عج)؟ يريد أناساً أهلاً للمقاومة.

جذور السيئات تعود إلى نمط الحياة!

نمط حياتنا يؤثر تأثيراً كبيراً على أفكارنا. فالطريقة التي تربَّينا عليها والأدب الذي تأدّبنا به في حياتنا لهما بالغ الأثر على نفسيّاتنا ورُؤانا. فنحن نتعوّد شيئاً فشيئاً على طريقة حياة معيّنة، ونتطبّع تدريجياً على طرازٍ سلوكيّ خاص. فإذا كان طرازُ سلوكنا هذا خطأ فستصبح أفكارنا خاطئة، بل إننا سنتقبل الأفكار الخاطئة بأن نلتمس لها التبريرات.

جذور الكثير من سيئات الإنسان تعود إلى نمط حياته. قد يُصبح المَيل إلى الراحة جزءاً من حياتنا. ومن آثاره اجتناب الأعمال الشاقة قدر الإمكان

وعدم الإسـراع في إنجاز الواجبات مهما أمكَن. كما أن من أشكال الميل إلى الراحة الابتعاد عن الأعمال التي تكلّف ثمناً والتي تسـلُب من المرء بعضَ لذّته ونومِه وراحتِه. فإن لم تُنتزَع صـفة طلَب الراحة هذه من كيان الإنسان فماذا سيحصل؟ إنه سيحاول، إذا أصبح ذا دين أن يتفلّت من التكاليف الشرعية. وبما أنه متديّن فإنه سيقول: «أنا لست مكلَّفاً بهذا أساساً!» أترون؟ إنه يبرّر لنفسه. ثم إنه قد يأتي كذلك بتبريرات مُتقَنة وغريبة! وهو: «إنّ هناك واجبات أخرى أهمّ ولها الأولوية!» لكن لماذا هو يفكّر هكذا؟ لأنه طالبُ راحة، لا يمكنه أبداً إعطاء الأولوية للعمل الأصعب.

فنمط حياتنا يؤثر تأثيراً كبيراً على أفكارنا. فالطريقة التي تربَّينا عليها والأدب الذي تأدّبنا به في حياتنا لهما بالغ الأثر على نفسيّاتنا ورُؤانا. فالشخص المَيّال إلى الراحة يقول: «انظر.. هناك، على أية حال، احتمال معقول بأننا لو ذهبنا للتفاوض مع أمريكا فمن الممكن، في لحظة ما، أن

تتنازل! فلماذا نُقحم أنفسنا في صراع لا طائل تحته!» فطلَب الراحة هذا يُفسِد فكر الإنسان.

أظن أنني صرتُ أُصَنَّف تدريجياً في عِداد العجَزَة. فإنني أشاهد أين كان بعض الشباب، وإلى أين وصلوا، وما كانت عليه أحوالُهم وهم طلاب حوزة، وكيف غدَوا أثناء الحرب، وإلى أين وصلوا الآن؟ أمسوا من مُنَظّري رفض الجهاد! من مُنَظّري الإقرار بالسّلام الأحمق! إنه حقّاً يفكّر بهذه الطريقة! ولستَ تجرؤ على القول له: «أتعلم يا رفيقي لماذا تميلُ نفسُك وينحاز تفكيرك إلى تلك الجهة؟ أتعلم لماذا؟ لأنك منذ البداية كنت كسولاً!» كيف للمرء أن يقول ذلك؟!

كان للشهيد المطهري زميل يشاركه حجرتَه. وكان الشهيد يعمَد إلى ماء حوضِ المدرسة الفيضيّة الجامد فيُكَسّره ويأخذ بعض الماء ليتوضّأ لصلاة الليل. أما زميله فلم يكن يخرج، بل ولم يكن ينهض من نومه. وكان الشيخ المطهري، من حُبّه له، يوقظه قائلاً: «لقد ذهبتُ بنفسي وأتيتُك ببعض الماء فتوضأ هنا في أحد أركان الحجرة». وإذا

بالشـــيخ المطهري يســـتشـــهد، وهذا يطعنون في الثورة في تشـيـيع جنازته! والإمام الراحل(ره) كان قد قال له: «إذا تسلّمتَ مسؤولية فستسلّم الأمور بيد الليبراليين» كانت نفسُـــه تهفو إلى الليبراليين. ولم يكن ذلك في آخر عمره، فمنذ السنوات الأولى، بعد سـنتين أو ثلاث، من انتصـار الثورة كان يقول للإمام(ره): «علينا أن نقدّم للأمريكيين شكراً!»

- «ولماذا الأمريكيين؟ إنهم وراء كل ما تجرّعناه من ويلات!»

- «في النهاية لقد ســـمحوا لنا بالقيام بالثورة وهذا بحد ذاته نوعٌ من الإعانة

فلنشكرهم إذن!»

لاحظوا أي رؤية يحمل! إنـه يفتش عن أضـــعف احتمال وأضـأل بصيص أمل للحَدّ من الصـراع مع أصل الاستكبار الذي هو معضلة البشرية. أين هذا من الإمام الخميني(ره) الذي يقول: «لأجل اجتثاث اُصـــول أمريكا قمنا بالثورة!» نمط حياتنا يؤثر تأثيراً كبيراً على أفكارنا.

ناجِ الله كما يناجيه بلطجي!

لماذا لا ننتفع كثيراً من رحمة الله تعالى؟ إن ما يمنعنا من الانتفاع من رحمة الله هو أننا نُعوّل على أنفسنا قليلاً! هذا المانع هو العُجْب.. اغترار الإنسان بما يملك. إننا لا نناجي الله أبداً كما يناجيه بلطجي يشهَر السكاكين والسيوف، منحرف، وَ.. وَ..، بل نناجيه كأُناس راقين:

ــــ "إلهي، كما تعلمون فإني، بالطبع، من عبادكم الصالحين. ولم أقترف إلى الآن ذنباً. لكن قُلنا فلنأتِ الليلة بحضرتكم فإن حظينا بمزيد من اللطف فنحن موافقون! بل نحن مذنبون، أجل.. على أية حال، قد يكون صدَر منّا تقصير، لسنا مُنَزّهين.."

شخص كهذا تمثالٌ للعُجْب! إنه غير قادر على الانتفاع من رحمة الله.

أوَدّ في ليالي القدر، وسط التجمعات أن أعثر على من يحضر الإحياء لأول مرة، وقد كدّسَ في

صـــحيفته من الخطايا الكثير الكثير، ويســـتحي أن يتفوّه بكلمة! يأتونـه قائلين: أتريد مصـــحفاً؟ يهُمّ بـأخـذ المصـــحف، فيقول: كلا، أخجَـلُ أن ألمس المصـــحف! بل ليس لدي ما أقوله أصـــلاً! لو أعثُر على شـــخص كهذا ليلـة القدر آتي وأقف خلفـه وأقول: إلهي، أعطني كل ما تعطي هذا! ليس عنده ذرّةُ عُجْب! لا يشمَخ بأنفه قيدَ شَعرة! الكل يعودون لبيوتهم فرحين مســـرورين، وهو يلبث واقفاً! في النـهاية ينطق ويقول: أَنظَرتَ يا إلهي إليَّ أيضـــاً؟ هذا يحظى برحمة الله تلك الليلة.

الانتفاع من رحمة الله صـــعب جدّاً! لماذا؟.. لأننا نرى لأنفسنا شأناً! طيب، لا ترَ لنفسك شأناً ولأنظر! أفهل تستطيع الحضور في مراسم التوبة مثل ذلك البلطجي؟! لن تفعل! مستحيل! أفهل يمكن؟ (تقول): حالي، لله الحمد، ليســـت بهذه التعاســـة..! إننا مغرورون حتى بـأعمـالنـا التي لَمّـا نُنجزهـا! هـذا الشخص أنجز أعمالاً على الأقل. نقول: ما زال لدينا إلى آخر شهر رمضان فرصة! انظر!..

ـــــ يا رجل، إلى آخر شهر رمضان! لكنك لم تُنجز شيئاً!

ـ سأُنجز على أية حال، لا تقلق.

إن ما يمنعنا من الانتفاع من رحمة الله هو أننا نُعوِّل على أنفسنا قليلاً! ماذا نصنع كي لا نعوِّل على أنفسنا؟ أدعية أئمة الهدى(عليهم السلام) هذه هي حقّاً فرصة ذهبية. يقول: إلهي، لو كان لديّ عمل صالح لما كان ينبغي لي الاتكال عليه، بل كان يجب أن أتّكل على رحمتك. فكيف بي وأنا خالي الوفاض! إذاً عليَّ أن أتّكل على رحمتك وحسب. فإن أنت لم تنظر إليَّ فماذا عسايَ أصنع!!

درس الأخلاق الأمريكية!

يقول نبيّ الإسلام(صلّى الله عليه وآله): «مَنِ اتَّقَى اللَّهَ عَاشَ قَوِيًّا وَسَارَ فِي بِلادِ عَدُوِّهِ آمِنًا» فتأملوا وانظروا ما هي العلاقة بين القوّة والقدرة والتقوى.

لابد أن نتوخّى الحذر لكي لا يربّونا إنســـانا أخلاقيّا ضعيفا في هذه الدروس الأخلاقيّة.

يرجى منّا بعض الأحيان أن نكون أناسـا صـالحين. ولكن بعد ما نتأمّل في نصائحهم نرى أن مقصودهم من الصـــلاح هو أن اذهب في دربك بهدوء وارجع بهدوء ولا تعتنِ بما يجري فوقك ولا بما يجري حولك، وإن قمعوك على رأســـك فلا يخرج منك صوت، كن صبورا، كن متواضعا، كن رؤوفا، كن ذليلا، قل بصراحة كن عبدا! كن عبدا مؤدّبا!

أيّها الأحبّة وأيّها الشـباب كونوا حسّـاسـين، فإنكم تعيشـــون في عالم تحت هيمنة الطواغيت. فأينما وجدتم نصيحة أخلاقية انظروا إليها بسوء ظن! في أي مكان من العالم إذا رأيتم مفكّرا أو فنّانا أو فيلما يلقي إليكم نصيحة أخلاقية فلا تطربوا لها بسرعة. قل مهلا وقل لي لماذا تعطيني هذه التوصـــية الأخلاقية؟ هل في ســـبيل أن أســـكت ليذبحني خصمي؟! فلا داعي لأن أكون إنسـانا صـالحا بهذه الدرجة. هل يراد أن أكون صـــالحا لينهال عليّ الأعداء كالذئاب وأكون صـــامتا ليفســـح صـــمتي

وهدوئي وتواضـــعي وعدم تدخّلي المجالَ للظالمين وذوي السلطة في العالم؟!

فعلى سبيل المثال ردّوا الرسائل الأخلاقية الآتية من ذاك الصـــوب من العالم وقولوا: إن كنتم تحملون رســـالة إيجابيّة أخلاقية فلماذا لم تخلّقوا حكومتكم بهذه الأخلاق؟ لماذا لم تحسّنوا أخلاق حكّامكم الذين هم من أشنع مجرمي العالم. إن كنتم توصون الناس بالإخلاق فقط ـ وهي نمط من الأخلاق الحديثة وهي الشـــائعة اليوم بين شـــعوب العالم وهي أن تجعل الناس عبيدا لأصحاب القوى ــــ فنحن لا نريد هذه الأخلاق.

لابدّ أن تتصـــف بأخلاقٍ تقوّيك. فالرواية تقول إن تتقِ تعش قويّا وإن كنت قويًّا سـيهابك أعداؤك، فلم يعد بإمكان أحد أن يحزّ رأســـك. وإنما نمط الأحكام الدينية تربّي الإنســـان قويّا. تحلّيه بالأخلاق ولكن بـأخلاق مجرّدة من الآفـات! فلا تغترّوا بكـل درس أخلاق أو رســـالـة أخلاقيـة، طبعا غـالبـا مـا تكون الدروس الأخلاقية في بلدنا جيّدة لأنها مســـتوحاة من الدين.

ولكن كلّ ما عثرتم على رســــالـة أخلاقيـة وحتى رســــالة معنوية، اســــأل عن أقصــــى نتائجها. وقل حدّثني عن آخر الدرس لأصــــغي لك من الأوّل. هل ســــتنتهي هذه الأخلاق إلى الملحمة الحســــينية و كربلاء أم لا؟ هل ســــتُنتج قوّة الجأش التي تمكّن الإنســـان من مقاومة الاســـتكبار أم لا؟ فلا تصـــدّقوا ببعض هذه الظواهر أطراف العالم، فعلى ســــبيل المثال ترى قد أســـســـوا صـــندوقا خيريّا في بعض البلدان في أمريكا أو أوروبا ويقوم بعض الأغنياء بمساعدة الناس. فإن كانوا بصدد عمل الخير واقعا، فليصــــلحوا حكوماتهم التي تفقّر الشـــعوب. لماذا تركوا الأصــــل وجاءوا يتصــــدّقون على الناس والفقراء؟! هل يريدون أن يســـكتوا ضـــميرهم؟! أو يريدون أن يهدّئوا الناس ويرضوهم لئلّا يعلو منهم صوت؟! فما هذه الألاعيب؟

إنما كان أميرالمؤمنين(عليه السلام) أهل التصـدّق حيث كان يقف أمام الظلم بقوّة. فأي مؤسسة خيريّة أنتِ في أمريكا أو أوروبّا تســــاعدين الفقراء في البلدان الغربية ثم تقوم حكومتك بصنع الملايين من

الفقراء في العالم! تنهب البلدان! وتقتل الناس من أجل ذلك! ثم أنت تؤســـس دارا للأيتام! فاعترض على الأقل لنعرف أنك حريص عليهم واقعا! قل لماذا تفقّرون كلّ هؤلاء الناس في العالم؟! لا ينبغي الاغترار بالأقوال الأخلاقية في هذا العالم! فيجب أن تجعلك الأخلاق قويّا.

بنفسي أبا عبد الله الحسين(عليه السلام) الذي كان يتصـــف بالأخلاق وبالملحمة معاً. إذ أنّ الأخلاق والملحمة متلازمتان.

سبع سنوات من الخيانة بدافع الحب

يشـــيع هذا النمط من الخيانة في مجتمعنا بكثرة فالناس يحبون أطفالهم، وبســـبب هذه المحبة يخونونهم! ســبع ســنوات من الخيانة بدافع الحب. يشـــيع هذا النمط من الخيانة في مجتمعنا بكثرة.. هو طبيعي جداً.. من الســابعة حتى الرابعة عشــرة هي فترة تأديب الطفل وهم يتخيّلون أنه ما زال ابن

السنة إلى السابعة فيستمرون في تدليله وتغنيجه! فإذا بالولد عند الـــــ14 يحنّ إلى أيامه الخوالي ويرغب في اتّباع نزواته فيجد الوالدان نفسيهما أمام مشكلة ويحاولان، للتوّ، البدء بتربيته:

ـــ على مهلك يا حبيبي، ألم أمنحك الحب؟! ألم أخدمك 14 عاماً؟!

ـــ لكنك ارتكبتَ خطأً فادحاً إذ خدمتَ طفلك أربعة عشر عاماً! كان عليك خدمته إلى السابعة، أما من السابعة إلى الـــ14 فطفلك هو من يجب أن يخدمك! أيّ محبة في غير وقتها هي هذه المحبة!

تقول إدارة مدرسة ابتدائية دينية راقية: من أجل رفع المستوى الدراسي للطلاب، وبعد استقطاب الموهوبين منهم، جعلنا المختبر عند الممر وقلنا لهم: يا أولاد، يمكنكم القيام بالاختبارات العلمية متى ما رغبتم بذلك، كما يمكنكم إنجاز العمل الفلاني أيضاً متى ما شئتم، فإن سئمتُم ذلك فاقصدوا المكتبة وقوموا بالنشاط العلمي الفلاني..! لكن هذا خطأ مائة بالمائة! كم عمر الطفل؟ إنه بعمر الابتدائية. صحيح أنه يمارس نشاطه وفق

ميوله وبما يناغم موهبته لكنكم نسيتم قضية هامة جدّاً وهي أن الأهم من الموهبة والميول لدى الطفل في السبعة الثانية من عمره هي قدرته على تحمّل الصعاب وحَملِ نفسِه على النظام والأدب.

صحيح أن الطفل يحمل ميولاً جيدة وهو يتعلّم شيئاً ما لكنكم بذلك تحطّمون شخصيته، وغداً سوف يفتقد القدرة على تحمّل الشدائد وستتدنّى، بالطبع، مواهبُه. لو شهدَت مناهجنا التربوية التعليمية لمرحلة الابتدائية تغييراً لأصبح أكثر طلابنا علماء. عليكم أن تُخضعوا الأطفال، ولاسيما بين الـ7 والـ14، إلى امتحان. والامتحان هو مقاساة المحنة، والابتلاء هو معاناة البلاء. على أننا لا نعني بالبلاء والمحنة تمريغهم بالتراب، وإعطاءهم لوزة باليوم، وصفعهم مرّتين يوميّاً! فما إن نقول ذلك حتى يتبادر المرتاضون الهنود إلى أذهاب البعض. فالصعوبة، بالطبع، ينبغي أن تكون معقولة.

لكن الآباء والأمّهات الذين لا يُخضِعون أولادَهم، بدافعٍ من المحبة، لصعوبات معقولة، وفي العمر المناسِب، ليسوا قلة، وسيعانون عشرة أضعاف هذا

العناء بعد سـن البلوغ لترويض هذا الطفل الذي أصـبح الآن مراهقاً، بل "ذئبا" ما شـاء الله، دونما جدوى! أنتَ الذي أوصله إلى هذا!

أيها الآباء والأمهات المحترمون، إذا أخذتم أولادكم إلى الابتـدائيـة فرأيتم المعلمين والمعاونين يَحْنُون عليهم كـل حنُوّ، ويعـاملونهم معـاملـة الممرضـة للمريض، بل يوقِفُون أنفسَهم على خدمتهم أنْ: "يا أولاد، الأمر ما تـأمرون"، ورأيتم أولادكم مرتـاحين لـذلـك، فـأخرجوهم من هـذه المـدرسـة لأنهم "سـيفسـدون" وخذوهم إلى مدرسـة أخرى. قُل: جلبت ولدي هنا ليتأدّب، والتأدّب هو أن يتصـرّف دوماً وفقاً للتعليمات وبشكل منظّم.

لا بد للولد في الرابعة عشـرة أن يكون قد اسـتكمل أدبه، إلى درجة أن الإمام الصـادق(عليه السـلام) يوصـي: إذا أنجزت ما عليك من تأديب صبيّك حتى الرابعة عشـرة فعليك تركُه فهو لم يعد بحاجة إلى تربية. اتركه عند سن الخامسة عشرة. أينما قرأتُ هذا الحديث اعترضـوا أن: يا شـيخ، نتركه عند الـ15! ما زال في بداية الطريق.

ــ كلا يا عزيزي، يقول الإمام الصادق(ع): لو قمتَ بما عليك لكان آخره. يمكنك إعطاءه المشــورة بين الرابعة عشرة والحادية والعشرين.

عن أبي عبد الله(عليه الســلام) قال: «أَمْهِلْ صَـبِيَّكَ حَتَّى يَأْتِيَ لَهُ سِتُّ سِنِينَ، ثُمَّ ضُمَّهُ إِلَيْكَ سَبْعَ سِنِينَ فَأَدِّبْهُ بِأَدَبِكَ فَإِنْ قَبِلَ وَصَلَحَ وَإِلاّ فَخَلِّ عَنْهُ» الكافي، ج6، ص47

من الواضح أن المحبة في غير محلها مضرّة.

فلنشاهد محبة الله في البلاء!

أســاسًــا متى يلمس الإنســان رحمة ربه؟ يلمســها عندما يرى أنه حين يضرب يضرب برفق.. يُداري..

الله يؤذي الإنســان بمنتهى الروعة، كالأم إذا حقنتْ طفلَها حُقنة... يداه ترتعش!..

- الله يداه ترتعش؟!!!.. طالما تحدَّثتَ عن الله بكُل إجلال!

- نعم، تحدّثتُ عنه بإجلال، لكن لا بد لمَن يأبى رؤية هذه الأمور أن يفيق قليلًا.

يقول الله في حديث قدسي: «مَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ»... إلا في موضع واحد..

- لكن الله لا يتردد [قائلًا]: هل أفعلُ هذا؟.. لا أفعله؟

- يا رب، لكن لا معنى للتردُّد عندك أصلًا!

يقول: بلى، أتردد في موضع واحد.. عند «قَبْضِ رُوحِ عَبْدِيَ الْمُؤْمِنِ»... وهو «يَكْرَهُ الْمَوْتَ». أقول [لنفسي]: أقبضُ روحَه؟.. هو يكره ذلك.. يخاف. لا أقبضه؟.. لكنه في مصلحته.. سيهتمّون به هنا كثيرًا. لكنه الآن يكره ذلك، فما عسايَ أفعل؟!..

يا إلهي!...

فلأُصَوّر جانبًا صغيرًا آخر من المشهد: مثلًا تقرَّرَ إنزالُ بلاءٍ ما.. للنُضج مثلًا؛ كأن يُنزَل بك بلاء لامتحانك، أو ابتلائك، أو بسبب ذنب اقترفتَه.. بالنهاية يستوجب النُضج على أية حال. ثم تأتي أنت بعمل؛ كأن تصِلَ رحمًا، أو تستغفر، أو تتصدّق فيدخل منظومة الاختبار، فيتقرّر رفعُ البلاء. فأحيانًا

تفعل أنت كل هذا فيدخل منظومة الاختبار ولا يُرفع البلاء، يقال: لا، أي إن نتيجة الامتحان سلبية. هنا النتيجة إيجابية، يقال: لا بأس، نرفع البلاء. فإن رُفع البلاء، يقول الله لملائكته (مضمون الحديث):

- لو أننا أنزلنا هذا البلاء بعبدي فكم كان يجب أن نعطيه من الأجر؟

تقول (مثلًا): ألف كيلو من الأجر؛ فلقد كان نزولُ البلاء به محض صدفة، وكُنا سنُعطيه ألفًا كحدّ أدنى.

فيقول الله: الآن رفعنا البلاء، فماذا نصنع بالثواب؟

(أنا أمثّل الرواية كالمسرحية)

تقول الملائكة: حسنٌ، تصافَينا، فإننا لم نُنزل به البلاء ولم نعذبه ليجني كل هذا الثواب.

يقول الله: كلا، لم نُنزِل به البلاء صحيح، لكن اكتبوا له الثواب!

- يا إلهي، لكن...!

يقول: «أنا الله».

ثم إنه حين يريد أن يضـــرب ينظر أولًا إلى طاقتك. يقول: أَيُطيق ذلك؟ وإنّـه - بعيدًا عن الطاقة - يوفّر التســـهيلات؛ مثلًا في اللحظة ذاتها لا ترى إلا وقد وضع بقربك الضماد، ..الخ. أو، مثلًا، تريد الذهاب إلى الطبيب ويدك معطوبة، فلا ترى وإلا وصـــديقك عند الباب. يقول: لا أحب أن يتأذى عبدي!

الله حين يضرب يضرب برفق.. حين يضرب يضرب برحمة.. أتوســـل إليكم أن تلمســـوا محبة الله في البلاء، فلا شيء يَعدِل هذا الفهم لمحبة الله.

الجميل، والأجمل..

بيِّنوا للناس الجمال، ثم بيّنوا لهم ما هو أجمل. فإذا رأى الناس المظاهر الأجمل باتت جمالات العالم قبيحة في أعينهم. هذه هي مهمّة الأنبياء

فليست مهمّة الأنبياء مقارنة القبيح بالجميل

«الَّذي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ.. أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً» أيّكُم الأحسن؟ فأنا، أساساً، لا أفتّش في هذه الدنيا عن القبيح، بل.. أيّكم الأجمل؟

اتّجهوا صوب هذه الحقيقة.. بالفن.. وتساءلوا: أي الأشياء أجمل؟ وسيُزهِقُون أرواحَكم!.. ستصيبون الهدف.. فلتكتبوا الليلةَ وصاياكم استعداداً للشهادة! ألا إنكم تعلمون ما فلسفة ليلة العاشر من المحرّم

الإمام الحسين(عليه السلام) لأصحابه: ارحلوا، فأنا راضٍ عنكم، ارحلوا.. لا أمنعكم..

لم يأمرهم، رفَعَ عنهم التكليف فحسب، وكان بإمكانهم حقّاً الذهاب.. حقّاً كان بإمكانهم ذلك، فالحسين(عليه السلام) لا يجامل، ولا يكذب، نعوذ بالله، لكنهم قالوا: ليس من الواجب علينا البقاء إذن؟ لا بأس.. جعلْتَنا، إذن، في حِلّ من أمرِك، طيّب، الآن نتوسّل إليك أن تأذن لنا.. اسمح لنا.. الأفضل أن نبقى.. لكي نُقطَّع غداً إرباً إرباً على نحو أفضل!!

أيها الفنانون، أَظهِروا للناس الحياة الأفضل وسيَرمون أنماط الحياة الحسنة في سلّة المهملات!

بأيّ لســـان ينبغي قولُ ذلك؟! عذراً إذ أتحدّث إليكم بهذه الصراحة. وَهَب، ذاك الشاب النصراني، ترك زوجته الجميلة من أجل مشهَد أجمل! وهذا ما يُذهل كل إنسـان، هاهنا الجمال.. حسـنٌ، لقد حصـل هذا الشيء.. حدَثٌ وَوَقَع.. وإنّه لِمثل هذا يُراد الفَنّ.

فلو أنكم اجتمعتم هاهنا لتقولوا: كان هناك نفر من الناس يتهيّأون لشـرب الخمر لكنهم تركوا شـرب الخمر وأخذوا يُصَـلّون! أوَكنتُم سـتجتمعون لهذا؟ وهل كانت لتحدُث كل هذه الضـجة؟ أوَليس شـرب الخمر قبيح، وإقامة الصـلاة جميلة؟ كم نفراً كان سيجتمع لذلك؟ خبّروني.. شخص واحد؟ لأيّ شيء تستهلكون فنَّكُم؟!

أولياء الله جاؤوا ليخبرونا أنّ السرقة قبيحة.. الظُّلْم بشـع..!! لكن هل هذا بحاجة إلى دِين؟! هل هو بحاجة إلى "حُسين" يُقطَّع إرباً إرباً في الطَفّ؟! ألم تروا اللادينيّين مراراً يتحـدّثون في أفلامهم عن شـناعة السـرقة؟! فالأفلام الهندية تقول: السـرقة سيّئة.. واليابانية تقول سيّئة، والكورية كذلك، وكذا

الهوليوودية، ..الخ، الجميع يقولون: السرقة سيّئة، أوَيُرسل الله أنبياء من أجل ذلك؟!

لماذا نُسَخّف الدين؟! الدين يسعى إلى إظهار بشاعة الكثير من الجمالات التي يراها الناس جميلة، وهي جميلة حقّاً، لكن ثمة ما هو أجمل منها.. أجل، إن المرء ليود أن يطوف على الفنانين ليقول: فليوقد أحدكم مشعله ويجيء.. يجيء ليُرينا بفنّه ما تنطوي عليه الجمالات من بشاعة.. في مقابل ما هو أجمل منها..

◈مقطع فلم: إنّما خُلقنا لسباق!

إنما خُلقنا للسباق. من السور القرآنية الكريمة التي أُوصينا بقراءتها كل ليلة هي تلك التي تتحدث عن القيامة وصحراء المحشر واسمها سورة الواقعة، إذ قد جاء التأكيد في المأثور على قراءتها كل ليلة.

الملاحظـة اللافتـة والمهمّـة جداً والبـالغـة الأثر من الناحية التربوية التي تطرحها هذه السورة المباركة هي أن النـاس يوم القيامـة لا يقسَّـــمون إلى فئتين، صـــالحة وطالحة، بل إلى ثلاث فئات. فعبر تقســيم بالغ الأهمية يصوّر الله تعالى حصيلة حياة الإنسان يوم القيامة بهذه الصـــورة؛ وهي أنه يوم القيامة: «كُنْتُمْ أَزْواجاً ثَلاثَةً»، أي ســـتقسَّـــمون هناك إلى ثلاث فئـات. فليحزر الشـــبـاب مـا هي هذه الفئـات الثلاث؟ التقسيم الأساسي يوم القيامة، والذي يتعين علينا انتهاجه في هذه الحياة الدنيا أيضـــاً، والنظرة التي لابد - عبر المنظار الذي زودنا الله به في هذه الســـورة - أن ننظر بهـا إلى الحيـاة والمجتمع والمجاميع البشـــرية هي أن الله يقسّـــم الناس إلى ثلاث فئات:

«فَأَصْـــحابُ الْمَيْمَنَةِ ما أَصْـــحابُ الْمَيْمَنَةِ»، الفئة الأولى هم الســـعداء الذين حظوا باليُمْن والمســـرّة والبركة. «ما أَصْـــحابُ الْمَيْمَنَةِ»، وكأنه يريد أن يقول: لا تعلمون أيّ ســـعادة تغمر هذه الفئة. الفئة الثانية «وَأَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ ما أَصْحابُ الْمَشْئَمَةِ»،

إنهم الذين اســـتولى الشـــؤم على كل كيانهم، وأي شـــؤم هم هؤلاء! هؤلاء هم أفراد الفئة الثانية. وقد فُرّق، في الحقيقة، بين الصالحين والطالحين بشكل جلي. أما الفئة الثالثة: «وَالسَّـــابِقُونَ السَّـــابِقُون * أُولئِكَ الْمُقَرَّبُون». أصـــحاب الفئة الثالثة هم الذين يســـبقون غيرهم ويتقدّمون عليهم. يقول: «أُولئِكَ الْمُقَرَّبُون»، أي ليس المقرّبون إلا هؤلاء.

لكن ما المراد بالسَّـــبْق؟ يعني أن الناس يســـبق بعضهم بعضاً؛ فالمشاركون في هذا المجلس مثلاً

هل جاء كل فرد منهم ليكســـب الثواب، أو يصـــيب النور، أو ينال القُربة ثم يعود، فحسب؟ أم إنكم أتيتم لتتســـابقوا؟! إذ عند اختتام المجلس ســـيأتي النداء من العالم الأعلى متســـائلاً: أيُّ الحضـــور بات أكثر قرباً؟ أيُّهم فاق الجميع في التوسّـل؟ أيُّهم كان أشـدّ محبّة من غيره؟ إنه سباق! نحن إنّما خُلقنا لخوض سباق!

تعالوا لنحوّل ذهنيتنا إلى ذهنيةَ ســـباق. أنتم لماذا ترتـادون المســـجد يـا ترى؟ من أجـل الفوز في السباق. ثم لأي شـيء تنخرطون في سلك الثوريين

الولائيّين؟ ولأي سبب تجاهدون في سبيل الله؟ ولماذا تطلبون العلم؟ وا حسرتاه، إذ قد انتُزعت ذهنيةُ السباق من ديننا وباتت ـــ للأسف ـــ وزارة التربية والتعليم تعلّم شبابنا ديناً انفعالياً، فالالتزام بقوانين المرور ليس بحاجة إلى ذهنيةِ سباق؛ لا تخالف، كي لا تُغرَّم، لكنه ليس سباقاً، فليس سيرُك في الشارع سباقاً، بل عليك مراعاة القانون وحسب، أما الدين فليس هو على هذا النحو، فالدين سباق، الدين يقارن بين المؤمنين؛ فالزوجان اللذان يعيشان تحت سقف واحد إنما هما يتسابقان ليريا أيهما سيكسب السباق، أيهما سيغدو أعَزّ عند الله، أيهما أكثر صفحاً من صاحبه، أيهما يتنازل عند التنازع، أيهما يفوق قرينه في كسب رضاه. عليك أن تكسب السباق!

يُروى أن رجلاً اسمه عيسى بن عبد الله دخل على الإمام الصادق (عليه السلام) فرحّب به عليه السلام وقرَّب مجلسَه منه احتراماً له ثمّ قال: «يا عيسى بن عبد الله، لَيسَ مِنَّا وَلا كَرَامَةَ مَن كَانَ فِي مِصرٍ

فِيهِ مِائَةُ أَلفٍ أَو يَزِيدُونَ وَكانَ فِي ذَلِكَ المِصرِ أَحَدٌ أَورَعَ مِنه» إن رجلاً كهذا لا ينفعنا!

- شيخنا، فما بال الباقين، أليسوا صالحين؟!

- يا رجل، قلنا إنه سباق! نحن إنما دعينا إلى سباق! ألا إن الدين سباق! عليك أن تكسب السباق!

الله يتألّم لسوء حالك!

يفتش الكثيرون عن الحال المعنوية الطيّبة. ما هي الحال المعنوية الطيبة؟ إيّاك والحالُ السيئة.. أَرْبَكتَ اللهَ بارتباكك! الحالُ الطيبة هي نفسُها علاقة طيبة مع الله، وهي أيضًا مقدّمة لعلاقة طيبة مع الله. أرأيتَ كيف أنّ الأبوين يتألّمان ويرتبكان إذا ساءت حالُ ولَدهما؟ رأيتَ هذا حتمًا. طيّب، فإنّ الله يتألّم من سوء حال عبده مليار مرة أكثر من الأبوين! لا يتوقع الله منا أن تطيبَ حالُنا أكثر بكثير مما نوَدّ نحن فحسب، بل إذا كانت حالُنا سيئة فإننا نبتعد

عن اللّه! كـأنْ نقلق.. القلق هو أحـد وجوه الحـال السيئـة، حين تقلق فإنك تبتعد عن الله في كل لحظة!

إنـك لا تـذنـب في الظـاهر، لكنـك تُمهّد في نفســـك لارتكـاب الـذنوب وفجـائع كبيرة. إن أردتَ التقرّبَ إلى الله، والإحســـاسَ باللّه، ولمسَ علاقتِك بـه خيرَ لمس، وتـذوُّقَ حلاوةِ قربـه فيجـب أن تكون حـالُـك طيبة حين تقف ببابه؛ حالُك طيبة إن صَـلّيتَ، حالُك طيبة إن قرأت القرآن، وسترى أيَّ دموعٍ زُلالٍ وأيَّ حالٍ جميلة ســـتُمنَح! بحيث إذا رُفِعتْ عنك الحُجُب فلا تعجب!

فكل من يريد أن يعيش حالًا معنوية طيبة فليُحَسِّـــن - أوّلًا - حالَه هو؛ فإن وقفَ بباب ربه فليقل: إلـهي، ما عندي أيُّ هَمّ، حالي جيّدة! اطرُقْ بابَ الله بحال طيبة..

كي تكون شبيه اللّه...

الله لا ينبغي معرفته فحسب، بل لا بد من الارتواء به، لا بد من تذوُّقه، لا بد من الشعور به، لا بد من تناوله، لا بد من الالتذاذ به..

الشعور الذي يخامر فتاة وشاباً على أعتاب علاقة غرامية، أي رعشة رائعة يُحْدِثها مثل هذا الشعور في كيان الإنسان! لقد وهب الله تعالى هذا الشعور للإنسان للتجربة لكي يتسنى له قليلاً أن يتخيّل ما هو شعوره عند لقاء الله ساعة العبادة! لكن إحساس التقارب بين الرجل والمرأة، أو الشاب والفتاة، أو الجنسين المختلفين عموماً، في حال كونه عاطفياً وطاهراً وغرامياً يحصل لمرة واحدة، أقصاه مرتان، ثم يتحول، بعد ذلك، إلى الابتذال.. أو الروتين.. أو حتى العداوة. أما ذاك الشعور فهو يتجدد على الدوام..

شعور العبودية هو الشعور الأجمل والأكثر إثارة الذي يمكن أن يعيشه المرء، رجلٌ أو امرأة. إنك إن امتثلتَ الأوامر لمدة فسيستيقظ حِسّ العبودية هذا فيك. عوضاً عن تعابير مثل: "أُحبُّك"، أو: "أنت حُبّي" سيعمل الدهر على إفراز تعابير أسمى في

وجودك، وهذا هو قمة الازدهار. مثل عبارة: "إنني أعبدك... أعبدك!" إنه فوق المحبة..

الطفل، وهو المحتاج لحُضن أمه.. الطفل، وهو المستأنس بأمه.. الذي ما إن تفصله عن أمه حتى يبكي مرتعباً، ليس في مقدوره أبداً أن يقول: "أحبّكِ أُمّي!" مشاعرُه تتجاوز المحبة.. لا مجال لقوله: "أُحبّكِ!" يقول: "إياكِ أُمّاه أنا... !" وكفى! هكذا هي الأدعية كلها. الطفل إن أراد مخاطبة والديه بمحبة فليس في قاموسه غير كلمة واحدة تقال! وهي: "أمي، لا تغضبي منّي!"

وأدعيتنا تطفح بهذه المعاني: "إلهي، لا تسخط علَيّ"... "إلهي، لا تعذّبني"... ما لم تقل له: "سمعاً وطاعة" وما لم تمتثل أمرَه، لن تبلغِ حسّ العبودية!

- وهل ثمة حس أسمى من العبودية؟

ـــ أجل.. حسُّ كونِك مملوكاً... كونك عبداً... كونك رقيقاً!

- إلهي، أريد أن أكون رقيقك..

فالعبد هو الرقيق.. هو المملوك.. رسـول اللّه(صـلّى اللّه عليـه وآلـه) عبـد.. لـه مالك.. هو مِلكُه.. لا يحق لـه أن يقول: "غداً" دون أن يقول: "إن شـاء اللّه"، أي: إن شـــاء مالِكي وصـــاحبي. العبد يعني أنك ملكُه.. و"هو" الذي يقرر متى تنتهي حياتك، وليس لامرئ قطّ أن يســـألــه عن هـذا! العبـد يعني "المملوك".. "هو" الـذي يعلم مـا أعطـاك ومـا لم يُعطك.

هل معنى العبد هو: "أنا راضٍ عن اللّه؟" أنا لا يحق لي أن أرضى عن الله أو لا أرضى عنه! ومَن أكون كي أرضـــى أو لا أرضـــى؟!.. فأنا ملكُه..! إن في الإنسان شعوراً كشعور الطفل إذ يود أن يكون ملكاً لأبويه، شعور يجعل صاحبَه متعلّقاً "بمولى".

الوجـه الآخر لعملـة "العبـد" هو "القوة العظمى"، يقول تعالى: «أَطِعْنِي حَتَّى أَجْعَلَكَ مَثَلِي». كي تكون شـبيه اللّه.. كي تكون شـبيه اللّه... كي تكون شـبيه اللّه!.. «تَقُولُ كُنْ فَيَكُون».. برضـــاك يُجعَل الكون عالِيَه ســافِلَه.. وبتقطيبك وغضــبك يُباد الوجود... إنك ســـتكونُ مثلي..! «فِي مَقْعَدِ صِــدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ

مُقْتَدِرٍ». إنك ستجلس عندي.. على الكرسي الذي أجلس عليه..! هذا معنى العبد! مَن الذي يكره أن يكون عبداً؟ إنه الذي لا يريد أن يكون مثل الله "قوة عظمى".. إنه القانع بالقوى الضئيلة واللذات الخسيسة والحيوانية.. الذي لا يرغب في السيطرة على الكائنات والتسلط على العالم فلا حاجة له في أن يكون عبداً.. تكفيه حيوانيّته التي هو عليها.

حس العبودية يعني أنني لا أستطيع أن لا أعلم ما يجري في الكائنات!.. لا أستطيع أن لا أكون مدير العالم.. «فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ». أريد الجلوس بجوارك ربي في غرفة إدارة عالم الوجود خاصتك! لأكون معاون المدير. فالطاعة تبعث على تفتُّح الإنسان حتى إذا بلغَت به ذروة التفتُّح.. ماذا ستصنع؟ سيتولّد فيه حس العبودية وهذا الحس إن تولّدَ في امرئٍ فإنه سيموت من دون مولاه! سيكون أنسه بمولاه!

الله لا ينبغي معرفته فحسب.. لا بد من الشعور به.. ما لم تقل له: "سمعاً وطاعة" وما لم تمتثل أمرَه، لن تبلغ حسّ العبودية.

◈لماذا يبلغ الصالحون مبلغاً في الفساد إذا فسدوا؟!

لماذا يبلغ الصالحون مبلغاً في الفساد إذا فسدوا؟! الصالحون إذا فسدوا يصبحون أفسد من الطالحين بكثير. المعنى الأصلي لكلمة النفاق في القرآن الكريم والتي استخدمها الإمام الحسين(عليه السلام) في صحراء كربلاء أيضاً هي على وجه الدقة: « أَكَفَرتُم بَعدَ إيمانِكُم»؟! إنهم يكفرون بعد أنْ آمنوا. فالتعريف الدقيق للمنافقين في سورة «المنافقون» ليس هو مجرد ظهورهم بوجهين، بل إنهم الذين يكفرون بعد إيمانهم. آخر مراحل الانتظار هي مواجهة مشاهد من هذا القبيل.

لماذا يبلغ الصالحون مبلغاً في الفساد إذا فسدوا؟! فبمقدور الحاسد أن يقول: «تبّاً، لقد سبَقَتَني

بالفضل، لقد أثرتَ استيائي، فأُغرب عن وجهي!!»
لكن لماذا قال قابيل: سأقتلك يا هابيل؟!

سأقتلك.. «قالَ لأَقتُلَنَّك».. إني قاتلك لا محالة!!

سرّ بلوغ بعض الصالحين مبلغاً عظيماً في الفساد. أقدّم لكم هنا تحليلاً نفسياً: لأيّ شيء لا يذنب المتورِّع عن الذنب؟ هل لأنّ حاله الآن على ما يُرام؟! البعض لا يلتَذّ بترك المعصية! السؤال: هل يستمتع تارك المعصية بتركها أم لا؟ أتدرون ماذا يحصل إن لم يستمتع بذلك؟ تتولّد لديه عقدة؛ فبمجرّد أن يهمّ هواه بالظهور يقول لنفسه: «لا.. دعكَ من التباهي هنا.. الكل هنا متواضعون.. تمالك نفسك.. تبّاً، دع ذلك لفرصة أخرى..» فيتمالك نفسَه. وإذا همَّ بالتجاهر بترك الصلاة قال لنفسه: «كلا.. سيُراق ماءُ وجهك.. فالكل هنا متديّنون.. سأتجاهر به في موضع آخر». وإذا همّ بالتظاهر بالتهتّك قال: «كلا.. سيُفتضَح أمرُك.. أضبط نفسك.. سأقوم بذلك في محل آخر». فأمثال هؤلاء يزدادون «صلاحاً!!» باطّراد، فلقد أخذَتْهم

المجاملات ولا مجال للعودة عن هذا المســـار. مثل هذا الاستعداد الكامن سينفجر يوماً ما فجأة.

فديتكَ بنفســـي، إذا صـــلّيتَ يوماً فشـــعرتَ بعدم الارتياح من أنك خصّـصـتَ وقتاً للصـلاة فاسـتغفر ربّك.. من «صـــلاتِك» تحديداً!! قل: «أســـتجير بك ربي من نفســـي التي تتربّص بي الانتقـام لكوني مصلّياً! فلا تدع الأمر ينحو هذا المنحى». إذا تركْتَ المعصــية فيجب أن تســتشــعِرَ لذّةَ ذلك، وإن فعلت الخير فلابـد أن تفرح بفعلـك إيّـاه. فـإن أنـتَ فعلـت خيراً ولم تلتـذّ بـه فـاجلس ببـاب ربـك متوسّـــلاً مستغفراً قائلاً: «إلهي، أعطني سُؤلي.. فلقد صلّيتُ فلم ألتذّ بصـلاتي!! هيا.. أعطني.. أريد أن أسـتمتع بهـا.. إنني إن لم ألتَذّ بهـا فســأمُنُّ عليك لا محالة!! إنني إن لم اسـتمتع بها فسـأنتقم قطعاً!! إنني إن لم أتمتّع بها فسأرحل حتماً!!»

ثانياً، ما الذي يجعل الصــالحين يُمعنون في الفســاد إذا فســدوا؟! الصـــالحون إذا تمنّوا عيشَ الطالحين فلاعتقادهم بأن لذّة الأخيرين أكبر. فلا تتمنَّ عيشــة أحــد.. مفهوم؟ في ليلــة العــاشـــر أرى الإمــامُ

الحسين(عليه السلام) للجميع مكانَهم (في الجنة)، وأتمّ الحجة.. وحصلَت الموافقة النهائية.. وأخبرَهم بتجهيز أكفانهم.. الخ، فذهب بنفسه ــ بأبي وأمّي ـ خلف الخيام يلتقط الشوك من الأرض. مَن كان يتولّى الحراسة تلك الليلة؟ إنه نافع بن هلال. فقال(عليه السلام): «يا نافع..» (لاحظوا الموقف!) «..أترى ذلك المكان يا نافع؟»

- «أجل سيدي»
- «هناك ليس ثمة قتال!»
- «صحيح سيدي»
- «كل مَن وُجد هناك فهو آمن!»
- «بالطبع سيدي»
- «وسوف لا يُقتل!»
- «نعم سيدي»
- «هل تحب أن تذهب إلى هناك؟ إذا أحببت ذلك فاتّخذ الظُلمة ستاراً وأذهب!!»

انظر، إذا كنت هاهنا فلا تتمَنَّ الذهاب هناك طرفةَ عين أبداً!! لأي سبب يفسد الصالحون؟ إذا لم يلتذّ

الصالحون بتديّنهم فسوف ينتقمون أبشع انتقام. إذا تمنّى الصـــالحون عيش الطالحين خرجوا فجأة من دينهم بأقبح ما يكون الخروج!!

◈تفرُّج

البعض يحلّق بمجرد سماعه الحقائق.

حوار مع شاب روسي:

- كم كان عمرك حينذاك؟

- 18 سنة.

معظم الكتب التي يتم تـأليفها تســـتهدف القلوب المريضة، أما القلوب اليقظة فيكفيها التلاوة.

الحوار:

لا أستطيع أن أوضّح بالدقّة. أحس وكأن شيئاً في قلبي وفي روحي.

«هُوَ الَّذي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ» [الجمعة، الآية: 3]

الحوار:

في البداية لم أكن أعرف ما الإسلام.

أي: يا أيها الرسول، عليك في المرحلة الأولى، ومن أجل إصلاح الأمة، أن تتلو عليهم آيات القرآن، أي اجعلهم في جوّ من الآيات القرآنية. ما فائدة ذلك؟ فائدته إيقاظ النفوس المستعدّة من بين أفراد الأمة.

الحوار:

ـ هذا الإمام الحسين(عليه السلام)
ـ مرحى.. أنت الذي رسمتَه؟
ـ أجل.

دعونا ننظر إلى «التلاوة» كأسلوب يمكن تعميمه في مواضع أخرى. إنه سلوك عقلاني. فالمرء إذا رأى شيئاً جميلاً فهو لا يحتاج أحياناً إلى الاستدلال للقبول به، إذ أنّ تصوُّر بعض الأشياء يقود إلى التصديق بها، مثل رثاء أبي عبد الله الحسين(عليه السلام).

الحوار:
لقد نظمتُ مقطوعات شعرية في الإمام الحسين(عليه السلام) وواقعة الطف.

لماذا نقول: الرثاء الحسيني يبني الإنسان؟ لأن الرثاء شكل من أشكال التلاوة من حيث الأسلوب. فليس من الضروري جدّاً أن تقتنع الإنسان بأن ما

قام به أبو عبد الله الحسين(عليه السلام)، وللأسباب الفلانية، كان مميّزاً وحماسياً وعظيماً.

الحوار:

رجل ثار على الظلم

وقُتل بالنَّبل

نفوس كثيرة في العالم إذا مرّت بقصــة عاشــوراء وســـمعَت بمصـــائب أبي عبد الله الحســـين(عليه الســـلام) انجذبَت وشـــدّها الحب، نتيجة الفطرة الســـليمة التي تملكها. ثم يكون هذا ســـبباً في أن تبحَث وتفتّش.

الحوار:

شـــاهدتُ ذات يوم في قناة يورونيوز برنامجاً عن يوم عاشــوراء فأثار فيَّ فضــولاً كبيراً لمعرفة هذا اليوم. لقد تـأثّرتُ جدّاً، ورُحتُ أطالع في الانترنت عن عاشوراء والإمام الحسين(عليه السلام).

لطمية في الجبهة:

شدَدتُ الرحال إلى كربلاءِ الحسين(عليه السلام)
لأقدّم روحي في سبيل الحسين(عليه السلام)
كربلاء كربلاء، ها نحن قادمون
كربلاء كربلاء، ها نحن قادمون
سلام أيها الشهداء...

هل تدرون ما الذي كان يحصـــل في الجبهات؟ كان الشــباب يذهبون للتفرُّج! يشــهد الله أنني كنت أرى هنـاك شـــبـابـاً بعددكم كـانوا يـأتون للتفرّج! وإذا بأحدهم يشـاهد فجأة لحظاتِ وصـالِ صـديقه! يرى ارتقاءَ نفسِـــه.. ومن ثمّ تحليقه! فيقول: إلهي، أنا أيضـــاً أريد! هكذا تتفتّح الفطرة. تذهب للتفرُّج؟ أذهبتَ يوماً للتفرُّج؟

من العوامل المهمّة جدّاً لتقوية الإيمان هي مشاهدة تجلّي إيمان المؤمنين. فنحن لا نرى الغيب، لكننا نشاهد إيمان المؤمنين، وهذا يعزز إيماننا. فحين يأتي أناس إلى هذا الطريق فيشاهدون أنماط الإيمان هذه يستحكم توحيدُهم، ويتعاظم إيمانهم، وتحسُن صلاتهم. فليأتِ كل متثاقل في صلاته إلى هذا الطريق وليرَ هذا الإيمان وسيقوى إيمانه وتتحسّن صلاتُه، بل سيغدو مصلّياً إن لم يكن يصلّي.

زائر من كندا:

أعتقد أن مشاهدة كل هذا الحب من الآخرين من شأنه أن يسهم في تقوية حبك وزيادته لأنك ترى الآخرين في حالةٍ من إظهار المحبة. فإنّك حين ترى العمل الصالح تنجذب إليه وهذا ما يُدَعِّم ركائز إيمانك.

إذن «يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آياتِهِ». فلو نظرنا إلى «التلاوة» على أنّها أسلوب، أسلوب لجعل الناس في جوٍّ من

آيات الحق، فعلينا انتهاج هذا الأسـلوب في حياتنا. إنه العمل الثقافي الذي على مسؤولي البلاد تبنّيه.

الحوار:

- شكراً، شكراً جزيلاً. ما الاسم الذي تودّ اختياره لنفسك بعد اعتناقك الإسلام؟

- أحب اسم «حسين»

البعض يحلّق بمجرد سماعه الحقائق

شعر الشاب الروسي:

يذرف الخلقُ الدموعِ ضاجّين بالبكاء

رجل ثار على الظلم

وقُتل بالنَّبل

وأصبح الشهيد بطلاً

هو الآن من القرب الى الله

حتى وكأنّ الله غدا سوراً عظيماً
وأخذَ يحفظه...

لقد حان دور جهادنا

إن أوضاع بلدنا الآن أفضل من زمن نبيّ الإسلام(صلّى الله عليه وآله) على جميع المستويات. في ذلك الوقت كانوا محرومين حتى من أبسط الطعام! والمجاهد الذي كان بصدد الجهاد، لم يكن يجد طعاما يأكله. كانوا يتقاسمون تمرة واحدة بينهم، بحيث يضعها أحدهم في فمه ويخرجها ليعطيها صاحبه وهكذا... هكذا أوصلوا الإسلام إلينا. هذا الإسلام الذي بلغنا عبر هذا الأسلوب، ومنذ صدر الإسلام ضحّى هؤلاء بهذا النحو إلى أن أوصلوا الإسلام إلينا، فيجب علينا أيضا أن نقوم بمثل هذه الأفعال. [صحيفة الإمام/102/15]

طالع تاريخ حياة غربة الإمام الهادي(عليه السلام). طالع حياة مظلومية المؤمنين في زمن الإمام الهادي(عليه السلام). وانظر إلى حال البنات العلويّات اللاتي كنّ يملكن عباية واحدة فقط، وكنّ يصلين بالتناوب. كانوا يكادون أن يهلكوا جوعا. عن طريق مبلغ زهيد من الخمس يرسله أحد موالي أهل البيت(عليه السلام) من إحدى أرجاء العالم إلى الإمام الهادي(عليه السلام) خفية، وكان الإمام الهادي(عليه السلام) يبعثه إلى ذاك المؤمن المظلوم، بهذا الأسلوب استطاعوا أن يبلّغوكم الإسلام. فالآن إذا أردتم أن تبلّغوه إلى الجيل القادم، لا يمكن ذلك بالبطن الملأى والجلوس بانتظار تهيؤ الظروف وانفساح الفرصة. لابدّ لكم أيضا أن تبادروا إلى جهادٍ في سبيل الله.

- **أحد مصاديق الجهاد اليوم هو تكوين الأسرة**

- **أحد مصاديق الجهاد اليوم هو إنجاب الأطفال**

لقد ذبح جميع الأولاد في تاريخ مصـــــر. ومن بين كلّ الأمّهات أمّ واحدة أنجبت ولدا، وإذا بها تقذفه في النهر، ويذهب هذا الولد إلى قصـــــر فرعون، ليكون هذا الولد موسى. هكذا يفعل الله سبحانه! إنه مثل كتّاب هذه الأفلام والمســـلســـلات، أرأيت كيف يجعلها تتعلّق بخيط دون أن تقطع؟ لأنه يبحث عن نوايا أصـــيلة. يريد أن يقول: كانت هناك أمّ واحدة فدعتني وبكت، فأنقذت ولدها وصـــــار هذا الولد موســـى! يريد أن يقول: أنا قمت بكل هذه الأعمال وفئة قليلة من عبادي المخلصين.

لماذا كانت تصــــل الظروف - في مختلف مقاطع التـاريخ - إلى أن تتعلّق بخيط واحد. لأن الله كـان يريد أن تتعلّق القضـــيّة بخيط ولا تقطع لكي يظهر قدرته. أفهل تصــــل الظروف إلى خيط مرّة أخرى؟ لقد وصـــلت! فهل تشـــعر بذلك؟! لا يمكن الحديث عنها بالتفصيل. لقد أشار سيّدُكم وحسبكم إشارته فلا داعي للمزيد من أي شرح آخر. بدأ عدد النفوس يصل إلى الخيط، فبمن يريد الله أن ينقذنا؟! بفئة من

الشيعة الذين يقدمون على الزواج لكسب رضا الله وينجبون الأطفال لكسب رضاه وحسب.

كأن الله أراد لهذا الجيل الجديد الذي سيدرك ظهور الإمام الحجة إن شاء الله، أن إذا أراد الإمام الحجة أن ينظر إلى وجوه شبّانهم يرى في سيماهم أنّ أبويهم قد تزوجا من أجل الإمام صاحب الزمان(عج) وقد أنجبا الأطفال في سبيل قوّة الإسلام. فأصبحت وجوههم تسطع نورا. يبدو أننا على أعتاب ظهور جيل كهذا.

قبل عشر سنين لم تكن تستطيع أن تجد مثل هذا الحافز حتى لو كنت تذهب إلى الثريّا. صدّقوني أنا لم أكن أصدّق أن هناك شباب عزّاب من أهل هذه المجالس، ولكنهم لم يحملوا وصيّة نائب الإمام الإمام الحجة(عج) خلال العام والنصف الماضي على محمل الجدّ! يشهد الله أني لم أكن أصدّق. كنت أقول مع نفسي إن إشارة سماحة السيد كافية. أمّا الآن عندما أنظر إليكم أصدّق أن الإمام

الصادق(عليه السلام) كان عنده أربعة آلاف تلميذ ولكن كان يعوزه أربعون رجلا! فليت شعري من أفضل منكم؟ وأنتم في أوج الولاء! فلينظر أحدكم إلى نفسه؛ ألا تخجل من نفسك؟!

نجد الأسر الشيعية بناتهم وأولادهم يمتنعون عن الزواج بذرائع واهية، أو يقدمون على الزواج ولكنهم يتثاقلون عن إنجاب الأطفال. حتى أن بعض الشباب يأتيني ضاحكا ويتحجّج عليّ بقلّة الإمكانات للزواج. وهو مازال يضحك أثناء حديثه. وقد يستطيع أهل الفتاة أن يجدوا لخطيبهم شغلا، ولكنهم يضعون رِجلا على رِجل ويتحجّجون أن لا شغل له وليس له وارد جيّد. طيّب ولكن عنده جدارة ومشكلته هي أن لم يحصل على شغل. فتعاونوا معا إذ هناك موضوع أهمّ من هذه القضايا. فلا تتخذوا القضية لعبا. و لكن الكل أخذ يتعامل مع القضيّة عن بطر.

عندما يتحدث سيّدك عن موضوع تحديد النسل، يعني أنت المعنيّ في كلامه لا ذاك الذي يجلب اللقمة الحرام إلى بيته. كوّن عائلتك من أجل الإمام صاحب الزمان(عج). فانظر ماذا أقول لك! فهل يكفي كل عائلة عشرة؟

• فبمن يريد الله أن ينقذنا؟! بفئة من الشيعة الذين يقدمون على الزواج لكسب رضا الله وينجبون الأطفال لكسب رضاه وحسب.

• لا يمكن ذلك بالبطن الملأى والجلوس بانتظار تهيؤ الظروف وانفساح الفرصة. لابدّ لكم أيضا أن تبادروا إلى جهادٍ في سبيل الله.

- هذا الإسلام الذي بلغنا عبر هذا الأسلوب، ومنذ صدر الإسلام ضحّى هؤلاء بهذا النحو إلى أن أوصلوا الإسلام إلينا، فيجب ــ علينا أيضا أن نقوم بمثل هذه الأفعال

- أحد مصاديق الجهاد اليوم هو تكوين الأسرة

- أحد مصاديق الجهاد اليوم هو إنجاب الأطفال

ـ إن إنجاب الأطفال لجهاد عظيم.

هل أنت شجاع؟

نحن بحاجة إلى فن حماسي. الحماسة تعني الشجاعة. أنا إلى الآن ما شعرتُ بالخوف. هل أنت شجاع، أم..؟ هل أنت شجاع، أم..؟ إذا أضاف الإنسان ميوله إلى معلوماته كان له بالغ الأثر في رؤيته. وجود الخوف في كيانك يجعلك تنظر إلى الأحداث بمنظار ما أما إذا كنت شجاعاً فستتغير نظرتك إلى هذه الأحداث. مَن ذا الذي في مقدوره إنتاج عمل حماسي؟ إنه الذي يتمتع برؤية حماسية.

ومَن الذي يمتلك الرؤية الحماسية؟ تحتاج لذلك إلى أن تمتلكَ صفة الشجاعة أن تكون شجاعاً.. أن لا تهاب شيئاً.

لا بد أنكم سمعتم القصة التي يقول فيها أمير المؤمنين(عليه السلام): إنهم انتزعوا الحجل من رجل الفتاة اليهودية وإنه «لَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً»[نهج البلاغة، الخطبة27]؟ نعم؟.. الكل قد سمع بها إذن. نص الرواية هو هذا، النص لا يقول: للمرء الحق أن يموت حسرة لأن فتاة يهودية أو مسلمة سُلبَت حِجلها! الإمام(عليه السلام) يقول: سمعت أن هذا الأمر قد حدث فلم يشهر أحدٌ سيفَه! ثم إن الرجال أخذوا يترجّون الغزاة ويستعطفونهم كي لا يفعلوا ذلك!! لأجل سماع خبر كهذا من حقّ المرء أن يموت حسرةً! اختلفت القضية أم لا؟ أين تحسّر علي بن أبي طالب(عليه السلام) هنا؟ ما هي نظرته؟ نظرته إلى هذا "الظُلمِ" لم تكن شديدة بقدر نظرته إلى ذلك "الانظلام". إنه فارق في الرؤية.

إذا أضاف الإنسان ميوله إلى معلوماته كان له بالغ الأثر في رؤيته. إذن، مَن ذا الذي باستطاعته إنتاج عمل حماســـي؟ هو، بلا مؤاخذة، من تكون رؤيته أشـــبه برؤية أمير المؤمنين(عليه الســـلام)، وإلا فالناس يتأثرون على كل مظلوم؛ أخ أخ أخ أخ، أيّ ضــربة! آه، آه لا أطيق النظر.. أســتحلفك بالله، لا تُرِني مثل هذه المشاهد بعد الآن.. حوّل القناة، اقلب على القناة الأخرى. أجل، معلوم أنّ الجميع يســـتاء من الظلم.. أهو إنجاز أن تســـتاء من الظلم؟! هذه ليست حماسة؟ أساساً، ما صلتُك أنت بالحماسة؟! السيد القائد في مناســبات الخامس من حزيران (رحيل الإمام) في مرقد الإمام الخميني (ره) عندما يريد التعريف بالإمام يشــير باســتمرار إلى صــفة الشجاعة عنده. الإمام الراحل نفسه، وهو العارف، كان يقول: «أنا لا أعرف شيئاً عن ذلك الذي يسميه الناس "الخوف"! أنا إلى الآن ما شعرت بالخوف» قال ذلك لبناته، وزوجه: «أصلاً أنا لا أفهم بالضبط ما معنى قولهم إن فلاناً يخاف من كذا!!»

فإذا زال خوفك، فستصيبُ رؤيتُك. ولن تستطيع أمريكا أن ترتكب أي حماقة.

- لكن.. يا حضرة الإمام، عذراً.. فأمريكا بوسعها ارتكاب بعض الحماقات. أجل، يمكن القول من باب الشتم: «أولاد الكذا.. تخسأون إن ارتكبتم أيّ حماقة». لكن، بوسعها ارتكاب حماقة ما. نعم، لك أن تقول لها شيئاً ما، باعتبارك زعيماً وقائداً، لتستثير شجاعتنا!..» كلا، الإمام الخميني كان ناقداً حقيقةً.. حقيقةً، ما كان يمزح، ولا يجامل، ولم يكن يطلق كلاماً إعلامياً. وهناك نماذج كثيرة، إحداها قصة البارجة التي ما إن دخلت الخليج الفارسي حتى أمَرَ الإمام بضربها. كتبوها أنفسُهم في مذكّراتهم؛ بارجة.. علّها أمريكية، جاءت إلى الخليج الفارسي لإسناد صدام، أصدر أمره أن: اضربوها، لكن المسؤولين لم يجرؤوا على ضربها، ظلوا يجادلون الإمام فيها، فكان يقول لهم: لن يحصل شيء، اضربوها!

آه لو كنّا ضربناها! شجاعة الإمام كانت تزوّده برؤية صائبة. لماذا الرؤية لها قيمة؟ لأنها مؤشّر

على نزعاتك، فما لم تكن نزعاتك قويمة سوف لا تصل إلى الرؤية المميَّزة الدقيقة، لاسيما الرؤية الحماسية. نحن بحاجة إلى فن حماسي. الحماسة تعني الشجاعة، تحتاج إلى أن تمتلكَ صفة الشجاعة، أن تكون شجاعاً.. أن لا تهاب شيئاً.. هل أنت شجاع، أم..؟

دعه هو.. بنفسه!

إنّما التقوى نهج للحياة، نهج لخلق الدافع عند الناس. دعه هو.. بنفسه.. دعه هو. التقوى مشروع لإدارة المجتمع. فتّشتُ في الكتب إلى حد ما فاكتشفت أنّ التقوى ـ مع الأسف ـ لم تُعرَّف بهذا الشكل، فلا استخلصوا منها معنى "النهج" ولا تناولوها على أنها "نهج". التقوى نهج لخلق دافع لدى الإنسان وهذا النهج يقود، في الحياة الفردية أو الاجتماعية، إلى آداب وتقاليد. عليكم أن تغيّروا أسلوب دفع الرواتب، عليكم أن تغيّروا طريقة

منظومة الحضــور والانصــراف، عليكم أن تغيّروا أسلوب استلام تقرير العمل، كل هذا يتغيّر.

لكن كيف؟ إنـه نـهج، نـهج لتربيـة الإنســـان، لخلق الدافع لديه، نـهج إذا أهملناه فإننا ســـنُخرج الناس من إنســـانيتهم! فإذا تربّينا على قاعدة أنّ: العمل الذي أُنجزه لا أنجزه طمعاً في الحوافز الفوريـة، بل ولا اجتناباً للعقوبة الآنيّة..

ـ بهذا فقط أصبحتَ يا هذا آدمياً!

فلماذا أجّل الله الثواب والعقاب إلى يوم القيامة؟ لأن إنســانية الإنســان هي في أن يكون لـه دوافع طويلة الأمد. عليك أنت أيضـــاً أن تتعامل مع طفلك بهذا الأسلوب. هو مجرّد أسلوب، تعلَّمْ هذا الأسلوب، إنـه غير خاص بالله، فسيرة أولياء الله كانت هكذا أيضاً

أمير المؤمنين(عليه الســلام) لم يقدّم الحوافز كثيراً فتفرّق عســكره، أما معاوية فكان يقدّمها بســـخاء. أمير المؤمنين(عليه الســلام) لم يعاقب كثيراً فتفرّق جندُه. معاوية، أكان يعاقب؟ كان يقطع الأعناق! أي (يقول عليّ): إنّ نـهج إدارتي التقوى، أَتفهَم؟! إنــه نـهج. لا أتعجّل في المحاسبة على الزلّة.

- لكن، سيّدي، إن لم تتعجّل في ذلك أفسدَ كل شيء!

- ليفسد كل شيء، نتقبّل المجازفة!!

أحد نماذج حُمق الخوارج كان هذا تحديداً، إذ قالوا لعلي(عليه السلام): لماذا تُمهل الأشعث؟ وكانوا محقّين، فالأشعث كان شديد الخُبث، لكنهم جَهلوا إدارة أمير المؤمنين(عليه السلام) القائمة على التقوى. لقد أمهله كثيراً حتى يعرف الناسُ من هو الأشعث.

- لكن نتيجة إمهال أمير المؤمنين(عليه السلام) كانت قتْلَه، وقتلَ الإمام الحسن(عليه السلام)، وقتلَ الإمام الحسين(عليه السلام)!!

- لا بأس، فنحن لا نتنازل عن هذا النهج! إدراك الناس يجب أن يرتقي إلى هذا المستوى.. إدراك الناس يجب أن يرتقي إلى هذا المستوى.

نحن لم نفقه هذا النهج. فقط نثني على أمير المؤمنين علي(عليه السلام) روحي فداه هكذا دون معرفة: «مولانا كان مظلوماً!» وما سرّ ظلامتِه؟ سرّها عدم فهمنا نحن له(عليه السلام). فلو فهمناه لنهَجنا نهجَه نفسَه، نحن لا نعرف هذا النهج.. بل

لا نُتقنه.. بل حتّى في الحوزة العلمية لا نتعامل مع الطلبة بهذا الأسلوب، نحن لا نتعاطى مع موظّفينا وفق هذا النهج، يضعون جهاز تسجيل الحضور والانصراف في المدخل فيُنقصون من أجور الموظّف مع كل دقيقة تأخير ويضيفون عليها إذا عمل دقيقة إضافية، ثم يتوقّعون من هذه المؤسسات أن تُنشِئ "آدميّين"!! دعكم من هذا بالله عليكم! فأنتم لا تعتبرون بعضكم بعضاً آدميين! ثم تتوقعون أن تكون ثمة خدمة، ويكون إبداع، ولا تحصل خيانة! لقد وضعتم الجميع قاطبة في خانة الذئاب! بل إن سَنّ القوانين قائم على هذا المعيار!

- لكن بأي دافع أعمل على جعل هذا الشخص منظَّماً؟

- تعال وسأخبرك: يقول أمير المؤمنين(عليه السلام) في مستهلّ وصيّته: «أُوصِيكُمَا.. بِتَقْوَى اللهِ وَنَظْمِ أَمْرِكُم» فلتكن ذا شعور لتكون مُنظَّماً! لا تكن بحاجة إلى الحوافز والعقوبة الفوريّة الملموسة لتكون مُنَظّماً. ثم لكي تعتبر طفلَك إنساناً، فلا تتتبَّع أخطاءَه، دعه يأتي للطريق بنفسه، ولا تشجّعه كلما

أتى بعمل صــــالح، دعه يقف على قدميه بنفســــه، واغمره دوماً بمحبّتك

- عجيب، إذن لا ينبغي أن أشجّع طفلي؟

- بل شـجّعه دوماً لا على التعيين، قل: «سـأشـتري لك البوظة دائماً، دون ســـبب»، دع طفلك ينشــأ "إنساناً"

إذا تربّينـا على قـاعـدة أنّ: العمـل الـذي أُنجزه لا أنجزه طمعاً في الحوافز الفوريـة، بـل ولا اجتنـابـاً للعقوبة الآنيّة.

- بهذا فقط أصبحتَ يا هذا آدمياً

فلماذا أجّل الله الثواب والعقاب إلى يوم القيامة؟ لأن إنسـانية الإنسـان هي في أن يكون له دوافع طويلة الأمد. إنمـا التقوى نـهج للحيـاة، نـهج لخلق الـدافع عند النـاس. دعه هو.. بنفسه.. دعه هو.

◈ ما الذي يجعل الدنيا تخطف القلوب؟

أحبائي، الدنيا تخطف القلوب، أليس كذلك؟ السؤال: أي شـــيء فيها يخطف قلب الإنســان؟ أخبروني، ما الذي يجعلنا نتعلّق بالدنيا ولا نهتمّ بالآخرة؟ ولماذا لا تجتذب الجنّةُ قلوبَنا على عكس الدنيا؟ هل لديكم الجواب؟ الترفيه.. لكن في الجنة أيضاً هناك ترفيه، بل وأفضـــل! كون ما في الدنيا نقداً، أليس كذلك؟ عدد الموافقين؟.. إذن كونها نقداً!

صدّقوني.. وسأثبت لكم في بحث أطرحه في شـهر محرم، إن كون الدنيا نقداً لا يجتذب الإنسان! فكّروا في الجواب... لأن في كلّ زهرة من زهور الدنيا من الشـــوك المُرعب ما لا يُحسِـــن إلا تحطيم متعة الإنســـان. فإن تفحّصـــتم الدنيا جيّداً، دنيا «النّقد» هذه التي ذكرتُم وكيف أن تناول الطعام فيها يؤدي إلى تعاســـة لا يسـعنا البوح بها هنا لسـقط تناول الطعام من أعينكم! ولما استمتعتم بالنوم الذي يشبه الموت! فدعكم من قضية أنّ الدنيا نقد، فهي ليست ذات أثر

ـ الآخرة لا تجتذبنا كونها «بالآجل»!

انظروا.. ليس بيننا غريب.. وإن للمخادعة حدوداً. أنتم تعلمون أيّ أخيلة تدور في رؤوس الشباب العزّاب عن الزواج بأنه: ما الذي سيحصل ويحصل بعد الزواج!! فلذّة الخيالات تفوق لذّة العينيّات. إذن كون الدنيا نقداً ليس هو ما يجتذبك إليها! وكون الآخرة نسيئة ليس هو ما يبعدك عنها! فأين المشكلة إذن؟

إنّ ذِكرَ الدنيا هو الذي يفسدنا.. ذكرها! فكون الدنيا نقداً لا يفسدنا بتاتاً. ذكرُها هو الذي يفسدنا. ذِكرُ الدنيا النقدية هو الذي يجعلنا نحبّها، فهل يا ترى سنحبّ الآخرة بدون ذكرها؟!

فلتجعل ذكرَ الآخرة جزءاً من نمط حياتك وانظر حينها هل سيكون للدنيا النقدية عليك من أثر؟ والله العظيم لن يكون لها أثر! فماذا نصنع لنكثر من ذكر الآخرة؟ يوصينا الإمام الباقر(عليه السلام) بقراءة 50 آية من القرآن في اليوم على الأقل، وأن نفعل ذلك على أربعة عشر دفعة لا أن نقرأها دفعة واحدة وننبذ القرآن جانباً، فالقرآن الكريم أساساً هو كتاب ذكر الآخرة، إنه يأخذ الإنسان بدقيقة واحدة إلى

أجواء الجنة والنار ويعيده ثانية. ما الذي يُبعدنا عن الآخرة؟ إنه عدم ذكرها! والقرآن أفضل منهج

إن ذِكرَ الدنيا هو الذي يفسدنا.. ذكرها! فلتجعل ذكرَ الآخرة جزءاً من نمط حياتك، وانظر إن كان للدنيا النقدية عليك من أثر؟ والله العظيم لن يكون لها أثر!.

خطؤنا الرئيسي في أسلوب تعليم الدين

خطؤنا الرئيسي في أسلوب تعليم الدين. طريقة تعليم الدين في مجتمعنا تعاني من مجموعة أخطاء جوهرية، أخطاء كثيراً ما تبرز في مختلف مراحل تعليم الدين.

الخطأ الأول. الطريقة الشائعة لتعليم الدين، لاسيما تلك المأخوذة من الأساليب الحوزوية، هي تلك التي يغلب عليها عِلمُ الكلام. وعلم الكلام يعمل على إثبات أنّ الله موجود، وأن هناك معاد. إنه يثبّت للإنسان أصل العقائد. وإنّ مَن يعلّم الدين بهذه

الكيفية يحاول في العادة الوصـــول إلى نتيجة هي: بما أن الله موجود، وبما أنه يأمرُك، فإن عليك أن تطيعه، وإلا فستذهب إلى النار! فإذا كانت الطريقة بالشـــكل الذي ذكرتُه فإنها طبعاً ســـتترُك على الكثيرين أثراً سلبيّاً. والبديل هو أن نبدأ من احتياج الإنسان.

عوضـــاً عن إثبات الله فلنبدأ من حاجة الإنســـان. لنقل: «أيها الإنســـان، ما الذي تريده أنت؟ إنك بحاجة إلى أن تتمتّع، بل أن تبلغ قمة المتعة. إنك بحاجة إلى أن تكون عاشـــقاً، بل أن تكون عاشـــقاً بشـــدّة. إنك بحاجة إلى وصـــال معشـــوقك، بل إلى وصال من تعشقه وتحبّه بشكل جيّد ومريح وسريع. لاحظوا.. فلنشـــرع في تعليم الدين من هذه النقطة. ما المشـــلكة في ذلك؟ فلا ينبغي أن نبدأ تعليم الدين بالقول: «كم هي أصـــول الدين؟» بل علينا أولاً أن نقول: «أيها الإنســـان، ما أنتَ؟». ولقد جاء في أحاديثنا قولهم: «مَن عرَفَ نفسَهُ فقَد عرَفَ رَبَّه.»

فنحن لا نبدأ بتوضيح الدين من حاجة الإنسان، بل من وجود الله! هذا وإن الكثير من الناس لا يستيقظ

لديه حس الشعور بالحاجة إلى الله، بل إنك إن قلت له: «اللّه» هذا موجود، وهو يأمرُك، وإن لديه ناراً، فإن لم تُطِعهُ، أدخَلَك النار! فسيشعر لا محالة أنك تظلمه. إنك تُعلّم الدين لكن الأثر النفسي لهذا النمط من التعليم هو النفور من الدين!

"النفور من الدين" هو الأثر النفسي للنمط التقليدي لتعليم الدين

حقّاً، كيف ينبغي لنا أن نقارب الدين؟ ومن أين علينا أن نبدأ؟ الطريق الأول ذكرتُه لكم: «احتياج الإنسان.» طيّب، كيف نكتشف احتياجات الإنسان؟ هل يعرف الناس جميع احتياجاتهم؟ فإن عرفوها، فنبدأ من هذه الاحتياجات، وإن لم يعرفوها فنعمل على إيقاظها فيهم. لا بأس، فلنقم بذلك. فإن قُمنا بهذا فسوف ننجو أيضاً من الابتلاء بآفات الغربيين. فلماذا وقف الغربيون بوجه الدين؟ لأنهم شاهدوا أنه لا يُلَبّي احتياجاتهم. فتفشّت العلمانية في كافة مجالات الحياة وعلى جميع أصعدة المعرفة.

فإذا شرَعنا من احتياجات البشر فسيُصغي إلينا الغربيُّ أيضاً ويقول: أحسنت، أحسنت.. إنك تنظر

إلَيَّ قبل أن تنظر إلى الله! فنقول: أجل، لِمَ لا؟ لا بد أن ننظر إليك. إنك لأنت المرآة التي تعكس الله بتمامه. يقول تعالى: «فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا»[الشمس، الآية: 8]. وأنت الذي في كيانك الكتابُ الذي خَطَّه التوحيد. فمهمة الأنبياء لم تكن إلا «ليُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُول.»[نهج البلاغة - خطب الإمام علي (ع) - ج ١ - الصفحة ٢٣] فالأنبياء إنّما جاؤوا ليستخرجوا ما هو مدفون في عقول البشر. فالدين لا يُضيف إلى الإنسان شيئاً من الخارج، «إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّر»[الغاشية، الآية: 21] أنت، أيها النبي، لستَ إلا مُذَكِّراً. فهذا الإنسان المتلقّي لرسالتك يملك كل شيء. قسماً بالله حتى المتأثّرين بالمذهب الإنساني سيأنسون بهذا الكلام قائلين: «إنكَ تطرح كلاماً جديداً! نعم.. استمر.»

الخطأ الثاني في تعليمنا للدين هو «إثباتُ الله» عوضاً عن «وَصف الله». الخطأ الآخر المرتكَب عموماً في مناهجنا لتعليم الدين هو أنهم يثبتون «أن الله موجود» دون أن يوضّحوا «مَن هو الله؟» وهذا أمر سيّئ للغاية، وهو أشبه بقصة الفتى الذي

يريد خطبة فتاة فنأتي لنُثبت له ضـــرورة الزواج! يقول: «حسنٌ، عرِّفني بفتاة إذن.»

فنقول: «هناك فتيات صالحات، عموماً.»

فيقول: «أنا تعرّفتُ على واحدة، فهلاّ ســـألتَ لي عنـها؟»

فنقول لـه: «نحن لا ندخل في التفاصـــيل. فلتقتنع أنتَ بأصل الزواج عموماً!»

فيقول: «يـا أخي، أنـا مقتنع.. قتلتَني.. دمّرتَني.. كفى! فقط اعثَر لي على فتاة، ثم صِـفها لي. افرض أنّي لم أقتنع بأصـــل الزواج! جيّد؟ أنت فقط عَرِّف لي فتاة، ودعها تخطف قلبي، وأنا ســـأُقنِع نفســـي بالزواج.»

ففي أصـــول العقائد يتم الإصـــرار على إثبات: «أن الله موجود،» فيقال: «طيّب، قتَلتَنـا!» يا أخي، قل لـه: من هو الله؟ ما هو الله؟ ما هي أوصـــافُه؟ فإذا جاءَه أحدٌ ليقول لـه، محاولاً إلقاء الشـك في نفســه: الله غير موجود، أو قال لـه: هنـاك إلهان، أو ثلاثـة ونصــف، أو واحد ونصــف، فســينتفض ويرُدّ عليه بنفســه. إنه ســيدافع عن «الله» الذي يحبه، بعد أن

استيقظَت فطرتُه وبات يقول: أنا أيضاً كنتُ أفتش عن شيء كهذا.

فالجماعة يثبتون المعاد لكنهم لا يوضّحون ما الذي يحصل هناك! يقول تعالى: «لَهِيَ الْحَيَوَان» فالحياة هناك.. وأصلُ العيش هناك! فلتُجرُوا استطلاعاً للرأي.. مع الحاضرين في هذا المجلس مثلاً. اسألوا: ما هو تصوركم عن الجنة؟ سأخبركم ما هي الإجابة الكاريكاتيرية: الجواب: «الجنة، يا هذا، مكان جيد. فمن جهة هناك نهر من لبن، ومن جهة أخرى هناك نهر من عسل. ثم إن الملائكة تخلط اللبن بالعسل، فيأتي هذا بالعسل ويأتي ذاك باللبن.»

- «حسنٌ، ثم ماذا؟»

- «ثمّ.. اَاَ... لا شيء!»

فلو أننا – عوضاً عن مجرد القول «الله موجود» - قلنا: «مَن هو الله» فهذا أفضل. ولو أننا، بدلاً من مجرّد إثبات المعاد، قلنا ما هي الآخرة، وكيف تكون الحياة في الآخرة، فسوف لا يكون كلامنا مُمِلاً، بل أفضل. وأمثال هذا الأسلوب من الكلام في

القرآن الكريم كثيرة. فالقرآن كتاب الله، لكنه يبيّن لك: متى يستاء الله، ومتى يفرح، وماذا يحب، وإلى ماذا ينظر، ومع مَن يتكلم، ومع مَن لا يتكلم أبداً، بل وكيف يكون جوابه لبعض الناس، وكيف يتعامل مع هؤلاء، وكيف يتعاطى مع أولئك، كم هو متكبّر، وكم هو رؤوف. هذان خطآن في المنهج التقليدي لبيان الدين.

◈ أكنتَ ملتفتًا لهذا المعنى الجميل في تسبيحات الزهراء(عليها السلام) ؟

حين يتمنّى المرء شيئًا يظلّ يمدح مثيله عند الآخرين؛ - أرأيتَ ما أجمل سيّارته؟! أي: أنا أحب أن تكون لي مثلها. - أرأيتَ ما أفخم منزله؟! أي: أنا أيضًا أوَدّ أن يكون لي مثله.

- إلهي، إني أُثني عليك، أسبّحك، بأنّك منزَّه عن العيب.

مـا معنى هذا؟ يعنـي: أَزِل عيوبي. المرء يحـبّ أن تزول عيوبه.

فالأذكار التي تردّدها لله هي - من النـاحيـة الأخرى – لك في الحقيقة، وإنّ مَن يقول: «ســـبحان الله» في ربه؛ "ســبحان الله، ســبحان الله، ســبحان الله" فإنّه يُخبر عن أمانيه؛ يعني: فلأتنزّه أنا أيضًـــا من العيـب. ثمّ لاحظوا، الله منزَّه من العيـب ويحـبّ أن ينزِّه الجميع منـه.

قل: إلـهي، ألا إنّـه لا نقص فيك.

يقول: حسنٌ.. ماذا تقصد؟

- لكن أنا فيَّ نقص!

- يكفي هذا.. يكفي.. تعالَ إِلَيّ!

وانتـهى الأمر.. هذا ما يحصل حين نقول: «سبحان الله».

أنت ما الذي تقوله حين تســجد وتقول: «ســبحان الله»؟ أي، إلى مـاذا التفـاتُك حينـهـا؟ [تقول]: أيّـهـا الرب الذي لا عيب فيه.

فيقول: أزيلوا عيوبَ عبدي

- لكنّه ما قال شيئًا، قال: أنت بلا عيب!

- كان قصـــده: إنّ لي عيوبًا، وإنّك لا عيب فيك، ثمّ إنّنـا عبيدك، بل مِلكُك.. بل ليس لأحد غيرِك مَحوَ عيوبنا، ألا تحبّ أن نكون مثلك؟..

وما معنى الحمد؟ يعني: فلتعطنا الباقي أيضًـــا... نحن شاكرون لك، فلتُعطنا.. وهو يُعطي.. صحيح؟ ألم يقل: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُم» لا محالة؟

- الحمد لله.

- ما الداعي للحمد؟

- قلتُها هكذا عمومًا، تحسُّبًا من أن تكون أعطيتَني شيئًا.

- لا تضـــيفوا لعبدي الأبله هذا شـــيئًا، هو لم يعلم أصلًا ما أعطيتُه ليَشكُر، يقول "الحمد لله" عبثًا!

«الله أكبر»؛ أي: أخرِجْني من هذه الحقارة.. هذا في باطنها، لا أنْ تقولَها بقصـــد هذا. حين تقول: "كم أنت عظيم!" أي أنت تصـــير عظيمًا.. أي أنت تحبّ العظيم. كم أنت طاهر! كم وهبتَني من الإحسان!

- أفهمتَ هذا؟.. أفهمتَ؟.. أفهمتَ؟..

فيقول الله: يا ملائكتي، زيدوه، لقد فَهِم.

جاء في الخبر أنك بمجرد أن تفهم النعمة يزيدها الله لك. ما معنى الشكر؟ في الخبر هو أنْ تفهم أنّ الله هو من أعطاك النعمة. ليس عليك فعل شيء آخر:

- إلهي، أنا شاكر لك!

لا داعي حتّى لقول هذا. أرأيتَ النعمة التي أعطيتك؟ ما إن تراها حتى أقول: شَكَرَني

الأذكار التي تردّدها لله هي - من الناحية الأخرى - لك في الحقيقة. الدعاء مع «سبحان الله» يعني: أنا أيضًا اِمْحِ عيوبي. وهو يفرح إن أراد فعل ذلك بك.

ما معنى الحمد؟ يعني: فلتعطنا الباقي أيضًا... نحن شاكرون لك، فلتُعطنا.. وهو يُعطي.. «الله أكبر»؛ أي: أخرِجْني من هذه الحقارة.. حين تقول: "كم أنت عظيم!" أي أنت تصير عظيمًا..

إذا أقنعنا أنفسنا بالتديّن لأي سبب ثم لم نستمتع به ولم ننشط بسببه فتأكدوا أن تديّنَنا سيكون مصحوباً بالغرور والعُجْب! فما جدوى ذلك؟! بل إننا سـنُنَفّر الكثيرين من الدين ثم ينبعث النقاش السخيف حول الدين والدنيا من جديد!

ـ دعنا نستمتع قليلاً.. دعنا نصفّق ساعةً!

ــ عذراً، أَوَلا يستمتع المصلّون حين صلاتهم؟.. أَليست لذّتهم أعظم؟! عبثاً يصلّون إن لم يشعروا باللذّة!!

التديّن السارّ. لابد أن ننشَط بالعبادة علينا أوّلاً أن نغيّر نظرتنا إلى الدين، ثمّ نغيّر نظرةَ الآخرين. التوقّع بالدرجة الأولى.. النظرة. أساساً هل نتوقّع أن... نبتهج بسبب ديننا؟ أن نلتذّ به.. بعمق؟ لا أن تقول: «يا شيخ، أنا ألتزم بصلاتي كما أنني أسمع الموسيقى المُفرحة أيضاً ليرقص لها قلبي!»

ـ «لكن ما بالُ صلاتِك لم تجعل قلبك يرقص؟!»

هذه هي القضـــية: ما بالُ صـــلاتِك لم تجعل قلبك يرقص؟! أساساً هل نتوقّع البهجة والنشاط بسبب الدين؟

ـــــ «لكننا يا شيخ لم نحظَ كثيراً بالحيوية بسبب ديننا!»

ـ «حسنٌ، إذن ثمّة في تديّننا خلل ما»

اجعل مَن لا يصوم يتحسّر على صيامك ويقول: هذا صـــائم وإنّي أعلم بالمتعة التي تغمره الآن! واجعل المُعرض عن الصلاة يتحسّر على صلاتك فيقول: أنا أعلم أي لذّة يستشعرها الساعة! وأنت أيضاً إذا شاهدت من لا يصوم ولا يصلي فليتحرّق قلبك حزناً عليه قائلاً: إنه لا يلتذ بالدنيا! إني أعلم أنه لا يهنأ بحياته، وإن فعلتُ المستحيل. لابد أن يتحسّر غير المتديّن من أنه محروم من لذّة التديّن.

«الـدينُ حُبُور» هـذا كلام أمير المؤمنين(عليـه السـلام)، الدين سـرور. الدين ليس مجرّد العيش بخُلُق بالحد الأدنى لمعنى الكلمة وهو أنه: لا تكن سـيّئاً، لا تكن طالحاً فحسـب، كلا. الدين حُبور..

الدين سرور. أوَللدين من حكمة سوى أن نلتذّ به؟! لأيّ شيء خُلِقنا نحن معاشر البشر؟

- «غاية الدين بلوغ معرفة الله..»

ـــــ طيّب، أليس في معرفة الله لذّة؟!.. هل فيها عذاب؟! أوليس الدين من أجل لذّتنا؟! أَوَلم يكن أمير المؤمنين علي(عليه السلام) يلتذ بلقاء ربّه ويستمتع بصلاته؟! إذا كنتَ من أهل المعنويات فلابد أن تستمتع بحياتك أضعاف أضعاف العوام البعيدين عن المعنويات. إذا سألك أحدهم: لدينا لذّة محلَّلة ولذّة محرّمة فأيّهما المحللة وأيّهما المحرّمة؟ فليكن هذا جوابك: كل لذّة عميقة جدّاً فهي حلال! كن على يقين من هذا.

- ما هي اللذات المحرمة؟

- هي التي تمنعني من بلوغ اللذة العميقة!

- أيّ الأفراح محرّم؟

- هي التي يعقبها حزن!

يشهد الله، لو عرّفونا بالدين على غير هذا النحو لأساؤوا تعريفنا به! والله كنّا سنتضرر! ما علّة قول

الله: الرياء قبيح.. إذا راءيتَ فسأنبذ عملَك..؟ ما معنى الرياء؟ هو عندما يحاول المرء الاستمتاع بهامش العمل؛ يقصد المسجد فيصلي ليقولوا له: مرحى، كم أنت صالح.. فيستمتع! إذن أنت لم تستمتع بنفس الصلاة يا هذا! فيقول له الله: لِمَ تلتذّ بالهامش؟.. تعال والتذّ بالمتن يا رجل!

لأحدّث نفسي: ينبغي لهذه العبادة أن تغمرني بالنشوة.. لَم تغمرني؟.. نعم لم تغمرني.. إذن لابد من خلل في موضع ما، أو أنني لازلت في بداية الطريق. إذا نَهَجْنا هذا النهج زال سوء فهم الآخرين للدين وتبدّدت السخرية بالمتديّنين. أوَللدين من حكمة سوى أن نلتذّ به؟! لأيّ شيء خُلِقنا نحن معاشر البشر؟

سلسلة مباحث: سُبُل نيل الحال المعنوية البهيجة وحيوية العيش.

◈ أزواج الثانوية

يقول تعالى: «لِتَسْكُنُوا إِلَيْها»، أي لتنعموا بالهدوء والسكينة إلى جوار أزواجكم. «وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً».. «وَرَحْمَةً». يبيّن الله تعالى هنا ثلاثاً من نتائج الزواج المهمة جدّاً. ما معنى المودة؟ الفرق بين المحبة والمودة هو أن المودّة ما يظهر على اللسان، أما المحبة فتنتقل بالنظر. هكذا جاء في المعاجم. الروايات لم تؤكد على إظهار الزوجة محبّتها لزوجها بقدر ما أكّدَت على إفصاح الزوج عن حبه لزوجته، إذ قد جاء أحدهم إلى الإمام الصادق(عليه السلام) يشكو أذى زوجته له فنبّهه الإمام(عليه السلام) إلى: أنك قلّما تقول لها: أُحبُّكِ!.. فلتقل لها ذلك. بل لو دخلتَ المطبخ وغسلت لها جميع الصحون فلا يعادل ذلك كلمة «أحبّكِ» واحدة.

يقول أحدهم: «لكن كل ما أقوم به من توفير المال للعيال وتحمّل المتاعب وما إلى ذلك إنما يرجع إلى حبي لها فلا داعي للبوح به!» صحيح، هذا الرجل يقارن زوجته بنفسه، فالرجل لا يحتاج كثيراً إلى أنْ تقول له زوجته: «أحبّكَ» أما العكس فصحيح.

يروى عن رســـول الله(صـــلّى الله عليه وآلـه) أن الرجل إذا قال مرة لزوجته «أحبك» فســـوف تظل محتفظة بها في قلبها مدى حياتها. لا بد أنكم رأيتم بعض الرجـال يقولون: «قلنـاهـا مرّة وكفى!» لِمـا يرونـه من شـــدّة وقعِها. كلا.. فكل مرة تُقال يكون لها أثر مختلف.

فالمودّة تعني إظهار هذه المحبة هناك بعض الرجال (ولا أريد إثارة الشـجار) قد ترعرعوا في أســرة لا يُظهر الأب فيها محبة للأم كثيراً فلم يحســـنوا ذلك. أمثـال هؤلاء بحـاجـة إلى دورة وأفضـــل معلم هي الزوجة نفسها. فعلى الزوجات وضع أزواجهن على الطريق بما يُحسِنَّه من أسـاليب وتدريبهم تدريجياً. فلتُـذكّر الزوجـة زوجهـا ثلاث أو أربع مرات في أوقات مختلفة قائلة: «من أحلى ذكرياتي هي حينما قلتَ لي يوماً: أحبّكِ.. أتذكُر؟» تفعل ذلك كي يتنبّه الزوج شــيئاً فشــيئاً إلى أنـه: «آهاا.. إذن هذا مهم جدّاً للمرأة».

لقد احتفظ البعض حقـاً بحـالـة مرحلتهم الثـانويـة، أقصـــد بعض المتزوجين من الرجال. ففي الثانويـة

يفتّش المرء عن صديق، ويودّ لو يكون شبيهاً له. وحين يُقْدِم على الزواج يظنّ أنه بحاجة أيضاً إلى صديق، كل ما هنالك أن يكون من غير لحية وشارب.. من الجنس الآخر! كلا، فالمرأة تختلف عن الرجل، وعلينا إدراك هذا الاختلاف.

أمثال هؤلاء بحاجة إلى دورة وأفضل معلم هي الزوجة نفسها. فعلى الزوجات وضع أزواجهن على الطريق بما يُحسِنَّه من أساليب وتدريبهم تدريجياً. فلتُذكّر الزوجة زوجها ثلاث أو أربع مرات في أوقات مختلفة قائلة: «من أحلى ذكرياتي هي حينما قلتَ لي يوماً: أحبّكِ.. أتذكُر؟» تفعل ذلك كي يتنبّه الزوج شيئاً فشيئاً إلى أنه: «آهاا.. إذن هذا مهم جدّاً للمرأة».

ماذا يتوقع الله منا؟

على كل من يتعرض للدين أن يكون على استعداد للتعرّض لجمع الأضداد. في الدين، وفيما يطرحه

الدين من رؤى ويصــدره من أحكام نلاحظ أن هناك لوناً من الجمع بين الأضـــداد. فهو يجمع بين أمور لا تجتمع في الظروف العادية. أنتم أنفســكم حينما تشــرعون بتهذيب النفس وتحاولون أن تجعلوا من أنفسكم، كمتدينين، أناساً مهذّبين ستلاحظون أنه لا بد لكم من جمع الأضداد.

فإنّ لكل منّا حســنات ورثها عن أبويه؛ فهذا متواضع وليّن العريكة دوماً، وذاك كريم سخي على الدوام، وثالث بخيل باستمرار. وإذا بالكريم يُمتحَن بأن لا ينفق المال في موضـعٍ ما، وإذا بالبخيل يُمتحَن بأن يُنفق مالاً في موقف ما، وإذا بالمتواضع الليّن يُمتحَن بأن يكون صــلباً متكبّراً في وقتٍ ما، أعني تكبّراً في الظاهر، أي أن يكون صلباً شديداً. وإذا بالصلب يُمتحَن بأن يكون ليّناً سَمحاً في ساعةٍ ما. فبأيّ حسنة اتّصفَ المرء يتوقّعُ منه الله حسنةً أخرى تكون ضدها!

ولو تأمّلتم في حياتكم لشاهدتم أمثلة من هذا. يقول الواحد منهم: إن كان في قريني هذا العيب فهذا تحديداً ما لا أتحمّله! وإذا بالله يهيئ لك قريناً يحمل

هذا العيب نفسه وأن عليك - بالمناسبة - أن تتحمّل هذا العيب بالذات، وبه يكون تكاملُك! لكن الناس، في العادة، يهملون أصل الموضوع فيلجأون، أحياناً، إلى الطلاق (وهو في معظمه لا داعي له) متصورين أن فيه الحل، فيقعون في معضلة أكثر تعقيداً!

لكن لأي شيء خُلِق الإنسان أساساً؟ لكي يبعثَ تغييراً ما. وما معنى التغيير؟ هل المُقرَّر هو أن أقوم بتغيير في حياتي أو أن أحصُد بضعَ علامات على بضع حسنات أتحلى بها؟ لا شك أن عليك القيام بتغيير.

- لكن أما تريد منّي فعل الصالحات؟

الله: وما تنفعني صالحاتك؟ لو أردت الصالحات فهذه الملائكة تفعلها وكلها تعمل لي! أتراني أريد صالحاتك؟! أو أنتظرُك لتقدّم لي بضعة أعمال صالحة؟! بل أنا أريدك أنت!

- أنا! وماذا تريد مني؟

الله: إنما في التغيير تكاملُك.

سأل أحدهم الصادق(عليه السلام): ما الفتوّة؟
قال(عليه السلام): «مَا تَقُولُ أَنتَ؟»
قال: إنها عند الناس أن: «إِن أُعطِينَا شَكَرنَا وَإِنْ مُنِعنَا صَبَرنَا».

والله لقد قال حسناً، ولم ينطق بسوء، فالشكر والصبر هما أيضاً فضيلتان بارزتان. لكنه(عليه السلام) قال: «إِنَّ الكِلابَ عِندَنَا بِالمَدِينَةِ هَذا شَأنُها!» فليس من التكامل أن يصل المرء هذا المقام. لكن الفتوّة عندنا أهل البيت هي: «إِنْ أُعطِينَا آثَرنَا وَإِنْ مُنِعنا شَكَرنا».

لاحظ.. هذه الخصلة لا تأتي بسهولة، فلا بد من التغيير لبلوغها، فلا يصبح المرء هكذا في الظروف الطبيعية.

النهج الذي يزوّد الدينُ به الناس هو نهج يجعلهم جامعي أضداد. فالناس بشكل طبيعي لا يجمعون الأضداد، إذ أنّ لكل شخص نفسيّتَه، وإنْ أحب التصرف وفقاً لنفسيته فلا حاجة له إلى التغيير، لكن لأنّ الدين يريد أن ينشئ الإنسان جامعاً للأضداد فلا بد للأخير أن يغيّر. التديّن الذي لا

يدعونا إلى التغيير ليس تديّناً، بل تحايلاً! وكيف يتحايل البعض في التديّن مثلاً؟ هكذا: يمارس من الدين ما يتلاءم ونفسيتُه ولا يقوم – المحتال – بأي تغيير، هو يُتقن ذلك جداً! ثم إنك ترى عمله صالحاً، إجمالاً، ولا غبار عليه! ما الغبار عليه؟!

على كل من يتعرض للدين أن يكون على استعداد للتعرّض لجمع الأضداد. إنّ لكل منّا حسنات ورثها عن أبويه. بأيّ حسنة اتّصفَ المرء يتوقَّعُ منه الله حسنةً أخرى تكون ضدها! ولو تأمّلتم في حياتكم لشاهدتم أمثلة من هذا.

الأفاعي الخفية

يصعب على الإنسان أن يعرف ما لديه من ميول. نفس الإنسان معقّدة جداً. ما أنت صانع بميولك الخفيّة؟! نفس الإنسان معقّدة جداً.. ما أنت صانع بميولك الخفية؟! بصيرتك، رؤيتك، نمط رؤيتك، وجهة نظرك، زاوية رؤيتك هي مواطن انكشاف

تعلّقاتك الخفية. ما تُبديه من رأي ووجهة نظر يفصح عن محاسن نفسك ومساوئها.

الأفاعي الخفية

يروى أن حُرقُوص بن زهير أتى النبي(صلّى الله عليه وآله) فقال: «يا رسول الله، أرى أنك لا تعدل!» فرمَقَه النبي(صلّى الله عليه وآله) بنظرة وقال (ما مضمونه): «ستكون لك فيما بعد آراء أشدّ إجراماً بكثير من هذا!!»

- «آها.. هكذا إذن! على المرء أن يراقب قوله، أوَتعارض إبداء الرأي؟!»

- «متى عارضنا إبداء الرأي؟! قل ما تريد..»

ألا يكون مجتمعاً كهذا دكتاتوريّاً؟

- حين تكون وجهات نظر أكثر الناس صائبة لا يكون دكتاتورياً

- وهل يعلم ذوو الآراء التافهة أن آراءهم تافهة؟

- أجل.. أبو جهل كان يعلم، فحين قالوا له: يتيم عبد الله يقول: أنا نبي، قال: ألا إنه لا يكذب.. لا بد أنه نبي حقا كي يقول ذلك!

أيُّ إنسان عاقل!! نحن نسمّيه «أبا جهل»

كان رجلٌ عند أمير المؤمنين علي(عليه السلام) فقال له الإمام: «هلُمّ إلى حرب الجمل، طلحة والزبير قد قاما، أوَلستُ خليفة المسلمين؟!»

ـ «بالتأكيد سيدي، لكن هؤلاء مسلمون أيضاً!»

فقال(عليه السلام): «طيّب، مسلمون، لكنهم خرجوا عن جادة الحق»

قال: «لكن هل نشهَر سيوفنا بوجه مسلمين؟! أَأَسلَمنا كي..؟!»

فقال(عليه السلام): «حسنٌ، لا بأس..»

فلما أراد الخروج قام إليه مالك يجادله، فقال علي(عليه السلام): «لا تجادله يا مالك.. لا تجادل.. لا تجادل يا مالك..

لنذهب.. هذا هو رأيه بالنهاية..»

أين منبع رأيه هذا من نفسه؟

ـ بالنتيجة فلان هذا رأيه، وفلان ذاك رأيه

ـ وتريد أن أصدق ذلك!!

- فليتناقشوا بشكل منطقي وليصلوا إلى نتيجة

- أنت حَسَــــن الظن جداً يا حبيبي!! هذه خباثات روحه يُخرجها! ليس هذا بنقاش أســـــاســـــاً! أين المنطق فيه؟! فلو بقيتَ إلى الأبد تقول له: انفُخ هذه البعوضة، فسيقول: عجيب! كيف لي أن أنفخ بعوضـــــة؟! وهل البعوضـــــة تُنفَخ؟! ذلك أنه يرى البعوضة فيلاً! وليس هو على استعداد لتناقشه في ذلك، فهذه رؤيته، وهي نابعة من... ميوله ونزعاته

زاوية رؤيتك هي موطن انكشـــاف تعلّقاتك الخفية. ما تُبديه من رأي ووجهة نظر يفصح عن محاسن نفســـــك ومســـــاوئها. هات رأيك، ودعني أرى ما تضمرُه نفسُك..

عُزلة في أحضان الله..!

الإنســـان في الدنيا وحيد.. إنه فيها غريب، لكن هذا لا يعني أنه لا "الله" له، بل يعني أنه ليس له إلا الله.

نحن معاشـــر البشـــر مخلوقـاتٌ وحيـدة عمومـاً وإحساس الوحدة هذا يعكّر صَفوَ الإنسان، إحساس الوحدة هذا يبعث في الإنسان سوء الظن بمحيطه، وبعالَمه، ويدفعه إلى التفكير بجدّية في أنه ما من سنَدٍ يحميه. فحين يستشعر امرؤٌ العزلة - نوعاً ما - عن الجميع، واليأس من الكل فسـيسـيء الظنّ بالبيئة التي تكتنفه وبالعالم الذي يعيش فيه. فإن قلتَ له وحالُه هذه: "توجَّه إلى الله، فهو بك رؤوفٌ رحيم" فمن العسـير جدّاً عليه الاقتناع بهذا، في حين أنه ينبغي لغُربتنا في الدنيا أن تسوقنا نحو بارئ الخلائق لنبدّد عزلتنا بصُحبته عزّ وجلّ، وأنّ هذه الغربة هي فرصة لكي لا ننشغل ببعضنا البعض، بل ننشغل مع الله، لكنّ البشر يحتارون في مثل هذا الموقف؛ فبينما يتعيّن علينا، إذا أحسسنا الوَحدة في الدنيا، أن نتّصل بربنا، ونرى أنه تعالى الحلّ الوحيد الذي يُخرِجنا من عُزلتنا، فإننا، على العكس، حين نقع ضحية الوحدة ونعاني من العزلة يتملّكُنا القنوط فنقول: "ما من أحد يحبّنا!"

إذا ما وجَدنا أنفسَنا وحيدين في خضم معترك الحياة فماذا نصنع كي لا تُخرجنا وحدتُنا عن الصراط السَوِيّ؟ كي لا تدفعنا عزلتنا إلى إنكار رحمة ربنا؟ كي لا تقودنا وحدتنا إلى الإحساس بغياب السند والحامي؟ ماذا نصنع؟ علينا أن نتمّرس على الوحدة. ولقد أوصونا، من أجل التمرّس على الوحدة، بصلاة الليل.. انهض من فراشك وحيداً.. وقل: «إِلَهِي مَنْ لِي غَيْرُك».. وكأنّ هذه الوحدة المُتّخَذة عن طواعية، والمُخطَّط لها تُمرِّن الإنسان على أن لا يفرّط بربه متى ما شعر بالعزلة. هي أشبه بمناورة غايتها التصديق بحقيقة "أن الله معي،" و"أنه لا يتركني وحيداً،" و"أنّه رؤوفٌ رحيمٌ بي". إنها تتضمن مناورة تلقينية مكثفة يخرج الإنسان بعدها رابط الجأش فلا يعود ينظر إلى أنماط العزلة في حياته بسلبية على الإطلاق.

فلنرتب لأنفسنا أجواء عزلة في أحضان رحمة الله عزّ وجلّ لنملأ فراغ وحدتنا بوجود ربّنا، ولا نيأسَنّ منه تعالى ونحن وحيدين نقاسي معاناة العزلة، فالحكمة من الوحدة هي أن نخاطب ربنا: «إِلَهِي

مَنْ لِي غَيْرُك».. فإن تحوّل المرء بسـبب وحدته إلى شـخص سـيّئ الطباع فهو لأنه لم يملأ فراغ وحدته بوجود ربّه.

من هو ناصر صاحب الزمان(عج)؟

«لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا... لِيَعْلَمَ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ» بشكل خفي «بِالْغَيْب»! المسؤولون الذين إذا غاب الرقيب عليهم يسرقون.. أو يقصّرون، لن يكون أيٌّ منهم ناصراً لصاحب الزمان(عج)! ليسوا أنصاراً، بل ولن يكونوا! من هو ناصر صاحب الزمان(عليه السلام) إذاً؟ إنه الذائب في صاحب الزمان دون أي رقيب! أتنصُر في الخفاء؟ أم لا، إن تركوك اهتمَمتَ بنفسك وحسب! «لِيَعْلَمَ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْب»! مَن الذي ينصر خِفيَة؟..

كل مَن يتمنّع، خِفيةً، على وليّ الله، فيقول: "لا بأس الآن!" يقول الله له: " ترقّبْ غضبي! أتُقصّر

مع وليّي؟! ســأدمّرك!.. ســأحطّمك!.. وليّي يطلب النصرة وأنت تقصّر معه؟!"

- لكنّي لم أقل شيئاً!

- "وماذا كنتَ لتقول أكثر من هذا؟! لقد بعثتُ الأنبياء جميعاً لأرى مَن ينصــره، وتقول: لا بأس الآن!"

تظنّون أي بليــة يُنزِل اللهُ بهـذا؟ أَقرأ لكم؟.. عن الإمام الصــادق(عليه الســلام): «وَمَنْ لَمْ يَمْشِ فِي حَاجَةِ وَلِيِّ اللهِ ابْتُلِيَ بِأَنْ يَمْشِــيَ فِي حَاجَةِ عَدُوِّ اللهِ عَزَّ وَجَلّ»، أي سأضطرّه إلى خدمة عدُوّي مجاناً! كلّ مَن قصَّــرَ مع الإمام (الخميني) في زمانه سقط ســقطة مُوجِعة في الأعوام الثلاثين التي أعقبته! وكان مصيره أن ماتَ والصــهاينة فرحين به! الله: "إنه الخميني! ليس من الســهل أن أهيّئ لك رجلاً كهذا! وإذا بك تتملّص بعد أن هيّأته لك!" أســوأ ما يمكن للمرء كتمانه هو قوله في وليّ الله: "دعه وشأنه! ليس الأمر..."

- عجباً، عجباً، ماذا قلت؟ ماذا؟ ألا تعلم أن لله كبرياءَه؟!

الله قوي عزيز. الله: لا أريد نصـــرتك أبداً، ولِمَ تريد النصرة؟ لا حاجة لنصرتك أصلاً! اذهب وأَرِح بالك: «أرِح نفسَك ولا ترهقها عناءً» (شعر).

حين تكون وحيــداً، في عزلـــة.. حين تكون في موضـــع لا يراك أحد هناك، ســـتكون ناصـــرَه؟ أم ســـتقول: لا أحد هنا، اِنسَ الأمر الآن! "(ليعلم) مَن ينصُـــر رُسُـــله بالغيب"! مَن هو ناصـــر صـــاحب الزمان(عليه السلام)؟ إنه الذائب في صاحب الزمان دون أي رقيب! أتنصُر في الخفاء؟.. أم لا!..

طريقة علاج الحسد

يقول رسول الله(صلّى الله عليه وآله): «كُلُّ بني آدم حسـود». طريقة علاج الحسـد. «ولا يضـرّ حاسـداً حسـدُه ما لم يتكلّم باللّســان أو يعمَل باليد» أي: إنّ الحاسد لا يضرّه حسدُه مادام لا يقول قولاً ولا يفعل فعلاً من منطلق حسدِه.

لا بأس، حتى وإن اشتعل الحسد في صدرك فلا تبالِ به.. دعه يخبو، فالنار إن غطّيتها بوعاء سـوف لا يَصِـلْها الهواء فتنطفئ. إذن ضـع على نار حسـدك وعاءً كي لا يعلو صـوتها؛ فلا تنبُس بكلمة بدافع الحسد، ولا تغمز بطرف حاجِبك تريد الحَسَد، بل ولا تفعل جرّاء الحسد حتّى هكذا: "هِه"، فإنّ البعض لا يقول شيئاً بباعث الحسد لكن ما إن ينكسر محسودُه حتى يفعلَ: "هِه"! انتهى الأمر.. لقد أوصـلتَ إليه الأوكسجين. لا تغمز على أحد حسداً له.

ففي الخبر (ما مضمونه): لا تنصح أحداً حسداً. فقد يحسـد المرء أحداً فيضـبط نفسـه، كأن ينجح زميلُه ويحصـد درجة كاملة ويحصـل على جائزة، فيقول: آه، ماذا أصنع؟

- لا شيء، لقد نجح صديقك فافرح

- لكن لابد أن أفعل شيئاً!

- مثل ماذا؟! أتريد شتمه؟! إذن فأنت تحسده!

- لا، لا، فأنا إنسان ذو أدب

- إذن لا تقل شيئاً. أُثير حسدُك، فالزم الصمت.

ـ كلا.. تريّث.. ثم يقول له فجأة: «اعرِف قدر نفسِك يا هذا.. إسعَ لصون نجاحك!» ها هو قد قالها!! ولا أقصد هنا نَسف دعائم النُّصح، أو أتّهم كل ناصح بالحسد، غير أن المرء قد يُسدي نُصحاً بدافع الحسد. وما الحسد بسجيّة بعض الناس فقط، فالكُلّ مُبتلى به. لا تفعل أي شيء بدافع الحسد. ضع على نار حسدك وعاءً كي لا يعلو صوتها.

باسمي أنا!

مَن كتب السيناريو؟ مَن سيتقاضى أجرَه؟ أنا الذي صغتُ أغلب أفكاره!.. ما معنى هذا؟! باسم مَن سيسجَّل العمل إذا أُنجِز؟!

جاء عدد كبير من المؤمنين أحدَ أئمة الهدى(عليه السلام) يدعونه إلى القيام. عمليّاً المعصوم(عليه السلام) ما كان يُعوّل على كثرة المؤمنين بل كان يسألهم عن علاقاتهم فيما بينهم. فلا يكفي أن تحب الإمام الباقر(عليه السلام) أو تودّ الإمام

الصادق(عليه السلام)، المهم: ما طبيعة العلاقات بينكم؟

قالوا له(عليه السلام): علاقاتنا وثيقة جداً

ماذا كان ردّ الإمام(عليه السلام)؟ قال [ما معناه]: هل يجيء أحدكم بسهولة إلى كيس أخيه فيأخذ منه حاجتَه؟ أي: هل تمدّون أيديكم إلى مال بعضكم البعض دون إذن؟

قالوا: كلا.. أوَيمكن ذلك؟!

قال(عليه السلام): أصحاب آخر إمام(عج) سيكونون هكذا! «يَأْتِي الرَّجُلُ إِلَى كِيسِ أَخِيهِ فَيَأْخُذُ حَاجَتَهُ لا يَمْنَعُه»

أحبائي، القضية ليست قضية مال، المال هنا مجرّد رَمز للإيحاء بسهولة قيام العلاقات بينهم. هل يجيء أحدكم بسهولة إلى كيس أخيه فيأخذ منه حاجتَه؟ ماذا قصَد الإمام(عليه السلام)؟ سأقول لكم: قصدَ «التنظيمات». كيف؟ أعضاء التنظيم الواحد ينتفعون من ممتلكات بعضهم البعض، فمثلاً أنا أملك قابلية التصميم فآتي بهذه القابلية لأضعها في خدمة باقي الأعضاء. عضو آخر يحوز قدرة النقد

فيأتي نقدُه ليكمّل تصميمي. شخص آخر لديه قابلية الـدعم والإســـنـــاد. إذن فهم يُفيـدون من مواهـب بعضهم البعض.

لماذا لا تتشـــكّل التنظيمات؟ لأن كل امرئ يتشـــبّث بمواهبه دون الســـماح للآخرين بمشـــاركته فيها، فيقول: باسم مَن سيسجَّل العمل إذا أُنجِز؟!

ـ باسم التنظيم

يجيب: أنا لا أعمل ضـــمن تنظيم! لابد أن يُســـجَّل باســـمي أنا!! أنا.. أنا.. أنا.. فأعمالي وقدراتي ملكٌ لي.

يجلس شـــخصـــان أو ثلاثـة ليكتبوا ســـينـاريو فيتنـازعون آخر المطاف (ليس هنـا، بل في كوكب المريخ!!) على أنـه: مَن كتـب الســـينـاريو؟ من سيتقاضى أجرَه؟ يفكر مع نفسه فيقول: التفتوا إلى أننـا لم نكتب الســـينـاريو بـالتســـاوي! «أنـا».. أتدرون.. أنا الذي صـــغتُ أغلب أفكاره!.. ما معنى هذا؟! أصوغ أنا أكثر أفكار السيناريو وأدوّنـها وإذا بالأجرة تُقسّم بالتساوي!! في المرة القادمة سأكتبه وحدي! هذا يعني أنك لا تســـمح لأخيك أن يمدّ يده

إلى كيس قابلياتك! هل يجيء أحدكم بسهولة إلى كيس أخيه فيأخذ منه حاجتَه؟

أقول لكم هذا من باب المثال، إن أصحاب ولي العصر أرواحنا له الفداء تجمعهم هذه العلاقة التنظيمية.

- شيخنا، من أين عرفت أن أصحابه(عج) تجمعهم مثل هذه التنظيمات؟

- من كلام الإمام الباقر(عليه السلام) إذ يقول لأصحابه: إن أحدكم لا يمد يده إلى كيس أخيه. وتعريفي للتنظيم هو: نفر من الناس يمدّ كلٌّ منهم يدَه إلى كيس أخيه، فإن لم يكن كيسَ ماله، فكيس مواهبه وهي أهم من المال. نحن لسنا على استعداد للتشارك والتآزر لنكون أقوياء، بل يريد كل منا أن يقوى بمفرده. فإذا شاهدتم أعداء الدين على مر التاريخ متآزرين، يقومون بأعمال تنظيمية لدفع عجلتهم إلى الأمام، فاعلموا أنه ما لم تحصل هذه المشاركة والتآزر في المعسكر المقابل فسوف لا يتطور العمل.

نحن لسـنا على اسـتعداد للتشـارك والتآزر لنكون أقوياء، بل يريد كل منا أن يقوى بمفرده.

عود البوظة

بصـفتي طالب علوم دينية أواجه أحياناً السـؤال التالي: شـيخنا، لماذا يحرّم الإسـلام بعض أنواع المرَح؟ وأحياناً السؤال التالي: ما هي حدود اللذّات والأفراح المحرّمة؟ ما مقدار الموسيقى المحللة في الأعراس؟ وما الحد الذي إذا تجاوزناه تصـبح محرّمة؟ أنا لا أودّ الإجابة على مثل هذه الأسـئلة أبداً.

تُشـعرني هذه الأسـئلة وكأنني في وادٍ أتى عليه القحط! هذه أسـئلة أناس أصـابهم القحط! أناس لم يُعطَوا حتى جرعـة واحـدة من الـدين! أيُّ قراءةٍ تحملُها عن الدين يا هذا؟ لِمَ أنـت عـالق في هذا الجزء؟ كان عليك أن تسـألني: أنا لا أبلغ منتهى المتعة في الصـلاة فماذا أصـنع؟! كان عليك توجيه

مثل هذا السـؤال إلَيّ. مالي أراك عالقاً بالأغاني المحللة والمحرّمة؟! لأيّ شـيء خُلِقنا يا ترى؟! هل خُلِقنا لنجتنب الذنوب فقط؟! حقّاً؟!.. أخُلقنا لمجرّد اجتناب المعاصـي؟! هل تقبل أنت نفسـك بهذا المنطق؟!

يشهد الله إنّ هذا أشبه بمَن يسأل: بعد تناول البوظة كم مرّةً علينا لَعقُ عودها قبل رميه؟!! كلّما عجّلتَ في رميه قد يكون أفضل!!

ـ لكن أهُو حرام؟

ـ لا.. ليس حراماً.. كلا.

أيّ سـؤال هذا؟! والله إن السـؤال عن الموسـيقى المحللة والمحرمة يشبه هذا السؤال تماماً! فلتتناول البوظة يا رجل! أمثال هؤلاء القليلي القيمة يقولون: الحياة ليسـت كلّها عزاء ودعاء.. لابد لنا من بعض التصفيق والمرح!!

ـ عذراً.. لكن ألا يتمتّع المصـلّون بصـلاتهم؟ عبثاً يصـلّون إذا لم يسـتمتعوا بصـلاتهم! أفلا تتزوّد بالطاقة من صـلاتك؟! إذن لابد أن كهرباءَها مقطوعة فلم تشـحن بطاريتَك حينما وصَـلْتَها بها!

إنك إن لم تستشعر الشوق في داخلك فقد استهزأت بنفسك، على حد قول الإمام الرضا(عليه السلام).

إن حوار البعض مع الله أشبه بحواره مع شرطي المرور إذا وقف عند الإشارة الضوئية. إنه يقف عند الإشارة.. فينظر إليه الشرطي نظرة، فيخاطبه: أرأيت؟ لقد توقّفتُ عند الإشارة.. سوف لا تغرّمني.. صحيح؟

ـ كلا، لا أغرّمك.

ـ سوف لا تتعرّض لي، فصلاتي..

ـ أجل.

البعض إذا صلّى قال في ذات نفسه: لقد أتيتُ بصلاتي.. نعم أتيت بها وأديتُ ما علَيَّ..! هو لا يترقّب شيئاً آخر

ـ طيّب، ثم ماذا؟!

تعالوا نطالب بحقوقنا.. التي نستحقّها لتديّننا.. نستحقّها لديننا.. لصلاتنا.. لعباداتنا.. لصيامنا.. لنخاطب أنفسنا: كان لابد أن تبعث هذه العبادات فيَّ

النشاط.. أبَعثَتْهُ؟.. لم تَبعَثه؟ إذن لابد أنها تشكو من نقص ما!

الداعي الأساسي للاستغفار

لماذا يجب أن نناجي ربّنا؟ عندما نركّز أثناء الدعاء.. ونسعى لاكتساب حالة الحزن.. فلأيّ شيء نفعل ذلك؟ لأيّ شيء نريد أن نحزن؟ ليس السبب الأساسيّ للاستغفار يا رفاق هو ذنوبنا، التي تُشاهَد بالعيان. السبب الأساسيّ وراء نَظرتِنا إلى الاستغفار هذه النظرة، وهي أنّه لا بدّ من الاستغفار بإلحاح، والتماس، ولجوء، وتوسّل، ودموع، ليس تلك الخطايا القليلة التي اقترفناها. فالمعاصي التي نعرفها لا حاجة إلى الاستغفار منها بهذا الإلحاح.

عندما نركّز أثناء الدعاء.. ونسعى لاكتساب حالة الحزن.. فلأيّ شيء نفعل ذلك؟ لأيّ شيء نريد أن نحزن؟ السبب الأساسيّ لاستغفارنا، وبكلّ هذا الإلحاح، هو سيئاتنا الخفيّة. هاهنا القضيّة. وكلّ

من لا يخاف من سـيّئاته الخفيّة سـيركبُه الشـيطانُ كائناً من يكون، يا رفيقي، وأينما يكون، سواء أكان ولائيّاً أو مُصـليّاً.. أو انتمى إلى هذه الجهة أو تلك. فإنِ اطمأَنَّ المرءُ إلى نفسه تحطّم.. رَكبَه الشيطان.

حين نـاجى أبو عبد الله الحسـين(عليه السلام) وهو في مصـرعه فقد أحصـى هواجِسَ نفسـه بين يَدَي ربّه؛ «يَا غِيَاثَ المُسْـتَغِيثِين» إلهي، أغثني.. لكن ما معنى "إلهي، أغثني؟" يعني لا تزد في جراحي، هاا!! يعني: لا تجعل رأسـي يُقطَع!! أهذا المراد من "إلهي، أغثني؟!" "إلهي، أغثني" يعني: لا تكن غير رؤوف؟! ماذا إذن؟ يغيث لأيّ شـيء؟ لماذا ما زلتَ هاهنا تناجي الله وتنتحب؟! إنّك لا تتوجّس من أخلاق الله خوفاً، إذ «فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ»، "أنتَ، يا إلهي، رؤوف ولسـتُ قلقاً من ناحيتك، كما أنّني لسـتُ قلقاً من جراحي، بل لقد تمّ اختيار هذا القدر لي أصـلاً." فلقد كان وجهه (الحسـين) يتورّد أكثر كلّما دنَت منه الشهادة، كان على يقين من أنه يُسلِم الروح في أفضـل حال. إذن لم يخشَ على حالـه

أيضـاً، فعلامَ قلقُك (يا سيدي) إذن؟ أي عون تتطلّبه من الله الآن؟ خَبّرنـا، كي نسأله نحن أيضاً ذلك غداً.

تفســـير قوله(عليه الســـلام) هذا هو أنّه لا ينبغي للمرء أبداً أن يطمئِنّ إلى نفسه. أمير المؤمنين(عليه السـلام) لم يطمئنّ إلى نفســه طرفة عين. على أنّه أمير المؤمنين(عليـه الســـلام)! يعســـوب الدين! يعســوب المؤمنين! لكن حين أنبأه النبيّ(صـلّى الله عليه وآله) بنبأ شـهادته.. نعم شـهادته (التي لو كنّا نحن لرقصــنا فرحاً أنْ: الحمد لله، ســنســتشــهد.. هو(صلّى الله عليه وآله) قال) نجد أنّه(عليه السلام) ســـألــه: «فِي سَـــلامَـــةٍ مِنْ دِيْنِي؟»! يـا أمير المؤمنين(عليـه الســـلام)، إنّك لتقتلنـا قتلاً بكلامك هذا! هل حقّاً كان سـؤالك هذا سـؤالاً حقيقيّاً؟! إنّني سـأمضـي دهراً من التعاسـة بسـؤالك هذا! هل أنت جادّ في سؤالك هذا؟! أتمزح؟! هل هاجَت عواطفك؟ لماذا؟ ما ســبب ســؤالك هذا؟ إنّك لتذكُر جيّداً أنّك وُلِدتَ في جوف الكعبة، كنتَ تســـمع الوَحيَ كُلّه، وقال فيك رسول الله(صلّى الله عليه وآله): «قَسِيمُ الْجَنَّـــةِ وَالنَّـــارِ»، هــذا هو أنــت، وأنــت تعلم أنّ

النبيّ(صلّى الله عليه وآله) لا يكذب، فما الذي يُقلقك إذن؟ لا تُجَنِّنّا! كما أنّك لستَ تمزح، ما الذي تفتّش عنه إلى الآن في أعماق وجودك؟

أي مخلوق عظيم هو الإنسان! إنّه أمر أصلاً، فقد أمرونا أن لا نطمئنّ إلى أنفسنا أبداً. يا رفيقي، لا تطمئنّ إلى نفسك، وإلاّ جفَّ ينبوع دَمعك! وإلاّ بات بكاؤك ومناجاتك من أجل بضع خطايا وحسب. وعندها سيقول لك الله: يا هذا، هذه الخطايا ليست ذات أهمّية.. أنتَ.. أنتَ هو المُحطَّم!.. فلتطهّر نفسك أنت! ليس الاستغفار من أجل بضع خطايا. إنّه اللواذ إلى الله هرباً من خفايا سيّئاتنا القادرين على ارتكباها، والتي فينا.. التي فينا.. التي فينا..

بماذا تتحسن حالك؟

أنا حالي غير جيدة، فما أفعل؟ طيب أخلو بنفسي وأتساءل: ما عسى أن يحدث لتحسن حالك الآن؟ أي خبر إن بشروك به تحسن حالك؟ فإن سألت

نفسك ستنطق بشيء لعلّها تقول: كذا فابدأ معها بالحوار قل لها: هذا فحسب؟! ثم ماذا؟ هذه العبارة "ثم ماذا؟" تتصدّى لما أريد منه أن يشحنك بالحماس فما تفعل به؟ تبرّده ما أروعه من حدث إن قُبلت في الجامعة وفي هذا الفرع يا إلهي! تَهيج مشاعرُك

ــ حسنا ولكن أتدري أن آلاف الطلاب قُبلوا في هذا الفرع ولم يصبحوا شيئا أو عاشوا حياة عادية والآن يعيشون بكآبة؟ فما قيمتها؟ يعني اسأل "ثم ماذا؟

- أتدري؛ أريد أن لا أهزم أمام فلان

ــــــ أها، إذن تريد أن لا تهزم أمام فلان، فامتحان القبول غير مهم، أليس كذلك؟

- لماذا تريد أن لا تهزم أمام فلان؟

- لأنه يعيّرني كثيرًا

- طيب فكيف بك إذا مات الرجل؟

لماذا تريد أن تعيش بعد ذلك؟ يا عمّ افترض أنه مات إثر حادث وفنى، فلا يعود يزعجك أنت لماذا تريد أن تعيش لكي لا تهزم أمامه؟

الرجل قد مات وانتهى. فما تريد أن تفعل بعده؟ بإمكان الإنسان أن يتحدث مع نفسه ويجرّد نفسه عن جميع العوامل التي تسرّه كثيرًا

- يا عمّ ولكن تتدهور حاله أكثر!

فلو تخيّل وتمنّى الوصول إلى بعض الأشياء لتنشّط ولو زيفًا

- لا تنشّط نفسك زيفًا!

متى ما وجدت حالك سيئة فابحث عن العوامل التي بوسعها أن تحسّن حالك ومهما كانت هذه العوامل حقيرةً ومنحطةً، يسعك أن تحللّها وتفسّرها وتجد مصداقها الحقيقي، حينها تنتهي إلى الله والإمام الحجة في أي موضوع وإينما كان موقع أي امرء! أنا كنت أهواك يا إلهي لا أقول أن نهمل احتياجاتنا ولكن لا نتوقف عندها لا أقول آمالنا الدنيوية ليست إلا أوهاما وأحلاما أرجو أن تتحقّق جميع آمالك الدنيوية إن شاء الله ولكن لا واحدة من هذه الأماني

قادرة على أن تَسُرَّك مثل ما تحسب الآن بعد يومين تنفد حوافزك مرّة أخرى فتصــاب بصــدمة دع هذه الأماني تتحقق ثم تذهب بنفســها، أما أنت فكن أكبر منهـا تفســير جميع الرغبـات والأمنيـات وجميع العوامل التي تظن أنها تســرك هي شــيء واحد إنه هو والإمام الحجة أرواحنا له الفداء فمن باب كونه وجه الله عين الله أذن الله خليفة الله شــفيع عند الله هادي من عند الله الإمام الحجة أرواحنا له الفداء فلكونه شــيء من جنســه، مؤثر في حركة التقرب إلى الله دعوني أيها الأحبة أن نتحدث بكلمات كان الأنبياء يصــرحون بها فيُســتهزأ بهم يا عمّ كلّنا لا يريد إلا شــيئًا واحدًا وهو الله! فلا تخدع نفســك، تفسير كل شيء يطلبه أي أحد ليفرح به هو الله فلا تخدع نفســك فكر وتأمّل ســتصــل إليه إنك تطلبه فحسب!

استعمال المخدِّرات المعنوية

أيها الإخوة! كم قد دعيتم خلال عمركم الشـــريف، إلى أعمال صـــالحة عاديّة؟ إنني ظنين بكلّها. أنا أشـك في جميع الدعوات الأخلاقية التي ليسـت إلى التضحية في سبيل الله. فإنها درع لتعطيل الجهاد، إنها لمحاولات خجولة من أجل أن يخفي الإنســان نفاقه في المجتمع الإيماني.

فلا تغرّوا أنفســكم أيّها الأحبّة! إياكم أن تقولوا «كلّا» للجهاد والتضحية في سـبيل الله و «نعم» لباقي الفضـائل! إياكم أن تعتبروا عبادتكم كجهاد المجاهدين في سبيل الله. إن بعض الناس يستعملون مخدّرات معنوية في محضـر الله. وبالمناسـبة لا تخلو هذه الحالة من علائم! المخدّرات المعنوية تترك علائم. إحدى علائمها هي أن هذا الإنسـان لا يراعي آداب العبادة. إحدى علائمها هي أنه يؤدّيها بمقتضـى العادة. إحدى علائمها هي أنه لا يقطع عبادته إن جاءه واجب أهمّ. إحدى علائمها هي أنه يحترم عبادته أكثر من أن يحترم إخوته العابدين.

كان يصـلّي عابد من بني إسـرائيل، وكان الأطفال أمامه ينتفون ريش ديك ويقتلونه بالتعذيب حيّاً.

فكان الديك يصــرخ من الألم. عمّي إذا أنت بصــدد أكله فاذبحه.

أراد أن ينجده ولكن لم يفعل. إنها رواية أحكيها لكم. فمضى في صلاته وقال: إنما هو ديك ليس إلا. وإذا بالأرض ســاخت به وابتلعته في العذاب. وفي الرواية يقول الإمام وإنه يهوى في قعر العذاب لحدّ الآن.

واقف يصــلّي! هناك كائن حيّ في خطر وإن كان حيوانا، فقد كان يعذّب بغير حقّ، فلم تترك صــلاتك لتنقذه؟! واتخذت الأمر لعبا!

والآن انظروا إلى المصلّين الذين لا تهزّهم صرخة المظلوم. إنكم إذا بلغتم أوج العرفان ســترون قمما كآية الله العظمى بهجت(ره). قال نجله، كان إذا حدث انفجار في بغداد، وقد ذكر بغداد بالذات، مع أنها لا بالقرب عن حرم المعصومين(عليهم السلام) ولا قتلاها مدافعون عن الحرم. إن حدث انفجار في بغداد، تتدهور صحّة الشيخ لمدّة يومين أو ثلاثة. ودائما كان يقول انظر كيف يقتلون الناس بكل ســهولة. لقد هجموا على غزّة! ومذهب أهلها

معلوم. في بـدايـة بحث الخـارج وأول الهجوم على غزّة قال: ليدعمهم كلّ من يقدر قدرَ مســتطاعه. ثمّ قال في اليوم العاشـــر لقد تلقّت إســـرائيل صـــفعة وســـقطت ســـقوطا لا نهوض بعده. كان قلبه هناك أساسا.

شـــيخنا أين أنت من غزة؟ ثمّ ليس هناك قبر أحد أولاد الأئمة ولا حرم لإمام، بل يدافعون عن بيوتهم لا عن حرم أهل البيت(عليه الســـلام). نعم ولكن الشـــيخ بهجت عارف وبالتأكيد قد قرأ هذه الرواية التي تتحدث عن ســـقوط ذلك الزاهد في قعر العذاب حينما رأى ديكا يقطعون رأســـه أمام عينيه ولم يظهر منه أي ردّ فعل.

المؤشر الذي يبيّن أن الإنسان قد اقترب من الله هو أن يكون قد ازداد شـــفقة بالناس. لقد أخطأ الذين يزعمون أنه يجب تدريس العمل الثوري إلى جانب تدريس الدين! وهل درس الدين شـــيء غير العمل الثوري؟ لقد أخطأ من يزعم أنه يجب إعطاء درس الثورة إلى جانب درس المعارف الإســـلامية. فلابدّ أن في تلك المعارف الإســـلامية نقصـــا بحيث

اضـطررت إلى تدريس العمل الثوري. لقد أخطأ من يقول إلى جـانـب الأخلاق لابـدّ من تـدريس ثقـافـة الدفاع المقدس أو أســس الثورة. إذن أخلاقك غلط. إن محور كلامكم في الأخلاق هو أنه على الإنســان أن يحارب هوى نفسه، ولا يكن ذليلا لـهوى نفسه.

وما يعني العمل الثوري؟ يعني أني لســت عصــيّا على هوي نفسي وحسب، بل لا أخضع لـهوى نفس طاغوت جبّار آخر أيضـا. هل أجاهد هوى نفسـي ثمّ أكون عبدا لشهواتك وهوى نفسك؟! من الواضح يا ظالم فأني أحطّم أسنانك.

نعم! إلا أن تدرّس أخلاق النعـاج. وأن يقـال: كونوا أوفيـاء كـالكلـب، وأهـل متـانـة كـالبقرة، وبلا أذيّـة كـالخروف. نعم! إلا أن يكون درس الأخلاق هكذا. ففي مثـل هـذا الـدرس، تصـــبح الأخلاق تخـديرا معنويّا، وكاتما للضمير؛ كاتم الضمير.

إن للضـمير ضـجيجا وصـخبا. إنـه لقاضٍ ومدّعٍ عام يصرخ ويستنكر؟! في سبيل أن تسكت ضميرك كن صـــالحا هونا ما. وارمِ الإحســـان أمام ضـــميرك

كـالبرســــيم لعلّـه يـأكل ويـهدأ، لكي لا يؤنبّك إن لم تجاهد، ويلتـهي بـهذا الإحسان.

أنا أريد أن أثور للجهاد ضـدّ الإحســان المجرّد من الجهاد، لا على الفعل السيّئ. وأين السوء يا ترى؟! عمّي فك عنّا لخاطر الله! إن السوء وليد الصالحين الذين قد صـلحوا بشـكل مزيّف. وأهل العصـيان هم نتاج سوء الصالحين الذين قد صلحوا بشكل مزيّف. وإلّا لمـاذا ترى العـاصــــين يتواضـــعون إن مرّوا بالشهداء؟

إذا كتم الإنسانُ نفسَه

ما معنى الكافر؟ الكافر يعني من يُنكر نفسَه ويطمّـها عرف أنـه حقٌّ ولكن يقول: لا.. لا.. لمـاذا تُنكر يـا هذا؟ لماذا تعاند نفســك؟ لماذا اشـتبكت مع نفسـك؟ لماذا تكذب على نفســك؟ لماذا لا ترحم نفسَــك؟ هذا هو معنى الكـافر مـا الذي تَطُمّـه؟ مـا الذي تُخفيـه؟ لمـاذا تكتمـه؟ يحظى المحلّلون النفســيّون بشــغل

جذاب جدّا غير أنه صعب للغاية أتعلمون ماذا يفعلون لمعالجة مشاكل الناس النفسيّة؟ يقول المريض مثلا: أعاني من كذا وعندي كآبة وكذا وكذا.. كلٌّ بحَسَبه أمّا المحلّل النفسي فلا يستمع إليه؛ يعني يستمع بالطبع! ولكن يقول: عليّ أن أكتشف مشكلته الرئيسة فيقول له: تحدّث عن حياتك، فيبدأ بدراسة حياته من الأوّل! حتى تارة يتعامل المحلّل النفسي هكذا فيقول للمريض: أنت تغضب من كذا وكذا فيقول: كلا لا أغضب! هنا تبدأ معاناة الطبيب. فيقول: كيف أثبت له أنك تغضب من كذا واللطيف أن نفس ابتسامتك هذه تدلّ على غضبك مصيبة الطبيب هي أن يتحدّث إلى مريضه حتى يقول: إي والله صحيح! نعم أنا أغضب، وقد يشتدّ الغضب حتى أنفجر بالبكاء فيقول له: أرأيت؟ هل ارتحت؟ ثم ألا تعتقد أن هذه الأخرى أيضا من معضلاتك؟ أليست هذه أيضا من آلامك التي كتمتها؟

لماذا تكتم نفسك؟! المريض في علم النفس هو من يُنكر شيئاً في وجوده وعادةً ما يسمّى بالعقدة! كقولهم: العقدة النفسيّة والقرآن يقول ذلك أيضا

يقول: (فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) ما هو مرض الكافر؟ لقد كتم أمراً كتم حقيقةً عندما يُخفي الإنسـان حقيقةً ما في داخله يسمّى كافرا أتدري؟.. الكافر من كتم أمراً فصـار عقدةً وأصـبح هو مريضـاً ما هي علامة مرضـه؟ حسـده لاحظوا سـورة الكافرون في القرآن(قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُون) يا جماعة! (لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُون) (وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ) يا عمّ! ولِّ شَـطْرَ حزبِك ودَعنا نذهبْ صَوبَ حِزبنا خَلِّ سبيلَنا وانصَرِف! عجيب! هو لا ينصرف!

لماذا لا تنصـرف أنت؟ يقول الله في مكان آخر من القرآن: أتدري لماذا لا يتخلّى هو عنك؟ لحسـده! لماذا تحسد يا هذا؟ يا عمّ! ألسنا تعساء؟ أولست تستهزء بنا؟ فدعنا نذهب لشئننا! اساساً القرآن الكريم كتاب عجيب في علم النفس رهيب يقول ماذا؟ يقول: يحسدكم الكفّارُ على تديّنكم فيودّون لو تكفرون يا عمّ! أنت اخترتَ ونحن قد اخترنا أيضا، فاذهب لشأنك! كلا! هو يعلم أنك سعيد

هو يعلم أنـه يكتم حقيقة في ضـــميره هو يعلم أنك مُغتَبِطٌ بنـهجك يودّ أن يجعل حياتك جحيما مثل حياته ألم يحدث لكم يا مقيمي عزاء الحسين(عليه السلام) أن تصـــادفوا من يحســـدونكم على ذهابكم إلى الهيئات؟ حدث أم لم يحدث؟ أجيبوا بصوت عال نعم أي ما إن رآكم تأفّف لو حضـــرت في ألف مجلس رقص وعربـدة لمـا اعترض عليـك ولكن مـا إن تحضــر في مجلس الإمام الحســين(عليه الســلام) يقول: لا يريد الإمام الحســين(عليه الســلام) باكياً فعليك بالعمل... عجيب! - ماذا لو كنت ذاهبا إلى بار؟ - لا بأس! اذهب وتمتّع!

- طيّب! فقل لي تمتّع هنا أيضـــا هنا تراه لا يتمالك نفسه عن إظهار حسده أو مرضه بطريقة ما

يســـقط منّا قتلى بعدد قتلى حرب كاملة في عطلة نوروز بقدر حرب كاملة يسقط منّا قتلى بقدر عمليّة حرب ولا أحد يتنفّس أمّا إذا توفّي شخص واحد في طريق كربلاء يحتجّون بـه مئـات المرّات أن: إلى أين ذاهبون؛ إلى قتال أو زيارة؟! يذهبون ويقتلون مواطنينا يا عمّ! أنت مريض، ولســـتَ على ما يُرام

ليس هناك سوى أن يأتي الأجل في كلّ مكان بطبيعة الحال ولكنّه هناك يستهزئ فهذا مريض بالطبع ثمّ أتدري لماذا مَرِض؟ ما هو المرض النفسي؟ أين مصدره؟ أن يكون في ضمير الإنسان شيء، ثمّ يُنكره يا عمّ! لا إله إلا الله.. أريد أن أقول كلمة عجيبة فليُجلِس أحدٌ هذا الرجل ويَقُل له: يا مسكين! أنت عاشق الحسين(عليه السلام) فلا تبالغ في كتمان نفسك! هيا لنذهب يا مسكين! هيّا معا لنذهب! أنت أيضا مبتلى بالحسين(عليه السلام) ولكن لستَ صاحياً فلا تفعل هكذا... حبيبي! اهدأ حسنا، لا أريد أن ألقّنك... ولكن كن هادئا فلعلّك تُدرِك فجأةً أنّك تعشقِ الحسين(عليه السلام) عندما يُخفي الإنسان حقيقةً ما في داخله يسمّى كافرا.

لماذا ننسى رحمة الله؟

ما الذي يجعلنا ننسى رحمة الله؟ ويُصعِّب علينا، شيئاً فشيئاً، التصديق بهذه الرحمة؟ بل وما الذي

يقودنا تدريجياً إلى إنكار رحمة الله؟ لماذا ننسى لطف الله بنا؟

ظروف حياتنا تجعلنا نحس دائماً أننا في عزلة، ولا مأوى لنا، وليس ثمة من يواسينا! لماذا؟ لأن الله مُتوارٍ عن الأنظار.. لأن الله ليس في حوار مباشر معنا.. لأنه ليس في صدد مبادلة آثار أعمالنا أو الاستجابة لها مباشرة. يريد الله أن يفسحَ المجال أمامنا لكي نُظهِر كفاءاتنا الذاتية. إذن لا ينبغي أن يُبدي تجاهنا ردة فعل مباشرة.. إنه لا يُظهِر ردة فعل مباشرة لا تجاه حسناتنا ولا تجاه سيّئاتنا. ولا يعني هذا أنه غير موجود، بل يعني أنّ عليك أن تكون "أنت".. أن تقف على قدميك. فلو تقرّر أن يُظهر الله لكل صغيرة وكبيرة من تصرفاتك رد فعل مباشر لَعِشتَ متأثراً بردود الأفعال هذه حفاظاً على مصالحك! ولَتأثّرَت اختياراتُك بردود الأفعال المباشرة هذه، ولَما كشَفتَ عن نفائسك الدفينة، ولجُرِّدتَ من إمكانية الخطأ.. ولَما صرتَ مُبدعاً.

حسنٌ، في هذه المرحلة التي نريد فيها أن نختار، ألَنا حق الاختيار أم لا؟ من أجل أن ننعم بحق

الاختيار فقد أخلى الله المحيط من حولنا قليلاً ليكون لنا حق الاختيار لا يُبدي الله ردة فعل مباشــرة تجاه أعمالنا. وحينما لا يبدي ردة الفعل هذه نحســـبُه غائباً.. لا نحسبه غائباً فحسب، بل لا بد أننا سوف لا نظنّه رحيماً أيضـــاً! فلو رأيناه عبر ردود أفعاله المتكررة للَمســـنا رحمته كذلك، لكننا لا نراه.. لا نرى ردود أفعاله التي تنم عن رحمة.

- إلهي، أَظهِرها لي؟!

فيجيب: "لو أظهرتُها فإنك سوف لا تعود "أنت"!.. أيها المســـتقل.. أريدك أن تقف على قدميك.. إذن يجب أن أبقى على مســـافة منك، وحينذاك لا تعود ترى ردود أفعالي الرحيمة".

لماذا لا نلمس رحمة الله.. ونصـــدق بها متأخرين؟ لأن الله توارى قليلاً عن الأنظار ولا يُظهِر لنا ردود أفعاله، ردود الأفعال التي هي 99% فاصـــلة 99، فاصلة 99، فاصلة 99... حتى الصباح، نابعة عن رحمة. فلو أنه أهالَ علينا ما كتبه لعملٍ صـــالح ضئيل لنا من الثواب مرة واحدة لا غير لقلنا: إلهي، ماذا تصـــنع؟! والله لم أفعل شـــيئاً! لو تفوّه الله مرة

واحدة بكلام معنا في إثر عمل صـــالح لهَلَكْنا! ولو أنه تفوّه به ماذا كان ســـيقول؟ تأملوا؟ لو أراد الله قول شـــيء لنا إثر عمل صـــالح عملناه ماذا كان ســـيقول من قولٍ ســيُهلكنا على الفور؟ الله الغني.. الله العظيم.. الله الذي شـــاهد منا كل خطيئة.. وظَلّ يُمهلنا.. ظَلّ يفتّش عن ذريعة للصـــفح عنا.. الله.. الله.. الله الذي هو الله.. أتدري ما كان سيقول؟ وفق قوله تعالى، في السورة التي اسمها من رحمة الله، "سورة الرحمن" لو أراد الله النطق بكلمة معنا إثر عمل صـــالح واحد عملناه أتدري ما كان ســـيقول؟ سيقول: "لقد أحسنتَ إليَّ!"

- أنا أحسنتُ إليك؟! أنا!.. إليك!

- لقد أحســـنتَ إليَّ.. «هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَـــانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ».

- أنا أحسنتُ إليك؟!! وماذا عساني أنا أن أعطيك؟! لا تقتلني بكلامك هذا! أعطني مكافأتي ولأذهب لحال سبيلي.

- كلا، لقد أحسنتَ إليَّ، والآن أنا مَن يُحسن إليك.. لقد أحســـنتَ إليَّ بمقدارك، وأنا ســـأُحســـن إليك

بمقداري.. أنت محدود، هذا هو حجمك، أما أنا فغير محدود، وسأُحسن إليك بلا حدود..

ـ أَلأجل هذا العمل الضئيل الذي قمتُ به؟!

بما أن الله يستتر خلف ستار الغيبة ولا يُبدي ردة فعل مباشرة، سيّما لسيئاتنا، فإننا لا ندرك رحمته. وبما أنه خلف ستار الغيبة فإنه أيضاً لا يُظهِر ردود أفعال مباشرة تجاه أعمالنا الصالحة. وهذا يشقّ عليه جداً، إنه صعب جداً بالنسبة له.. فهو يود لو احتضننا بعد كل عمل صالح، وصاح فرحاً، ورمانا في الهواء، وتلقّفنا قائلاً: "يا صغيري، يا عبدي الحبيب." لكنه يضبط نفسه، يقول: "أتى عبدي بعمل صالح، فاحفظوه له.. احفظوه." وتود الملائكة لو تُبدي ردة فعل بأن تصيح سروراً وتزغرد وتنثر الحلوى والورود وتعطّر وجودَه، فيمنعها الله أنْ: "لا تثيروه.. دعوه يكون "هو"، لا تشجعوا صغيري.. فيكرر ما فعله!.. أريده أن يمضي إلى الأمام، لا تنبُسوا بكلمة..". أظن أن الملائكة هنا تخنقها العبرة.. تخنقها العبرة.. تبكي: "إلهي.. دعنا نداري عبدك الصالح هذا.."

ـ أبداً.. ولا كلمة.. الزموا الصمت!

وهكذا فإننا لا نســتطيع أن نعرف كم أنّ الله رحيم.. وهكذا لا نســـــتطيع أن نفهم أن الله رحيم.. وهكذا فإننا لا نســتطيع أن نعرف "كَم" أنّ الله رحيم.. الله غائب عن الأنظار، وهو لا يُظهِر ما ينبغي إظهارُه تجاهنا من ردود أفعال إثر أعمالنا الصــــالحة أو الطالحة ، ـ لا يظهرها فوراً. ولا يعني هذا أنه غير موجود، بل يعني أنّ عليك أن تكون "أنت".. أن تقف على قدميك.. أراد الله منحَك الفرصـــــة لتعمل بنفسك على تطوير ممتلكاتك الباطنية.

ـ إلهي، أَظهِرها لي؟!

فيجيب: " لو أظهرتُها فإنك ســـوف لا تعود "أنت"!.. أيها المســـتقل.. أريدك أن تقف على قدميك.

شرط استجابة الدعاء

يقول الله في إحدى آيات القرآن الرائعة جدّا:(وَ إِذا سَـــأَلَكَ عِبادي عَنّي فَإِنّي قَريبٌ.. أُجيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذا دَعانِ..فَلْيَسْتَجيبُوا لي وَ لْيُؤْمِنُوا بي) فليُجيبوني إذا كلّمتهم.. أتراني كيف أستجيب لهم؟! فليستجيبوا لي هم أيضـــا إذا ناديتُهم (وَ لْيُؤْمِنُوا بي) فإذا كان من شـــروط الاســـتجابة أن اســـتجيب أنا أيضـــا لله وأؤمن بـــه فيـــا تُرى كيف يتحقّق هـذا الشـــرط؛ (فَلْيَسْـــتَجيبُوا لي وَ لْيُؤْمِنُوا بي)؟ هـل يلزَمُني أن أسلك طريقاً طويلاً لأوثّق إيماني بالله وأضـاعفَه ثمّ أرجع؟ لقد قَصَّـــر الإمامُ الصـــادق(عليه الســـلام) الطريقَ إذ قـال: (فَلْيَسْـــتَجيبُوا لي وَ لْيُؤْمِنُوا بي) يعني...«يَعْلَمُونَ أَنِّي أَقْـدِرُ عَلَى أَنْ أُعْطِيَهُمْ مَـا يَسْـأَلُوني» أي يخطر على بالـه في أثنـاء دعائـه أني قادر على أن أستجيب لـه أفهل يَسَعُك بهذا القدر أن تفكّر إيجابيّاً في الله هذا يمثّل شرط استجابة الدعاء أي يخطر على بالـه في أثنـاء دعائـه أني قـادر على أن أستجيب لـه شرط استجابة الدعاء

(وَ لْيُؤْمِنُوا بي) يعني ثِق بأن الله قادر اســـتحضـــر هذا في ذهنك وحســـــب «يَعْلَمُونَ أَنِّي أَقْدِرُ» هذا

تفسير الإمام الصادق(عليه السلام) يستحضرون في أذهانهم أن الله قادرٌ هل التفتَّ؟ وهل لقّنت ذهنَك هذا المعنى؟ فقد جاء في الحديث «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ... [العلي العظيم] حذف قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ... اقْضُوا حَاجَتَه» فكأن الملائكة يقولون: لم يحدث شيء.. فما حصل يا تُرى؟!

أفهل دعا هذا العبد؟ أوهل اكتسب لياقةً؟ ماذا جرى؟ وما الذي أنجزه هذا؟

فيقول الله: «لِلْمَلَائِكَةِ اسْتَسْلَمَ عَبْدِي» أي ألا ترونه قال: لا حول ولا قوّة لأحدٍ غيري وأنا الوحيد الذي يقدر على أن يفعل في العالم ما يشاء فاكشفوا عنه غُمَمَه يعني أن لا يخطر على بالنا سوى أن الله قادر إن الله قادر إن الله قادر (وَ لْيُؤْمِنُوا بي) يعني ثِق بأن الله قادر استحضر هذا في ذهنك وحسب هذا يمثّل شرط استجابة الدعاء.

لماذا خُلِقتُ؟

أيّ إنســـان أي إنســـان وفي أيّ ثقافة يتبلور عند سنيّ البلوغ له هذا السؤال؛ لماذا خُلِقتُ؟ أريد أن أحدد هدفًا لماذا خُلِقت؟ يُلهونه عبر الهيجانات الكاذبة بالملهيات، باللعب ما هو هدف حياتنا؟ ملاقاة الله! هذا هدفنا الطبيعي لقد أشار الله إلى هذا الموضـــوع حوالي ســـبعين مرّة تارة يقول: (إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) وتارة يقول: (إِلَيْهِ الْمَصِـــيرُ) أتاني أحد الشباب سائلا إذا عشنا في الجنّة دهراً مثلا مليار سنة أفلا نسأم بعد ذلك شيخنا؟! إلى متى نغطس في الأنهار مع الحورِ والخمور و... صـــحيح قوله ويَصدُق! هو يمهّد من حيث لا يشعر لاستلام أرقى الأجوبة العرفانية لماذا خلقك الله؟ هل لشيء سواه؟ هل يحكم بذلك عقلك؟ وهل يليق بك هدف آخر؟ الشـــابّ ســـألني ماذا نفعل إن ســـئمنا في الجنة؟ فأجبته.. صدقتَ فإن الجنّةَ مملة للإنسان إن دَعَوك إلى مكان جيد وأسكنوك في فندق، ألا تَمَلّ فيه؟ تمل أكيداً الفندق مهما كان فخما، هو محل اســـتراحة ليس إلادأما الوصـــل بالمحبوب ســـواء أكنت في زيارة أو في شـــهر العسل، فهو الذي يحلّي الفندق لك الجنة فندق للقاء الربّ هذا الذي يجعل الإنســـان

لا يسأم من الحورِ والخمور والنهر واللبن قال: أها في ميسورنا أن نحدد مستوى هذا اللقاء في ميسورنا أن نصعّد مستوى جودة هذا اللقاء في ميسورنا أن نجعل هذا اللقاء بأحسن ما يكون في ميسورنا أن نشتاق إلى هذا اللقاء قال(ع): «مَن ذَكَرَ اللّهَ وَلَمْ يَشْتَقْ إلى لِقائهِ فَقدِ اسْتَهْزأ بنَفْسِهِ» فلو كنتُ صديقًا حميمًا له لقلت له: ولِّ يا مسخرة مع صلاتك هذه! إذ في عالم الصداقة بإمكان المرء أن يتكلم على رسله أما من على المنبر فلا يمكن إن فكّرتَ ستنال هذا الهدف إن فكّرتَ ستعشق هذا الهدف إن ذكرت هذا الهدف اشتقتَ إليه ثم قلت له: ألا تريد أن تسأل كيف إذا سئم الإنسان من ربّه فإن تبادر هذا السؤال لك فاضحك على نفسك قليلا وهل ينفد الله؟ أفإن عرفتَ الله مرّة، هل يُصبح لك تكراريًّا؟ إن التقيت بالله مرّة أخرى بعد مليارات السنين في الجنّة، ستقول: كأني لم أره من قبل! لم أكن أعرفه أصلاً! لقد مرّت من حياتك في الجنّة مليارات السنين وستستمرّ إلى الأبد هذا معنى أن الله لا حدّ له لا حدّ له لا يعني أن لا حدّ لعظمته فحسب، بل هو ممتع إلى ما لا حدّ له وعنده الجديد

للإنســان إلى ما لا نـهاية وما لا نـهاية لـه من الأنس وعشـــق غير محدود وحب لا نـهاية لـه لا يمكن أن يكون غير هذا! أنا لا أرضـــى إن كان غير ذلك! أنا لا أرضى بهذا الرّب! (لا أُحِبُّ الْآفِلِين) هذا ما علّمنا به خليل الرحمن إبراهيم؛ فقل أنت أيضـــا: (لا أُحِبُّ الْآفِلِين) اختَر هدفًا لا يغرُب!

لماذا خلقكَ الله؟ هل لشـــيء ســـواه؟ هل يحكم بذلك عقلك؟ وهل يليق بك هدفٌ آخر؟

◈ انظر إليه كل يوم..

"انتظر حتى تنعم بغزارة العلم.. حتى تنـــال كثرة الإيمـــان.. حتى تحظى بوفرة الحـــب.. ومن ثم اعمَل!" هذا خطأ. فِكرَتُنا عن "العمل" هي أننا نظن أن العمل هو ثمرةٌ للعِلمِ والإيمان وأنّ علينا دوماً أن نزداد علماً وإيماناً كي نجني هذه الثمرة! هذا خطأ..

تسأله: لِمَ لا تأتي بهذا الفعل؟

يقول: لَم أصبح عاشقاً بعد!!

ـ لِمَ لا تُصَلِّ صلاة الليل؟

ـ لا مَيل لي إليها!

أقول له: لِمَ لا تمارس هذه الأعمال؟

يقول: لم أدرس الموضوع من كل أبعاده!

ـــــ إنك تمارس طوال اليوم ألف عمل وعمل دون دراســــة أبعـادهـا فمـا إن تـأتي إلى الـدين حتى تتفلسَـــف؟! وتريد أن تتعمّق في حِكمة كل عمل؟! فمـا بـال الأعمـال الأخرى التي تقوم بهـا؟ كيف تمارســها؟ إنك تمارسـها بذرّة من الفهم.. بذرّة من الرغبة..

"انتظر حتى تنعم بغزارة العلم، والإيمـان، والحب ومن ثم اعمَل!" هذا خطأ. لا تدري أن هذا العمل، هذا العمل نفسُــــه، كم فيه من فوائد. فَلآتِك بمثال.. تَمُرّ بمحاذاة جدار في زقاق، لا تحدوك رغبة إليه ولا تريد أن تحبَّه، ولم يؤلّفوا لك فيه الكتب أن: "تعلَّق بهـذا الجـدار فهو تـارة حجري وأخرى قرميدي، وطوراً بلون كذا وحيناً بلون كذا.. أَحبَّه..

سأُنشدك فيه شعراً..!" كلا، بل هو جدار مررتَ من جانبه سـنةً، سـنتين، ثلاث سـنوات.. كان طريق ابتـدائيتـك من هنـا، أو ثـانويتـك، أو كُلّيتـك.. ثم فارقتَه.. وبعد سنوات: آآه.. إنه الجداار..!

ـ ماذا دهاك؟

ـ ذابَ فؤادي..!

ـ ما الذي جعلكَ تهيم حُباً؟

ـ لطالما مررتُ بمحاذاة هذا الجدار!!

مجرّد جدار!.. جدار!.. أتفهَم؟! مجرّد جدار!..

أتريدُ أن تعشق؟ مارس سلوكاً ما.. سلوكاً ما! تريد أن تعشـق ماذا؟ مُرَّ بمحاذاته كل يوم.. انظر إليه يوميّاً.. في ساعة معيّنة.. "انتظر حتى تنعم بغزارة العلم، والإيمان، والحب ومن ثم اعمَل!" هذا خطأ. كم عاماً وأنت تردّد كل صباح: "صلّى الله عليك يا أبا عبد الله" في ساعة معيّنة؟ مررتَ يومياً بمحاذاة جدار فأحببتَه..!

حبيبي يا حسـين.. أريد أن أعتاد عليك.. كي أعشقك.. حبيبي يا حسين.. أريد أن أتعوّد عليك..

كي أكون عارفاً بك.. كم نحتاج من العلم؟ القليل جداً، وكم نحتاج من العمل؟ الكثير.. كم نحتاج من الإيمان؟ بمقدار قطرة.. وكم نحتاج من العمل؟ بقدر البحر..! والباقي يستقيم بالعمل..

العبوا هذين الدورين

يقول تعالى: «لِتَسْكُنُوا إِلَيْها» أي لتتنعموا بالهدوء والسكينة إلى جوار أزواجكم، «وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً».. «وَرَحْمَةً». يبيّن الله تعالى هنا ثلاثاً من نتائج الزواج المهمّة جدّاً.

على الأزواج أن يلعبوا دورين بالنسبة لزوجاتهم، وعلى الزوجات أيضاً أن يلعبن دورين أمام أزواجهن. لكن بعض الزوجات والأزواج لا يتقنون هذين الدورين معاً. لقد أُشير إلى هذين الدورين هنا في عبارة «مودّةً ورحمة»، إشارةً وليس تصريحاً.

الأول هو: صحيح أن زوجاتكم أعمارهن قريبة من أعماركم، ولهن شخصيات مستقلة، بل وقد تكون

لهن القدرة على إدارة شؤونكم أيضاً، وأنّ مداركهن واسعة، فبنات عصرنا يتصفن بحسن العقل والفهم، لكنهن يرغبن أحياناً في لعب دور الطفلة المدللة الغَنِجَة التي تتدلل على أبيها، وعليكم حينها أن تلعبوا دور الأب لهنّ.. عليكم أن تكونوا كباراً. تأتيك تبكي، وتعاتبك، فقل لها: «حبيبتي، لا بأس، حسنٌ، سأشتري لك!..» كن كبيراً، إياك حينها أن تكون طفلاً. فإذا تصابَت هي أمامك، فتكابر أنت أمامها، فأنت في موقع أبيها. إذن الزوجة أحياناً تلعب هذا الدور.

لكن زوجتك، أحياناً أخرى، لا تلعب دور الفتاة التي تتدلل على أبيها، بل دور الأم لابنٍ هو حضرتك! فأنت أيضاً تتحول في بعض الأوقات إلى ولد بحاجة إلى أمه. ليكن في علم الزوجات أن رجالهن هؤلاء لم يتركوا أمهاتهم إلى حديثاً. وإن أولاد هذا الزمان هم.. لا أدري ماذا أسميه، متعلّقون بأمّهاتهم قليلاً. فإن رأيتم الرجل يبالغ في مطالبة زوجته بالمحبة فهذا يعني أنه يميل بعض الشيء إلى الحالة الانثوية. كلا، أنت رجل، كن قويّاً، كن صلباً!

لكن الرجل، في الواقع، ينكسر أحياناً كما لو كان صبيّاً فيكون بحاجة إلى تكابر زوجته. فلتقل له الزوجة: «لا بأس، ستترتب الأمور..» كالأم بالضبط. ولا بد أنكم شاهدتم الدور الذي تنهض به الأم في المنزل؟ على الزوجة القيام بهذا الدور.

إذن فدورا "الطفلة" و"الأم" هما دوران مركّبان تقوم بهما الزوجة الماهرة في بيتها. ودورا "الأب" و"الطفل" هما دوران مركّبان ينهض بهما الزوج تجاه زوجته.

ماشاء الله نجار

قصدتُ مدينةً فاقترحوا عليَّ هناك زيارة منزل رجلٍ يقيم مجلس عزاء. كانت أيّام محرم وصفر. قالوا: هو رجل طيّب، وقد حدثت له قصة خاصة، يشهد عليها إمام جمعة المدينة، والدكتور فلان، والدكتور فلان.. دعه يحكي لك القصة بنفسه.

قصدنا المكان فإذا بفسحة رحبَة، ومنبر، وعلاماتِ سواد. كانت عشرةُ مجلسه قد انتهت، فلم يكن تلك الليلة مجلساً، لكن ما زالت آثار السواد موجودة. حيّيناه وجلسنا وقد أحاط به أبناؤه الذين بلغوا ـ ما شاء الله ـ مبلغ الرجال.

فخاطبَ الذين معي الرجلَ: اقْصُص قصّتَك.

فتردّد وقال مجاملاً: بل قصّوها أنتم.

فقالوا: كلا، قُصَّها أنت، نريد أن نسمعها منك.

فقال السيد "ماشاء الله نجار": مرضتُ ذات يوم أيّام شبابي وكان أولادي هؤلاء صغاراً. كنا نعيش في هذه الحجرة (الحجرة التي أجلسونا عند بابها) وكان فِناء دارنا بهذا المقدار. كنت حينذاك أعمل بالنِّجارة، فأُصِبتُ بفشل كليَتَيَّ.

وشرح تفاصيل علاجه ثم قال: إلى أن وضعوني، حين استشرى المرضُ في جسدي، أسفل سلالم المستشفى، ثم أرسلوني إلى البيت لأقضي أيّامي الأخيرة قائلين: لم يبقَ حيّاً إلى الآن إلاّ لقوّة بنيته.. خذوه إلى داره.

قال: جاؤوا بي إلى الدار، وكنت عاجزاً حتى عن الكلام، ما كان يدخل عليَّ أحد إلا ما ندر، أصحوا حيناً وأغيب عن الوعي حيناً. كانت أيّام المحرَّم. دخلَت أمّي عائدة من مجلس عزاءِ أبي عبد الله الحسين(ع) فأخذَت بالبكاء، كانت تحمل خرقة.

قالت: أريد أن أمسح بدنك بها ففيها دموع عزاءِ أبي عبد الله الحسين(ع)، الحسين(ع) هو الذي يشفيك!

أردتُ أن أومئ إليها أنْ: أُمّاه، لقد فات أوان هذه المسائل.. جسدي متآكل.. (وكان الدود قد اجتاح جسده، كما قال) فمَن الذي عساه أن يُصلح ما فسد؟! فأخذَت تنتحب، وتمسح بدني بالخرقة، وتقول: يا أبا عبد الله.. منكَ أريدُ ولدي!

فقلت، وقد انكسر قلبي لأنينها.. قلت: سيدي.. إذا شافيتَني.. فسأقيم لك مأتماً، وأوزّع الطعام، أوزّع الطعام في الأزقّة. وظلّت عبارة: " أوزّع الطعام في الأزقة" تتردّد في ذهني.

يقول: مر يوم أو يومين، وبدلاً من أن أقضي آخر لحظات عمري فوجئتُ برجل قد جلس إلى جانبي

على كرسي هيّأه لنفسه. كان من الجمال والبهاء ما أنساني مرضي وعجزي. فاستويتُ جالساً، دون أن أدري أكنتُ في حُلُمٍ أم يقظة.

قلت: يا الله! لا شك أن مرادهم من "النظر إلى وجه العالم عبادة" هو أنت.

فقال لي: حسنٌ، ماشاء الله نجار..

(وقد بالغ ماشاء الله في الإطراء على صوت الرجل أن: ما أروع صوته!)

قال: ما حاجتُك؟

قلت: لي حاجة عند مولاي الحســـين(ع)، أريد أن يشفيني.

قال: حسنٌ، أنا الحسين! أما ترى أنك شُفيت؟

فانتبهتُ إلى أنّني جالس!

قال: قم واشرب بعض الماء لترى كيف أنّك على ما يرام.

فقمتُ من السرير، وخرجت إلى الفناء وشربت من حنفية في وسطها

فقال: لكن قلتَ ســـتقيمُ مأتماً، فلا تخلف الوعد! كم يوماً سيكون المأتم؟

ولم أكن قد فكّرتُ بعدد الأيام.. كل ما شـــغل ذهني هو أن أوزّع الطعام في الأزقة

قلت: لا أدري، عشرة أيّام.

فقال: ولماذا عشـــرة؟ اجعلها ثمانية عشـــر تذكاراً لأمّي ذات الثمانية عشرة!

إنـه كلام الرجل. شـــخصـــيّاً أنـا أرفض نقل هذه القصـــص، لكن لكثرة مــا أرَونـي من الوثــائق والشـواهد عليها، بل جميع أهالي البلدة يعلمون أنـه مات وعاد إلى الحياة.

يقول: هرعــتُ إلى أهلي فــأيقظتُهم، ورأوني في مظهري الجديد، وبدأ الصـــراخ والعويل، وتراكض الجيران معتقدين أنّي قضـيتُ نحبي فبُهتوا أن، كلا، إنّـه..!

يضـيف الرجل: يشـهد الله، كنت أذهب إلى المسـجد فيتعجب النـاس قائلين: هذا الرجل كم يشبـه المرحوم ماشاء الله، ما القصة، خبّرنـا؟

فأقول: هو أنا يا ناس!

يقول: في العام التالي، في الوقت ذاته، كنّا في فقر مُدقِع تحلّ علينا الصـــدقة. قلت: يا أبا عبد الله، وعدتُ أن أقيم لك مأتماً، لكنّي مُفلس!

قالت أمي: اشـــترِ شـــاياً ووزّعه عند رأس الزقاق، إلى أن تصبح ميسوراً، ماذا تصنع وما عندك مال؟

يقول: يشهد الله أنّي لم أتوجّع بسبب مرضي قدرَ ما توجّعتُ لأنّني وعدتُ مولاي أنْ: ســـأقيم لك العزاء وأوزّع الطعام، وإذا بي مفلس! أقســـم بالله، لقد جلســـتُ في فِناء الدار أبكي وأنتحب فإذا بي أرى مولاي ثانية.. لا أدري في أية حال.

قال لي: مـاشـــاء الله نجار، ما الذي جرى؟ أراك غارقاً في همومك ثانيةً!

قلت: سيدي، أريد أن أقيم مأتماً، وما عندي شيء.

قال: قم وأقم مأتمك، والباقي علَيّ! وأردَف: ماشاء الله نجار، أقم المأتم هنا في الفِناء. اذهب وائتِني بمكنســـة، أريد أن أكنُس بنفســـي طريق أقدام المُعزّين!

دعونـا من بـاقي المشـــهـد..! يقول: نـهضـــتُ.. ودموعي تنـهمر.. ورتّبتُ المكان، وصـــلّيت. وبينما أنـا أفرش الفنـاء بـالأغطيـة، طرق أحـدُهم البـاب، فخرجتُ، وإذا بأحد كَسَبةَ البلدة وقد جلب، بسـيارة حمل، أثاثاً، وأرزّاً، وســـماورات، وقدوراً كبيرة، وهو يُنزِلها ويبكي!

قلت مستغرباً: ما هذه؟

قال: اصـمُت، كل ما شـاهَدْتَه أنت بالأمس شـاهَدْتُه أنا أيضاً!

يقول: كان فناء دارنا ضـــيقاً جدّاً، فأخذ الأصـــدقاء يشـــترون أفنية الدور المجاورة ويلحقونها بها. هذا المكان مثلاً كان داراً فألحقوها به أيضـــاً. وصـــرنـا، كل محرّم، ننصب سقفاً ونقيم المأتم..

فقمـتُ ورُحـتُ أتجوّل في أرجـاء الفنـاء، وقرب المنبر. وبينمـا أنـا في هـذه الحـال خـاطبني: أترى روعة المشـــهد يا عزيزي؟ ونشـــر ذراعيه وقال: أترى أنّ كلّ وجودي من الحســين(ع)! كل وجودي من الحســـين(ع)! داري من الحســـين، الفناء من الحسين، كل شيء من الحسين..!

أيّ لذّة يشـــعر بها هذا الرجل! ما أحلى هذه الحياة! كل وجودي من الحسين(عليه السلام)!

◈ أفضـــــل هدية يقدمها الزوج والزوجة لأحدهما الآخر

يقول تعالى في ســـــورة الروم، الآيـة 21: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً».

ـ ولماذا فعلتَ هذا يا رب؟

دَع الله نفسَـه يجيب: «خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِـكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْـــكُنُوا إِلَيْهَا». ما الذي يجب أن تعطوه الأولوية في البيت؟ هل الأولويـة للحب؟ كلا.. أهي للمتعة؟ كلا.. الأولويـة للمنفعـة؟ كلا.. هـل هي للإنجـاب؟ كلا.. أَهِي للســـمعة والاعتبار والمركز الاجتماعي؟ كلا.. الأولوية لأي شـــيء إذن؟ «لِتَسْـكُنُوا إِلَيْهَا».. لتنعموا بالسَّكينة مع بعضكم البعض. هدف الأسـرة إذن هو الســـكون.. مهما حصـــل لا ينبغي لسَـــكينة البيت أن تتبدّد. السكون هو أول أهداف الأسرة.

السكون أوّلاً. إنك إن وضعتَ الفوائد الأخرى للحياة العائلية أولاً تكون قد خرّبتَ كل شيء! يكون قد تحطّم كل شيء! فإن قلتَ مثلاً: "أول فوائد الأسرة المحبّة"، وسنرى أن الآية نفسها تذكر المحبة أيضاً، لكنها لم تأتِ بها أوّلاً! تقول: "سأعطيكم المحبة كذلك".. لا بد أيضاً من الحب بين الزوجين. لكن ضَعوا المحبة محلّ السّكينة ولاحظوا.. الزوجان، وبدافع المحبة، سيُفسدان سكون أحدهما الآخر. ثم لا يبقى لا محبة ولا سكون!

مثلاً لتُوضَع المتعة محل السكينة.. كأن يقول: "بالنسبة لي الأولوية للّذة الجنسية".. أو ضع الراحة (وإن الإنسان لمُرتاح في بيته) مكان السكون، ماذا يحصل؟ إنك ستدمر نفسك وتحطم عائلتك! تقول: "أريد الراحة"، لكنك من أجل راحتك ستبدّد سكون زوجك، ومن ثم لن تنعم أنت بالراحة. إن ما يقيّد جميع تصرفاتنا.. وما يقيّد كل ما في حياتنا من أهداف وفوائد أخرى هو السكون. لا ينبغي للسكون أن يخرَّب، ليتم كل شيء مع حفظ السكون، ليتم كل شيء، بعد السكون.

لتنتقد الزوجة زوجها، وليؤاخذ الزوج زوجته لكن ليبقى السكون. قل: الأمر لا يستحق.. أريد توجيه كلام خشن، أو صحيح لزوجي، الزوج أو الزوجة لا فرق، لكن هذا الكلام الخشن، اللاذع، أو أي كلام آخر.. وإن كان في غاية الصحة، وفي منتهى الأهمية، هذا الكلام إن نطقتُ به الآن سينهار سكون البيت.

إذن، السكون أوّلاً. فلنتّخذ من "السكون" هذا شعاراً محوريّاً للعائلة. والحق إن في مقدور كل من الزوج والزوجة أن يُهدي لصاحبه السكون. «خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا». ما الهدف الذي وضعه الله للأسرة؟ السكون. مهما حصل لا ينبغي لسَكينة البيت أن تتبدّد. لا ينبغي للسكون أن يخرَّب، ليتم كل شيء مع حفظ السكون، ليتم كل شيء، بعد السكون.

إلهي، ما عندي الآن غيرُك!

على أي شيء غير الله تريد أن تتّكل؟

في أواخر أحد أشهر رمضان كانت لي مع الأصدقاء محاضـــرات لبضـــع ليال في هذه الجامعة، لا أذكر بـالدقـة قبل كم ســـنـة. وفي الليلـة الأخيرة انتـابَت الإخوةَ حالٌ روحانية مميزة ولسـان حالهم: "إلهي، هذه آخر ليلة من الشهر الفضيل.. فماذا لو لم تغفر لنا الليلة؟!" كان الجميع في أشـــد حالات الفقر إلى الله.. والذوبان فيه.

- عذراً، لكن لمـاذا لم تعش هـذه الحـال قبـل ثلاث ليال؟

- لأنـه، آنذاك، كان مشـركاً! كان يقول: "عندي الله، وعنـدي ثلاث ليـالٍ أخرى.. فلا داعي الآن للمغالاة في التضرّع."

ومـا إن أتـت الليلـة الثـالثـة حتى قـال: "إلهي، مـا عندي الآن غيرُك!" لم يعلم هذا المســكين أنه قبل ثلاث ليالٍ أيضاً لم يكن يملك غير الله! في حين ترى الإمام السـجاد(ع)، إذا راجعتَ نصّ دعائه، ينتحب، في الليلة الأولى، على انتهاء شـهر رمضـان!.. في أول ليلة من شهر رمضان!

على أي شيء غير الله تريد أن تتّكل؟

◈الله يصوّر لك الجنة بتحمّس..

هل حصـــل مرة أن أعدَّت لك أمك طعاماً وقدّمَته لك ثم قالت: لقد أعدَدتُ لك طبقاً، وأيّ طبق! شـــهيّ.. عسل.. أنظر ما أحلاه.. ما ألذّه! فإنك ـ ولو من باب الأدب ـــ ستتبسَّم، أليس كذلك؟ لا تقول: حسـنٌ، ضعيه هناك!! فهذا أكثر من إساءة الأدب، بل: الله! أمي، ســلِمَت يداك.. شـــكراً جزيلاً.. الله!.. فديتُ يديكِ. وإذا بالله يصـــوّر جنته في كتابه ويضـــعها أمامك بتحمّس ثم يقول: «إنني أصوّر لك الجنة، ثم أنظر إلى تعـابير وجهـك أفلا تُظهر ردّة فعل ولو بســيطـة؟!» الشـــخص منهم يقرأ القرآن هكذا: «وَكَوَاعِبَ أَتْرَابـاً»، «عُرُبـاً أَتْرابـاً»! يـا هذا، أَظهِر تفاعلاً ما!

يقول (الراوي): كنتُ أقرأ القرآن لأمير المؤمنين(ع) في مسـجد الكوفة ولدى وصـولي إلى آية بكى أمير

المؤمنين(ع) بكاءً عالياً إلى درجة أني لم أستطع مواصلة القراءة. إنها الآية التي تقول: «وَلَكُمْ فيها ما تَشْتَهي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فيها ما تَدَّعُون» بكى، وبكى، وانتحب بصوت عالٍ. هل هذا البكاء يا ترى نتيجة حزن شديد؟! أمير المؤمنين(ع) يقول: «فَهُمْ وَالجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُون» فهم كالذين يرون الجنة ويتذوّقون فاكهتها. يعيشون سُكارى!

فإذا أُزيلت السُّتُر سيُعلَم مقدار السرور الذي يعيشه هذا الشخص. اذهب واقرأ القرآن، وليكن لديك قليلاً من الانتظار والتأهّب، وستحدث لك أمور جيدة. قل: اجعلني يا ربّ مِمَّن «زُيّنَت له الآخرة».. زَيّنْ لي الآخرة! فلتداعب رائحةُ الجنة أنفَك! قسماً بالله إن رائحة الجنة تداعب أنف البعض أحياناً لدى تلاوته القرآن! وإذا بك بعد مدة من تلاوة القرآن ترى أنه لا شيء مهمّاً سوى الآخرة، فتهدأ في البداية.. ثم تتحول إلى عاشق.. ثم تكون مشتاقاً.. ثم مسروراً..

إنهم كالذين يرون الجنة ويتذوّقون فاكهتها.. يرون الجنة.

ما الذي أنفقتَه اليوم؟

«فَـاتَّقُوا اللهَ مَـا اسْـــتَطَعْتُم.. وَاسْـــمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا»، الأمر الوحيد الذي يذكره هنا بعد السـمع والطاعة هو «أَنْفِقُوا». «إِذَا مَسَّـــهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً» إذا أتـاه خير منعَ الآخرين منـه. أنفِق.. "أنفِق" يعني: "لا تكن منوعـاً".. أنفق. مـا الـذي أنفقتَـه اليوم؟ الإنفـاق ليس بـالمـال فقط، ليس بـالصـــدقة فحســـب، فلقد قالوا: «عَوْنُ الضَّـعِيفِ صَـدَقَة»، شـخص لا يقدر على شــيء فأُسـاعدُه، أُعطيه من قدرتي، أشـاركه فيما لديّ من حُسـن، وهذه صـدقة أيضـاً، ولا يعني أن مَن أعطيتَه الصـدقة متسـوّل، فكل واحد منّـا محتـاج إلى الآخر، فنحن نعيش في ظل نظام التسخير.

إذن عليك بالإنفاق، «أَنْفِقُوا خَيْراً لأَنْفُسِـــكُم.. وَمَنْ يُوقَ شُـــحَّ نَفْسِـــهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»، أي من يتجنّب البخل.. على أن الشُـــحّ مرحلـة أعلى من البخل. ما فرق الشُـحّ عن البخل؟ لقد أشـير إلى ذلك في الحديث بدقة متنـاهيـة سُـــئل أحدهم(ع): مَن هو

الشــحيح؟ وما هو "شُــحّ النفس" الذي تكرر ذكره في القرآن الكريم؟ قال(ع): «الشُّحُّ أَشَدُّ مِنَ الْبُخْلِ، إِنَّ الْبَخِيلَ يَبْخَلُ بِمَا فِي يَدِهِ وَالشَّحِيحُ يَشُحُّ عَلَى مَا فِي أَيْدِي النَّـاسِ وَعَلَى مَـا فِي يَـدِهِ»، يقرّر أن لا ينفقه إذا أُعطيه، وهو بعدُ لم يحصـــل عليـه! «لا يَرَى فِي أَيْدِي النَّاسِ شَـــيْئاً إِلاّ تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ لَـهُ بِالْحِلِّ وَالْحَرَامِ». لاحظوا إلى أي مدى يجعل الطمع صاحبَه تعيساً!

فمن هو غير الشـــحيح إذن؟ هو من يقول: والله لو حصـــلتُ على مليـار لأعطيت رفـاقي 800 مليون أقضـــي حـاجـة فلان وحـاجـة فلان، وتكفيني 200 مليون لسدّ حاجتي. أما الشحيح فيقول: لو حصلتُ على مليار فسأسدّ بـــ200 مليون حاجتي ثم أعطي الباقي..! لا، لماذا أعطيه، أشـــتري به عقاراً آخر! بل يحسد غيره إذا رأى عنده مالاً: لِمَ هذا المال في يد فلان؟!

ـ وما ستصنع لو كان بيدك؟

ـ وما شأنك، فليكن بيدي!

أيٌّ وقاحة!

في الخبر: كي لا تكون هكذا أنفق: «يُوقَ الشُّحَّ إِذَا اخْتَارَ النَّفَقَةَ» ادفَعْ، فلدينا صدقة الصباح وصدقة المساء، تُستحبُّ الصدقة يومياً، لكننا نجمعها لندفعها آخر الشهر!

- يا أخي، كم تريد أن تتصدّق آخر الشهر؟

- أتصدّق بـ1000 تومان

- لا حاجة لأن تتصدّق بألف تومان، تصدّق بثلاثين فقط وأعط يوميّاً نصف تومان صباحاً ونصفاً مساءً! لماذا؟ لأنهم(ع) يريدون منك أصل هذا العطاء والدفع، الدفع الذي تزهق أرواح البعض لحظةَ يقوم به! واظب عليه، ولا حاجة إلى إنفاق مبلغ كبير، أنفق قليلاً، لكن داوم عليه، دع ولَدك ينفق، ففي الخبر: إذا أردت التصدّق «مُرِ الصَّبِيَّ فَلْيَتَصَدَّقْ بِيَدِهِ» كي يتعلّم من صِغَره. أنفق.. أنفق.. قل: بُنَيّ، هاك النقودَ وأنفقها.. أنفق..

فنان، كتب سيناريو.. فإذا به يغضب على من يريد مساعدته قائلاً: "هذا العمل في الأصل عملي! اغرُب عني! إنه عملي!" «مَنُوعاً»..! لا تتشبّث به.. إن أكملَه صديقُك ولو بلمسة فأعطه إيّاه وقل:

سجّله باسمك.. لا تتشبّث به! فهذا أيضاً من الزكاة، «زَكَاةُ الْعِلْمِ نَشْـــرُه»، بـل إننـا قد نَظَّرنـا لعمليـة "المنع" هذه وأقحمناها في أنظمتنا الاجتماعية! فلا نـدع الآخرين يشـــاركوننا قابليّاتنـا! يقول: "هذه الفكرة الإبداعية خطرَت لي أنا، كيف أضـــعها في متناول رفاقي ونحن الخمســـة نقوم بهذا النشـــاط معاً؟! هم لا تخطر ببالهم هذه الأمور، أنا صـــاحب الفكرة، بل الأفكار، كلها، كل فكرة تســـاوي.. ثم أتســـاوَى معهم!" فلتـذهـب مثـل هـذه الأمـة إلى الجحيم! أمة لا يضـــع أفرادها قابليّاتهم في متناول الآخرين، أقصد جحيم الدنيا، لا أريد أن أدعو بجحيم الآخرة. أنفِق..

في الحرب يضـــعون كل إمكاناتهم مع بعضـــها كي تنجح العمليات حتى إذا عادوا إلى السِّلْم أسّس كل واحد مؤسســة لنفســه، بل ويجتهد في حفظ أسـرار مؤسسته كي لا يسرق الآخرُ أفكارَه الخاصة، يقول: "هذه الفكرة فكرتنا، لا نعطيها لأحد!" هذا ســـلوك غير إسلامي!

في الخبر: كي لا تكون هكذا أنفق: «يُوقَ الشُّـحَّ إِذَا اخْتَارَ النَّفَقَةَ» ادفَعْ فلدينا صـدقة الصـباح وصـدقة المســـاء. إنـهم(ع) يريدون منك أصـــل هذا العطاء والدفع، الدفع الذي تزهق أرواح البعض لحظةَ يقوم بـه! واظب عليـه، ولا حـاجـة إلى إنفـاق مبلغ كبير، أنفق قليلاً، لكن داوم عليه.

🔶أطرُق باب حبيبي الحسين أكثر!

ما هو أعمقُ ذِكْر، وهو ذِكْر جميل؟ إنـه عندما ينسى الذاكر نفسَـه. ليس هذا مزاحًا يا رفاق، إنـها حقيقة. ولا نكون هكـذا إلا في مجلس رثـاء أبي عبـد الله الحسين(ع). أطرُق باب حبيبيَ الحسين(ع) أكثر!

عندما نكون ذائبين في النعي والرثاء.. سنبلغ حالة من الذهول. قسَـمًا بالله لو أتوك أثناء النعي وقالوا لـك: كم تريد من الثواب؟ كم قطرةً ذرفتَ، لنعطيك عن كل قطرة...؟ لو قالها لك أحدٌ فستهُمّ بضربه!..

ستَرُدّ عليه: "اغرُبْ عني، ما هذا الكلام؟!.. لا أحد يسأل هذا السؤال وسط العزاء!"..

أوَيُمكن أن يفنَى الإنسان في الله أثناء الذكر؟! يَفنَى في الله ويَذهَل عن نفسه؟! في عالمِ الخِلقَة كُلّه كم من الناس بهذا المستوى؟! كَم إنسانًا يبلغ هذا المقام في كل قَرن وعصر؟! من اللحظة الأولى وبمجرد بدء النعي تلاحظ أن الله يمنحك حالة عرفانية. لقد ارتقيتَ إلى رُتبة جديدة من الحياة! بل إنك لحظةَ تبكي الحسينَ(ع) لا تعود تحسب: كمِ يعود عليك الحسين بالربح؟ إنك تخوض تجربةَ العشق.. إنه مستوًى آخر من الحياة!

البعض يقول: فليُذِقني الله أولًا طعم ذِكْره وحلاوة لُطفه، لأتوجّه إليه. فالدنيا تذيقنا حلاوتَها سريعًا، فنلهَث وراءها.

فيقول الله: وأنا أيضًا أذيقُك! هل ضجرتَ إذ حضرتَ مجلس حبيبي الحسين(ع)؟! ألَم تأنَس كل أُنس؟! إذن أطرُق باب حبيبيَ الحسين(ع) أكثر! أَحَدَثَ مرّةً أنْ أتيتَ المجلس لتجد شخصًا أوقفتُه على الباب وقلتُ له: اليوم رأيتُ أن لا أسمح بدخول المذنبين؟!

أَحدَثَ مرّة؟! أَحدَثَ مرّةً أن حرمتُك من الدموع ومن لذّة البكاء على حبيبي الحسين(ع) بحجّة أنك ملوّث بالمعاصي؟! أحدَثَ مرَّة؟!

البعض يقول: فليُذِقني الله أولًا طعم ذِكْره وحلاوة لُطفه، لأتوجّه إليه. فالدنيا تذيقنا حلاوتَها سريعًا، فنلهَث وراءها.

فيقول الله: وأنا أيضًا أذيقُك! هل ضجرتَ إذ حضرتَ مجلس حبيبي الحسين(ع)؟! أَلَم تأنَس كل أُنس؟! إذن أطرُق باب حبيبيَ الحسين(ع) أكثر!

◆ لا تثق بنفسك!

نحن في كلامنا نستخدم مصطلح «الثقة بالنفس» ولكن ليس في النصوص الدينية شيء باسم «الثقة بالنفس» يقولون لنا: ثق بنفسك يا هذا! ماذا يَعنون؟ أنه تجهّز بقوّة وقدرة روحيّة لكي تعزم بقوّة وتعمل بقوّة وأن تُصِرّ على قولك ولا تكون متزلزلا هذا ما يقصدونه من الثقة بالنفس ولكن لم

تُـذكَر «الثقـة بـالنفس» في الإســـلام والقرآن ونصوصنا الروائية والدينيّة قطّ

هل نعني من الثقـة بـالنفس القوّة الروحيّـة؟ يقول الله: أجل، القوّة الروحية شـــيء مطلوب ولكن لماذا تبغيها بـالثقـة بـالنفس؟ فـإنـه غلط جدّا! نقول: إذن كيف نحصـــــل على هذه القدرة والقوّة الروحيّـة؟ يقول: بالثقة بي! لماذا بالثقة بالنفس؟ كلمة خاطئة جرت على ألسنتنا باسم الثقة بالنفس إنه خطأ كبير! فإن الجاهل يثق بنفســـه أنا مليءٌ بالضــعف وكنت كمـا قـال القرآن (ظَلُومـاً جَهُولا) أنـا مليء بـالجهل فكيف أطمئّن بنفسي

ـ فتكون متزلزلاً؟! ـ كلا! لست متزلزلا أبدا ـ فإن كنت غير واثق بنفســــك فمن أين لك هذه القوّة؟ ـ وثقت بالله! الطفل لا يثق بنفسـه، وإنما يثق بوالديـه وسكينته أكثر منّا كان يقول الشيخ بهجت: لا يقلق الأطفـال على خبزة غـدهم أبـدا إذ يقول الطفـل: ستوفّرها أمّي بالطّبع، فما المشكلة؟ بابا يهيّئـها ولا يشكّ في أن بابا وماما سيهيّئانها قطعاً لا يثق الطفل بنفســــه ولـذلك يزداد اتكـالا على أبويـه ولا يبرح

ملتصقا بهما غير منفكّ عنهما أرأيتم في المجالس.. يجلس الطفل بجنب أمه أو أبيه يلعب فإذا نهض الأب أو الأم إلى مكان آخر، تراه يصرخ ويضجّ..لا تنهض واجلس هنا

ـ سأرجع الآن ـ كلا.. ذهبت الآن.. فلا أستطيع بعد أن أعوّل على رجوعك

فلابدّ أن أكون ملازماً لك دائما أيّ من يحضنه غيرهما، فلا يستجيب له

نحن إذا ابتعدنا عن الله يجب أن يعلو صراخنا وضجيجنا هكذا كيف يتّكل الطفل على أبويه ويحظى بالسكينة؟ قُرِّرَ أن نثق بالله هكذا فنطمئنّ ولكننا نريد أن نقطع صلتنا بالله ثمّ نقف على أرجلنا فيقول: تفضّل وَقِف إن استطعت! أفلم تكن ظلوما جهولا يا هذا؟! أولست تظلم نفسك في كل لحظة؟ وترتكب حماقة في كلّ لحظة؟ ــ شيخنا، ألا تفنى ثقتي بنفسي حين تعتبرني ظلوما جهولا وتقول: كثيرا ما ترتكب حماقة وكثيرا ما تظلم...؟ــ بلى! تفنى ثقتك بنفسك. أوهل يلزم أن تثق بنفسك؟

ـ ولكن إن لم يثق الإنسان بنفسه، يتزلزل ويهن!

ـ كلا! فاجبُر تزلزلك وضعفك بالله

كلمة خاطئة جرت على ألسـنتنا باسـم الثقة بالنفس إنه خطأ كبير! الطفل لا يثق بنفسـه ولذلك يزداد اتكالا على أبويه ولا يبرح ملتصـقا بهما غير منفكّ عنهما قُرّرَ أن نثق بالله هكذا فنطمئنّ فلتكن ثقتك بالله

◈ أخشى أنك ما زلت في عالم طفولتك!

أتذكر حين كنتَ طفلاً إذا انكسـرَت سـيارتُك أو أعطَبوا دميتَك كم كنت تبكي وتُتلف أعصـابك، على أشياء تافهة جداً. أتذكر هواجسك؟ هلاّ عدّدتَها؟ ما إن تنهض أمُك وترتدي عباءتها حتى تصرخ وتقيم الدنيا.

ــ لحظة يا بني، الآن أحضنك، دقيقتان، آه لو صبر طفلي هذا دقيقتين!

حتى إذا كبرتَ قلت: كم كان بكائي تافهاً! أخشى أنك ما زلت في عالم الطفولة ذاك! علامَ الآن بكاؤنا

وانزعاجنا وفرحنا؟ الذي يصبح موحّداً تُسلبُ منه الإثارات الدنيوية قليلاً.

حينما كان إمامنا الراحل رضوان الله تعالى عليه في الطائرة لدى قدومه إلى إيران في الأول من شباط سنة 1979 أجاب الصحفيَّ، إذ سأله عن شعوره: "ليس لدي أي شعور!" ظن الصحفي أنه لم يفهم سؤاله، فكرره على المترجم، وطرح المترجم السؤال ثانية، فقال الإمام: "لكن ليس لدي أي شعور!"

قال: لكنك تعود إلى بلدك، لقد قُمت بثورة، و.. فما شعورك؟

أراد أن يسجل شعوره أن: "أشعر وكأن السُّحُب كلها جنود سماوية ترافقنا..."

ـ كلا، ليس لدي أي إحساس!

يقول الله في حديث قدسي: «يَا أَحْمَد، اِحْذَرْ أَنْ يَكُونَ مَثَلُكَ مَثَلَ الصَّبِيِّ إِذَا نَظَرَ الأَحْمَرَ وَالأَصْفَرَ وَإِذَا أُعْطِيَ شَيئاً مِنَ الحُلْوِ وَالحَامِضِ اغْتَرَّ بِهِ.»

أجل، فالحياة الإيمانية ليس فيها الكثير من الإثارات

الأرضـــية. فعن أمير المؤمنين علي(ع) أن حالة المؤمن في البلاء كحـالتـه في الرخـاء: «نُزِّلَتْ أَنْفُسُـــهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي الرَّخَاءِ». فإن هاجمه شخصٌ تراه هادئاً يقول: "مجنون قذف حجراً"، وإن أصـــاب ظَفَراً عظيماً قال: "الله هو الذي تلطّف عليَّ به". يبلغ حالة من السـكينة، لكن حياته خالية من الإثارات، فكيف نصوغ فيه قصة؟

أجل، الحقيقة هي أن حياة المؤمن الدنيوية لا تعود فيها إثارات، إنه يُظهِر هياجَه في مواطن أخرى، ما هو بطفل. لكن أتخلو حياة هذا الإنســـان من أي إثـارة؟ متى يبتســم؟ متى ينتحـب؟ متى يثور ويضطرب؟ في محراب صلاته، فهناك يثور ثورةً.. ثورة عميقة وعنيفة، لا ثورة سطحية حتى يناولوه منشفة بدلاً عن المنديل ليجفف بها دموعه!! أَبكيتَ يوماً حتى احتجتَ إلى منشـــفة لكثرة ما ذرفتَ من الدموع؟

إذن الإنســـان المؤمن الذي خاض كل الامتحانات فصــار كل شــيء له كالموجة المسـتوية، ما الذي يهيجُه؟ ذِكرُ الجنة والنار.. ذِكرُ الفراق والوصــال..

«مَولايَ بِذِكرِكَ عَاشَ قَلبِي»؛ يا حياة قلبي، بذكرك تستمر حياتي.. فأنا معك. حياته قمة الاهتياج، أنت الذي توقّفتَ هاهنا. أنت مَن تظن أن العرس والموت والعزاء والمأتم وحادث السير والفوز بالجوائز وما إليها مثيرة للغاية. أنت من توقّفتَ هاهنا.. اذهب وانظر ما يجري في العالم.

لماذا تلتذ خلسة؟!

لا أظن أن شارب الخمر في البلدان الأخرى يلتذّ أكثر من شاربه عندنا، لأنها هنا خلسةً فيظن أن.. أظننتَ أنّه لكوني أريد أن أصبح إنساناً صالحاً فإن عليك إتيان اللذة خلسةً؟! لكنني أسعى وراء الهدف ذاته! اخنُق نفسك الأمارة بالسوء. اِلجِم نفسك اللاهثة وراء الشهوات. لا تدَعها تنساب خلسة.

أتوافقوني الرأي أننا حينما لا نجعل من اللذة هدفاً صريحاً لنا تحاول نفسنا الأمارة بالسوء كلَّ حين الانسياب خلسةً لتظفر بلذةٍ ما؟ أما ترى في الضيافة

إذا أتوك قبل العشـــاء بحلوى لذيذة جداً وأنت جائع قلت: ممتاز، ممتاز، ضــعها هنا لِما بعد العشـــاء؟! فالعشــــاء فاخر، وإن تناولتُ قطعتي حلوى الآن لا أتمكن من العشاء، فقابليتي محدودة، ثم إنها ستسد شــهيتي، وأريد أن ألحق بالمضـيف خسـارة فادحة بتناولي ثلاثة أطباق! لنفس السبب الذي جعل نفسك الأمـارة تلحّ عليك أن: كُل، كُل، لا تجـامـل - لنفس الســـبب أنت تقول: لا بـأس، لا تـأكل، لا تـأكل، لا تأكل! لقد لجَمتَ نفسـك الأمارة بالسـوء. إنني أتكلم كلاماً مهماً جداً، لكنكم تنظرون إليَّ هكذا، أتدرون؟! لماذا حاولتِ الانسـياب خلسـةً؟ وما الذي أعمله أنا يا ترى؟ ألســتُ أنا الآخر أفتش عن اللذة! امنعها.. امنعها.. ونـاد بـاللذة بـأعلى صــــوتك.. بـاعتبـارها المحرّك لك. ناد بصوت عال: أريد أن ألتذ، وحينذاك سـوف لا تصـبح النفس الأمارة بالسـوء أمارةً، ولا تظل تحاول التملّص. فحينما تقول: أريد المزيد من اللذة فسوف لا تتحسر على ما يستمتع به الآخرون أمـام عينيك من لذات، إذ لـديك برنـامج للذة. وهذه اللذة من العلو ما يجعل الصائم يحترق قلبه حقاً من

أجل غير الصائم، ولا يحسد صائمٌ مُفطِراً قَطّ. لماذا؟ لأنه مُلتَذ! لأن لقلبه لذة.

فعندما تتحدث بصـــراحة عن اللذة قائلاً: أريد أرقى لذة، فسوف لا يشق عليك ترك غيرها. أما ترى كم يصـــعب على الطفل أن تنتزع من يده دميتـه أو لعبتـه؟ تقول لـه: أعطني إياها، فيرفض. لكن ما إن تعطيه لعبة أكبر، حتى يتخلى عن تلك قائلاً: خذها، تفضّل!

ـ أريد أن استمتع بلذة أسمى.

ستقول (النفس): جيد، الآن أنا مستعدة للتخلي عن تلك الأدنى.

سيكون الإنسان مستعداً نفسياً لذلك.

ـ أي لذة تريد الوصول إليها بالدين؟

ـ أرقى لذة، وإلا فلا جدوى من الدين!

لماذا حاولتِ الانسـياب خلسـةً؟ وما الذي أعمله أنا يا ترى؟ ألستُ أنا الآخر أفتش عن اللذة!

نظرة مختلفة إلى الحياة

علينا أن ننظر إلى كل شـــيء بنظرة الامتحان. الآن تحديداً نحن نُمتحَن بهذا الكلام بالذات، إنها إحدى مراحل امتحاننا أن يطرُق أسماعَنا مثل هذا الكلام، الآن تحديداً نحن نُمتحَن. كل شـــيء هو للامتحان. إننا لا نعيش حالة الامتحان بشكل دائمي في حياتنا اليومية ولهذا نحن غافلون عن أن كل حياتنا أساساً هي، في الحقيقة، امتحان.

ففي حياتكم الدنيوية مثلاً إذا باعكم أحدٌ سيارة فهو لا يبيعكم إيّاها ليمتحنكم، بل هو حقاً يبيعكم سيارة. وإذا ما اشتريتم سيارة فإنكم لا تشترونها لتُمتحَنوا، بل أنتم حقّاً تشترون سيارة، تختارونها. وإذا نويتم السفر، من هنا إلى مشهد مثلاً، فإنكم لا تختارون طريق الذهاب لتُمتَحَنوا، بل واقعاً تختارون طريقاً لسلوكها. نعم، حينما يمتحنك ضابط المرور ليقرر هل سيعطيك رخصة قيادة أم لا، ويقول لك: "فرمِل السيارة"، فإنه يمتحنك، يقول لك: "سِـــر"، فإنه

يمتحنك. فقط في تلك الساعة، أما في باقي الأوقات، فإنك لست في امتحان!

إننا لا نعيش حالة الامتحان بشكل دائمي في حياتنا اليومية ولهذا نحن غافلون عن أن كل حياتنا أساساً هي، في الحقيقة، امتحان. كل ما يحصل بينك وبين ربك هو امتحان لك، إنه يمتحنك به؛ إنْ أعطاك مالاً، فالمال ليس لك، هو امتحان لك. إنْ لم يعطك مالاً، فهو امتحان لك، فالفقر ليس له حقيقة واقعية. إنْ جعلَك تَمرَض، فهو امتحان لك، فكونك مريضاً واقعاً هو موضوع فرعي بالنسبة لكونك تُمتحَن بالمرض.

ولا أدّعي أن ليسَ ثمة مرض، بلى هو موجود. ولا أزعم أن المال الذي تملكه حقّاً لا تملكه، بل تملكه في الواقع. ما أقصده هو أن امتلاكك المال هو فرعٌ لقضيّة أنك تخوض امتحاناً. إذا كنت ذا موهبة فإنّك تُمتَحن بهذه الموهبة. فلننظر إلى كل شيء نظرة امتحان. الله نفسه يقول ذلك؛ «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ».

لا تقولوا: "الناس في البداية أطفال، ثم يصـــبحون مراهقين، ثم شـــبّانـاً، ثم كهولاً، ثم يشـــيخون"، أســتحلفكم بالله أن لا تنظروا إلى الحياة هكذا فهذه، يا أحبائي، نظرة ســـطحيّة، بل قولوا: الله يمتحن الإنســان بالمراهقة لفترة، ثم يســلب منه المراهقة فيمتحنه بالشـباب، ثم يخطف منه الشـباب فيمتحنه بـالكهولــة، ثم يـأخـذ منــه الكهولــة فيمتحنــه بالشـــيخوخة.. هذه هي النظرة الصـــائبة.. النظرة الواقعية.

اللافت جدّاً بالنســـبة لي هو أن الله لا يســـأم من امتحان العبد.. لافت جدّاً.. ابتســموا أنتم أيضــاً، لا بـأس.. لا يســـأم.. امتحنَك اليوم عدة امتحـانـات، فشـلتَ تارةً، نجَحتَ تارةً، امتحاناً تلو امتحان، حتى خارَت قواك، واســتســلمت للنوم، وما إن تســتيقظ حتى يشرعَ بامتحانك..!

ـ إلهي، دعني أستيقظ فقط، أريقُ على وجهي بعض الماء..!

يقول: كلا، نمتحنك حتى بإراقة الماء على الوجه!

ـ وماذا تريد أن تصنع الآن؟

- إذهب لأخبرك.

تذهب، وفجأة.. طاخ! تسقط أرضاً.. أرأيت؟

بالطبع هناك امتحانات صــــامتة، فهاهنا كان ثمة "طاخ"، صـحيح؟ هناك امتحانات صــامتة أيضــاً.. تفتح حنفية الماء، ينساب الماء على يديك..

- يبدو أنه لا امتحان اليوم، كم الماء زلال!

وتغسل، وينتهي الأمر..

- يبدو أن هذه المرة ليس..

- كلا، هذا أيضاً امتحان!

الصـــالحون يعرفون أنّ هذا امتحان، فما إن يريقوا الماء على وجوههم حتى يقولوا: «الْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي جَعَلَ الْمَاءَ طَهُوراً»، أردتَ، إلهي، أن تمتحنني إنْ كان لي شـــعور، عرفانٌ بالجميل، حظٌّ من الآدمية، من السـمعة، من الشـرف، لأعلم أنه ماؤك الزلال.. لقد أدركتُ ذلك.. فلدينا امتحان صـــامت، ولدينا امتحان بضـجيج، وكلاهما امتحان. اسـتحلفكم بالله أن تعيشـــوا حالـة الامتحـان. «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ»، سورة الملك، الآية 2.

يُمنَع تصيُّد الزلات

«وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً». تريد أن تختار زوجة؟ انظر مَن التي تختارُها. هذي التي تودّ اختيارها عليك غداً أن ترحمها. هل تستطيع أن ترحمها أم لا؟ وهل تستطيع هي أن ترحمك أم لا؟ الأسرة موطن الرحمة.. يُمنَع تصيُّد الزلات. إذا حاول أفراد الأسرة الواحدة ـ الزوجان ـ تصيُّد زلات بعضهما البعض فكلاهما تعيسان.. شقيّان. وكل مَن أصرّ أكثر على تتبّع عثرات صاحبه فمكانه في قعر جهنّم! كونوا على ثقة! نار جهنم إنما خُلقَت من أجل الزوجين اللذَين اطّلَع كل منهما على عيوب صاحبه وراح يتتبّعُها باستمرار!!

ـ يا هذان، لقد تعارفتما

ـ ثم ماذا؟

ــ أي تستطيعان الآن بسهولة أن تطّلعا على عيوب بعضكما البعض. والآن يجب أن تتراحما! لقد

وضعتُ عبدي تحت تصرّفك.. فلا تتقصَّ عيوبَه.. لا تُذَكّره بها بعد حين: «أرأيت، منذ البداية أنت كنتَ كذا وكذا..» أساساً.. الأسرة موطن الرَّحمة.. يرحم بعضهم بعضاً

ـ لا أريدكِ أن تترحّمي علَيَّ!!

ـــ أرجوك، دعكَ من هذه السخافات! «لا أريدك أن تترحّمي علَيَّ»!! لا بد لأفراد الأســـرة الواحدة، أو الزوجين، أن يتراحموا. ما هذا الكلام؟! لا أدري.. كأنه نابغة عصره.. أو كُتلةٌ من الفضائل.. كأنه.. لا أدري... لا نظير له، ليقول: لا أريد أن ترحميني! لماذا؟ إنّك تســـتحقّ الرحمة! فالزوجان يطّلع كل منهما على الكثير من عيوب الآخر. ففي الخبر (ما مضـــمونه): مَن حفظ على أخيه زلاّته ليعيّره بها يوماً ما فقد خرج عن ولاية أهل البيت (ع)!!

بعض النســـاء يتّصـــفن بهذه العادة.. فهي تُقرِّع زوجها لعيبه دوماً، لا رحمة لها أبداً. ترونها سيدة، وربة بيت، ومربية أطفال، وتحمل فضـــائل جمّة، لكنها فقط لم تكن ترحم زوجها وإذا بها تُحشـــر في الآخرة مع أمثال «صدام»!!

ـــــــ يا هذه، ما الذي تصـــنعينه هنا؟ كم من الناس قتَلتِ؟

فتجيب: أبداً، صدام كان ظالماً، وأنا أيضاً، فحُشِرنا سويّة هاهنا.

أو رجل لا يرحم زوجته فيُحشر مع فرعون!

ـ أوه، متى كنتَ فرعوناً؟! أين حَكَمتَ؟! أين سرقتَ الذهب وابتلعتَه كي تُحشر مع فرعون؟!

ـ أيُّ ذهب! لقد كنتُ مُفلساً

ـ إذن فلماذا حُشِرتَ مع فرعون يا مسكين؟!

فيقول: لا شيء.. لم أكن أرحم زوجتي!!

فقيل: فرعون أيضاً كان ظالماً، فكلاكما سواء.

الدين قوّة الإنسان

هل تعلمون بـأيّ مرض نحن مبتلون؟ ذاك المرض هو الشّعور بالضّعف "أنا لا أقدر". يستيقظ أحدهم في الصـــباح فيقول "ما الّذي لا أســـتطيع أن أفعله

اليوم؟" تعســـا لك! فلتشـــعر بالقوة، وليكن بداخلك شعور المنتصرين، حتى متى تقول "لا أستطيع"؟!

لا تشعر بالضّعف! لا تستشعر الحقارة! فإن البعض مصـابٌ بمرض الشعور بالضّعف! استشعر القوة. بالله عليكم اجعلوا مواكب العزاء مظهراً يجسّد قوة هذا المجتمع. وارفعوا الأعلام والرايات بحيث... أنا لا أعرف كيف يجب أن تســـيّروا الموكب، بحيث يقول النّـاس جـاء الأســـود! قـدِمَ الأبطـال! جـاء البواسـل! إياك أن تتظاهر بالعرفان في موكب اللطم لاوياً عنقك وأنت تندب الحسين. لماذا تلوي رقبتك؟ لقـد ارتفع رأس الحســـين فوق الرمح ولم يحنِ رقبتـه. وأنـت المنتقم لـدم الحســـين! مـا إن تقدم مواكب العزاء من بعيد، يجب أن تلقي الرّعبَ في العـالم! مـا يعجبني من كـلّ أنواع العزاء هو لطم «النزلة». هذا هو ذوقي. إذ أحيا به! وأســتلذ! كما أذرف دموعي في أثنـائـه! حتى عنـدمـا أكون في حســـينيّتنا أطلب من الرادود أن أســـرع وانتقل إلى النزلـة.

هل رأيتم كيف يقرأون اللطميّة حينها؟ بكلّ عزم وقوة! يذرفُ الإنسان الدموع وهو في أوج قوّته! هذه هي روحنا! هذا هو نَفَسُنا! هذه هي روحيّتنا، هذا هو نهجنا. هذا هو ما يريد الله أن يهبنا إيّاه.

عندما يظهر صاحب العصر والزمان أرواحنا له الفداء سيعطي لكلّ مؤمن قوّة ٤٠ رجلا! أنا أدعوكم لأن تكونوا في ركب مهدي فاطمة(عج)! كيف سيعطي صاحب الزمان لكلّ رجلٍ مؤمن يناصره قوة ٤٠ رجلا؟! لابدّ أن يكون الأمر عبر عمليّة منطقيّة! وإلا فإنّه إذا أراد أن يفعل ذلك بالمعجزة فَلَقَتَلَ العدوّ أيضا بالمعجزة، ولَظَهَرَ بالمعجزة، ولأصلح الجميع روحيّا بالمعجزة، ولأصلح كلّ فاسد بالمعجزة. ما هو السرّ إذن؟! السرّ هو شدّة فهمهم! وشدّة وعيهم! وشدّة عصيانهم على أن يهيمن إبليس على رقابهم! يسألني البعض لماذا تكثر من مدح الفلم الأجنبي الفلاني؟ فأقول قد استعرض رجلا قويّا، وهذا ما يعجبني. لا تتّبعوا الشهوات أيها الشباب، لا تشغلوا أبصاركم بالنظر الحرام، لا تشغلوا أسماعكم بالغناء

الماجن. فقد قال الإمام(ره) أن الموسيقى توهن الشابّ! فهو يريدك أن تكون قويّاً! وأن تمتلك القوة!

كان بودّي أن نتحدّث لعشر ليالٍ حول أثر الدّين هذا؛ أثره الخفيّ. هل الدين يجعل الإنسان لطيفا؟ أجل. هل يجعل الإنسان بصيرا؟ نعم بالطبع. هل الدين يجعل الإنسان خلوقا، ورؤوفاً؟ نعم، نعم. ولكن يابن آدم، إنّ الدّين، وعلى درجة أكبر من كلّ هذه الآثار، يجعل الإنسان قويّا! الدّينُ يجعلُ الإنسان قويا!

دعه يفكر بنفسه!

«يُعَلِّمُهُمُ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ». مضافاً إلى كلامي الذي تعلّمونه إياه قولوا له دوماً: وماذا تقول أنت؟ ما رأيك أنت؟ تفضل أنت.. وهذا نمط في التعليم والتربية.

في هذا النمط التعليمي التربوي يقول المعلم: أيها التلميذ، أنا أعلّمك كُليمات فقط وعليك أنت أن تسبُر

أعماق نفسك، وتفتش، وتبحث! أيها المعلم، لا تعلّمه! لا تسكب له الماء! بل علّمه كيف يحفر البئر، وكيف يستخرج الماء من أعماقها بدلوِ فكره. على أساس من الحكمة، وعلى أساس: "كُن مُنتجاً للعلمِ من أول الطريق وبأقل قدر من المعرفة" لنمضي معاً.

لا تُغذّوا عقل الأطفال بهذا الكم من "البيانات".. دعوهم يبحثون. إنكم تحطمون عقل الطفل بما تحقتونه بكل هذه البيانات والمعلومات. ثم يأتي الإجراء القبيح للغاية وهو "امتحانه بما يعرف"! اطرَح عليه مسألة وقل له: اذهب فحلّها. ثم يجلس المعلّم ويُحرق شمعة وجوده من أجل التلميذ. يقول له: أنا أشرف على حلّك للمسائل. ارحمه.. لا تضع "الجدول الدوري" في شاحنة فتسحب عتلتها لتُفرِغه في فكر هذا التلميذ. ارحمه.. إنه إنسان! اتركه وحده.. وحده يسايرك خطوة خطوة. علّمه بطريقةِ طرح المسألة وحلّها. لستُ أقول شيئاً معقداً.

"العلامات" أصـبحت "شـرف" التربية والتعليم!! إنها إهانة لسمعة المعلم! لماذا إلى هذا الحد لا نثق بعدالة المعلم ولا نتركه ليحدد بنفسه إنْ كان الطالب مقبولاً؟

ــ لكن قد يقبل المعلّم بطالبٍ ما من باب المحسوبية أو يرفضُ آخر ظلماً.. إذن نطالبه بورقة امتحان.

ـ يعني: يا معلم، أنا لا أثق بك!

الغوا نظام العلامات.. ثقوا بالمعلم.. إن أردتُ طرح مثال فهل عليَّ أن آتي به من فنلندا لأقول: انظروا.. إنه أرقى نظام تربوي وتعليمي في العالم فهم لا يتعاملون بالعلامات.. انظروا ليس لديهم علامات؟! إنها تعاليمنا الدينية. أعليَّ أن أضرب مثلاً من فنلندا؟!

ـ يا شيخ، هلا تكلّمت بالروحانيات.

ـ طيب، ماذا أقول في الروحانيات مثلاً؟

ـ في المجلس تلاميذ كثيرون، انصحهم بترك الذنوب.

- لكن الذنوب منشـؤها أنظمتنا التربوية والتعليمية الهزيلة هذه! من أين ينشأ الذنب؟.. ينشأ من سوء العيش! إنكم تحطمون عقل الطفل بما تحقتونه بكل هذه البيانات والمعلومات.

◈ علينا أن نحيا كالحاج قاسم

نحن بالنسبة إلى من يُحيَون بأمر الله ورسوله، أمواتٌ! ماذا تقول الأنباء؟ ما هذه الضجّة العارمة لماذا باتت أعين الشعب بحراً مرّة أخرى؟ إنا لله وإنا إليه راجعون استشهاد جندي الولاية وأمة الإسلام الحاج قاسم سليماني... ليت النبأ كذباً ليتني أفيق من نومي ماذا تقول الأنباء؟ فلا أكاد أصدّق سماحة الشيخ فرحزاد، حرم الإمام الرضا(ع) حين إعلان نبأ استشهاد القائد سليماني أنا لست ممّن يرغب في نشر الأخبار المؤلمة ولكن للأسف الشهيد القائد قاسم سليماني عمد الأمريكان المجرمون قبل ساعة في مطار بغداد إلى... نحن بالنسبة إلى من يُحيَون بأمر الله ورسوله، أمواتٌ!

لا أعيننا ترى ولا آذاننا تسمع ولا نسمع صوتا من الأوليـاء ولا نـدرك معنىً ولا نتلو القرآن ونفقهـه ونـهتزّ فلا خبر نحن أموات بالنسبة إلى من يحظون بحياة الحياة الطيّبة هي حياة أخرى

سماحة السيد القائد:

نحن أذاننا ثقيلة فلا نسـمع هذه الرسـائل بصـواب القائد الشهيد سليماني: هذه قضيّة مهمّة يا أخواتي وإخوتي ما لم يكن امرء شهيدا، لن يُستَشهَد شرط الاستشهاد، هو أن يكون المرء شهيدا

فإن رأيتم اليوم من يُتَحسّـس من كلامه وسـلوكه وأخلاقه رائحةُ الشهيد فاعلموا أنه سيُستَشهد هذا الرجل الذي كان أكثر الناس محبوبيّةً كان يلح على هذا وذاك أن ادعوا لي بـالشـهادة فلابدّ لي من الذهاب أسـرع وأما السـنة الأخيرة فكان على أحرّ من الجمر إلى أين كـان ينظر؟ من حظي بحصّـة قليلـة من محبوبيّتـه يغرق فيها ويتيـه أمّا هو فلمـاذا لم يكن ينظر إليها؟ لماذا لم ينخدع؟ لماذا لم يغترّ؟ لماذا لم يكن يسـتمتع بحبّ الناس له ويكتفي بذلك؟ لقد ظهرت في هؤلاء تجليّات من الحياة الطيبة لا

ندري مقدارها ماذا قال ذاك الشـــهيد إلى من خلفه قبل استشهاده عبر اللاسلكي؟ قال: هيا تعال إذ هنا حقائق يوجد هنا شــــيء ما طيب ماذا هناك؟ أرى شـيئا هنا إن رأيته لن تبرح منه ليس هناك سـوى القذائف والبنادق وبعدها اسـتُشـهد ماذا هناك؟ ماذا كان يرى؟

إنـه لأمر مهم جدّا ما الذي كان يراه باكري هناك؟ تلك الجنة التي رُزِق أن يراها في السـاعة الأخيرة كم كانت رائعة وخلّابة وواضـحة بحيث لا يريد أن يكون صـديقه محروماً! الشـهيد باكري: خلاصـة الأمر إن سـنحت لك فرصـة تعال وتفرّج! إنه ناظر إلى مشـاهد ملكوتية ومعنوية وغيبية الحياة الطيّبة هي حياة أخرى هل نحن أحياء؟ إنما التقنية قد خدعتنا فاكتفينا بالحدّ الأدنى حَسِـبنا أنّ بيدنا إمكانات عالية مَسَكنا بجوّال تافه ذي مواصفات ثم نشـاهد بضـع لقطات نشـرت في الإنترنت عن هنا وهناك في العالم فنحسـب أن ازدادت معلوماتنا جدّا ها نحن نعيش منتهى الحرمان حالـة (صُـمٌّ بُكْمٌ عُمْي) ولا نبالي ما الذي يجب أن نتوب عنه هذه

الليلة؟ ذاك الذي يجد تلك الحياة الأخرى فإن نظر إلى كفّه هل يرى معلومات بقدر ما احتوته جوّالاتنا؟

أم إنه مشغول بقضايا أخرى في العالم؟ يسمع صوتا من مكان آخر؟ الشهيد باكري: خلاصة الأمر إن سنحت لك فرصة تعال وتفرّج من لم يسمع ذكر الكائنات والذي يعجز عن طيّ الأرض مثلا هل هذا الإنسان حيّ؟ هل استطاع أن يستخدم جميع طاقاته قال(ص): «غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ تَرَوْنَ الْعَجَائِبَ» نحن عندما لا نرى العجائب فصدّقوا بأننا ميّتون! فلتسألوا اللهَ الحياة في هذه الليلة!

كيف ننتفع من هذا الشهر الفضيل؟

يسأل الكثيرون: كيف ننتفع من شهر رمضان المبارك هذا؟ كيف نجني فائدة أكبر من هذا الشهر الفضيل؟ عند دخول شهر رمضان المبارك لابد أن يكون إحساسنا أنه أول شهر رمضان يمرّ علينا، وأنه آخر شهر رمضان نُدركه. بهذا قد أُوصينا. إن

في ميسور شهر رمضان في الواقع أن يكون الجابر لكل نقص اعترى الإنسان فيما مضى، والمزيل لكافّة عيوبه الروحية، والضامن لمستقبله مدى العمر.

فشهر رمضان المبارك غير مُخصَّص لسنة واحدة، بل هو، في كل مرة، من أجل عُمرٍ بأكمله، كل ما هنالك اننا نحن الذين لا نتزوّد منه إلا القليل. ونفس هذا الاهتمام للانتفاع منه، وهذا التلظّي والتأوّه خشية تضييع هذه الفرصة العظيمة، هو من أهم عوامل الاستفادة من الشهر.

يسأل الكثيرون: كيف ننتفع من شهر رمضان المبارك هذا؟ فليلحّوا على الله بهذا السؤال بعين باكية وقلب محزون، وليجتهدوا في طلب جوابه في أدعيتهم وما يحسنونه من مراقبات، فلا ينبغي أن يوضع كل شيء في متناول الإنسان جاهزاً. يقول الشاعر: «لا تطلب الماء كثيراً واستجلب الظّمأ، وحينئذ سيتدفّق الماء من كل ذرة من كيانك»

يسأل الكثيرون: كيف ننتفع من شهر رمضان المبارك هذا؟ أَلِحّ على الله بهذا السؤال بعين باكية

وقلب محزون. نفس هذا الاهتمام للانتفاع منه، وهذا التلظّي والتأوّه خشية تضييع هذه الفرصة العظيمة هو من أهم عوامل الاستفادة من الشهر.

◈لنتكلم بأدب، لا بصدق!

«فَالمُتَّقُونَ فِيها هُم أَهلُ الفَضائِلِ، مَنطِقُهُمُ الصَّواب» (أمير المؤمنين(ع)، خطبة المتقين).

على رأس الفضائل الأخلاقية التي يُحصيها أمير المؤمنين(ع) لأهل التقوى هي ضبط اللسان واستعماله السليم: «فَالمُتَّقُونَ فِيها هُم أَهلُ الفَضائِلِ، مَنطِقُهُمُ الصَّواب».

عبارة: «مَنطِقُهُمُ الصَّواب» تُخبرنا ببضع مسائل: الصواب لا يعني الصدق؛ فبوسعك أن تقول الصدق فتُحرق شعبًا بأكمله! يمكنك أن تقول الصدق فتُهلِك شخصًا! الغِيبة أيضًا كلام صادق.

(المُغتاب إني أقول الصدق.

- حماقة منك أن تقول الصـــدق. لا ينبغي قَولُ كلِّ صدق، لا يجوز أن تنقل عيبَ شخص في غيابه بصــدق.. لا تقل هنا شـيئًا، بل إن قال شــخصٌ الواقع، أي اغتاب، فدافِعْ أنت. لا ينبغي قَولُ كلِّ صـــدق. الصـــواب لا يعني الصـــدق. منطقُهم الصواب، وليس منطقهم الصدق.

أحيانًا يقول أحدهم الصــدق ليُنَفِّس عن نفســه، ولا ينبغي فعل ذلك؛ يشكو بثَّه للآخرين.. ولا ينبغي فعل هذا. وقد يتكلّم بصـــــدق عن عملـه الخيِّر، فيكون رياءً. وقد يصـدُق مُخبِرًا عن بُغضــه لفلان... لربما أسـتطيع أن أنقل لكم حتى الصـباح أمثلة عن الكلام الصادق غير الصائب.

بالطبع عليَّ أن أُبَيِّن ملاحظة: قول الصـــدق يخفّف بعض الشـــيء من الضــغط النفســي للمرء، في أي مجال كان؛ سِـــرُّ أحدٍ تُفشـــيه، ترتاح. بثُّك وحُزنُك تشـكوه، ترتاح. بُغضٌ في صـدرك تبوحُ بـه، ترتاح. ومن اللافت أن البعض كلما قال الصــدق يقول: هذا أروح لضــميري! وليس هو ضــميرَه، بل هي راحةٌ

تعتريه لا يحبِّذُها الله. هذه الراحة تُفسِدُك، تُبدِّد وقارَك، فليس كل راحة جيدة.

كان بعض علماء النفس يقولون في زمنٍ ما: الشاب الذي فرح لموت أبيه، وورثَ منه مالًا، وأُزيح منافسٌ عن طريقه لِمَ عليه الوقوف عند الباب والظهور بمظهر المكتئب؟! اِذهَبْ - بكل بساطة - في نزهة وقل: لا شيء، أنا سعيد! لاحظ أن المجتمع هكذا سيتحوّل بالتدريج إلى مجتمع عديم الحياء. أتدري ما سيحصل إذا انعدم الحياء؟

إذا انعدم الحياء، ونفَّسَ الناس عن أنفسهم دائمًا بصدق، فسيكونون ضعفاء؛ لأنك حين تضبُط صدقَك بدافع الحياء وغيره من المقيِّدات يتولَّد ضغط على نفسك، وهذا الضغط يجعل المرء عظيمًا، إنه يهذّبه؛ فمن الضغط النفسي أن يغضب المرء ثم لا يشتُم.

- أقولُها بصدق، أتمنّى أن تنذَلّ، أن تَبيد من الأرض!

- أرأيتَ، كان عليك ضبط نفسك.

إذن الضعف هو محصلة بعض أشكال الصدق. الضغط يجعل المرء عظيمًا، إنه يهذّبه.

أيجب علينا ترغيب أولادنا بقول الصدق أم بالأدب؟ بالأدب. وما معنى الأدب؟ الذي أساسُه الحياء. أول ما يقوله الأدب للمرء هو: ما الذي يجب أن لا تقول. قيمةُ أيهما أكبر: الأدب أم الصدق؟ إن لم يضربني أحد، أقول: الأدب. يود الطفل أن يثرثر كثيرًا، وبكل صدق. عليك أن تقول له: تكلم ضمن هذه الضوابط فتكون مؤدبًا.

«فَالمُتَّقُونَ فِيها هُم أَهلُ الفَضائِلِ، مَنطِقُهُمُ الصَّواب».

فَلس من سُمعة!

قال لي أحدهم: لا تقل "فَلساً" فلا أحد الآن يعرف الفَلس. حقّاً؟ ربما.. إذ لا وجود اليوم للفَلس، الفلس عملة صغيرة جدّاً. يا رفاق.. بعض الناس... مجرّد "فلس"! يكبّلهم فَلسٌ من سُمعة!! فلسٌ من سُمعة..

من مجاملـة. إنّ الله ينظر أحيانـاً إلى أعمـاق قلبـك فيرى أنـك مُهتَمّ، ولو مثقـال ذرّة، بمـا يقول النـاس عنك، فيقول لملائكته: هذا لا يسـاوي شيئاً! انبذوه! فلا يَعُدّه أصلاً من الآدميّين! ومهما توجّهتَ إلى الله متوسّـــلاً: إلهي، ربّي، لمـاذا تُعرِض عنـي؟ والله مجرّد جرم صـــغير، مســـتقرّ في زاوية من أعماق قلبي، جرّاء غفلة، تجاوز عنّي!

فيقول تعالى: لكنه ما يزال هناك! أنت لا تســـتطيع نزعَه على أية حال!

ـ ما عساي أصنع؟ ذرّة، في زاوية في أعماق قلبي، هكذا، ماذا أصنع لها؟

ـ فلتنتحب لأنظر ما بإمكاني فعلُه لك لاحقاً!

أي إذا شاهد الله في زاوية من أعماق نفسك فلساً... أقصـــد ذرّة من حبّك لامتداح سِـــفلة أهل الدنيا لك فسوف لا ينظر إليك أبداً، يقول: "ماذا عساي أصنع له؟ مَن يكون يا ترى؟ ذَرهُ وشـــأنه.." وواجبي أن أُخبر بذلك.. بل لقد أخبرونا ومن واجبي أن أُخبر، فمَن أكون أنا يا ترى؟!

يُحكى أن عقرباً لسَــــعَت أحدَهم فجاؤوا بـه لأمير المؤمنين(ع) وقد اشتدّ أنينه وراح يشكو لـه(ع) أنـه سـيموت. فقال(ع) له: لا تخف، لا تموت، سـيمرّ عليك شـهران (أو ثلاثـة) وتُشـفى. وفي أواخر مرضـه، وكـان مـا يزال متـألّمـاً، لاقـاه أمير المؤمنين(ع) ثـانيـة، فقال الرجل: أنـا في ألم عظيم وعذاب شـديد. فأخبرَه(ع) أن بدنـه سـيتغلب على المرض وسـيشـفى عما قريب. ثم قال(ع): أفلا أخبرك بالحكمة وراء إصابتك هذه؟

فـإنّ للحوادث حِكَمـاً على أيـة حـال، وأنْ يوجَد مَن يُخبرك بحِكَمها فهو جيّد، جيّد جدّاً! بل ضـروري أحيانـاً، أمـا بـاقي الطريق فعلينـا سـلوكها بـالفكر والإيمان، وبالخوف والاشتياق.

أجاب: لِمَ لا؟

قال(ع): أتذكُر يوم كنتَ جالسـاً مع أصـحاب لك فطعنوا في سلمان الفارسي؟ طعنوا فيه بسبب حبه لي أنـا علي بن أبي طالب، ولأنـه من شـيعتي! ألا وإنك رجل محترم، وقد همَمْتَ بـالدفـاع عنـه، لكنك لم تفعل! ولو دافعتَ عنه لما كانت حياتُك سـتُهَدَّد،

ولما كانوا ليتعرّضوا لك، بل ولما كان مالُك ليضيع فتخسر، لكن قيّدَتْكَ المجاملات..! قُلتَ: ستتعكّر صداقتُنا! سيقولون لي: أوه، كم تُهوِّل الأمور؟.. الخ. لأجل ذرّةٍ من اعتبار! قلتَ: لا داعي.. لماذا؟! فـ"الثورية" تلك الأيام كانت في دفاعك عن سلمان صاحب عليّ بن أبي طالب(ع)! كم كان صالحاً هذا الرجل! فلقد عاقبه الله مباشرةً فلسعَتْه عقرب ظل يتلوّى لها الشهرين والثلاثة. يا رفاق.. بعض الناس يكبّلهم فَلسٌ من سُمعة!! فلسٌ من سُمعة..

«دَخَلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ(ع) رَجُلانِ مِنْ أَصْحَابِهِ.. وَوَقَعَ عَلَى الآخَرِ فِي طَرِيقِهِ مِنْ حَائِطٍ عَقْرَبٌ فَلَسَعَتْهُ وَسَقَطَا جَمِيعاً فَكَأَنَّهُمَا لِمَا بِهِمَا يَتَضَرَّعَانِ وَيَبْكِيَانِ، فَقِيلَ لأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ(ع) فَقَالَ: دَعُوهُمَا فَإِنَّهُ لَمْ يَحِنْ حِينُهُمَا، وَلَمْ تَتِمَّ مِحْنَتُهُمَا.. فَبَقِيَا عَلِيلَيْنِ أَلِيمَيْنِ فِي عَذَابٍ شَدِيدٍ شَهْرَيْنِ. ثُمَّ إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ(ع) بَعَثَ إِلَيْهِمَا.. فَقَالَ لَهُمَا: كَيْفَ حَالُكُمَا؟ قَالا: نَحْنُ بِأَلَمٍ عَظِيمٍ، وَفِي عَذَابٍ شَدِيدٍ. قَالَ لَهُمَا: اسْتَغْفِرَا اللَّهَ مِنْ [كُلِّ] ذَنْبٍ أَدَّاكُمَا إِلَى هَذَا.. أَمَّا أَنْتَ

يَا فُلانُ.. فَتَذْكُرُ يَوْمَ غَمَزَ عَلَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ(ره) فُلانٌ وَطَعَنَ عَلَيْهِ لِمُوَالاتِهِ لَنَا، فَلَمْ يَمْنَعْكَ مِنَ الرَّدِّ وَالِاسْتِخْفَافِ بِهِ خَوْفٌ عَلَى نَفْسِكَ وَلا عَلَى أَهْلِكَ وَلا عَلَى وُلْدِكَ وَمَالِكَ، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّكَ اسْتَحْيَيْتَهُ، فَلِذَلِكَ أَصَابَكَ..»

التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري(ع)، ص587-588.

أرحم الرحماء

نحن بحاجة إلى محبة الله أكثر من حاجة الأطفال إلى محبة أمهاتهم. اختلافنا عن الأطفال هو أننا نعرف كم نحن بحاجة إلى محبة الله، وأنه لا شأن لله في عالم الخلقة سوى اللطف بعبده ورحمته، وأن باستطاعته أن يرحم ويعطف إلى ما لا نهاية.

علينا أن نلتذ برحمة الله. فهل نلتذ بها فعلاً؟ علينا أن نسأل الله الكثير من رحمته ولا نقنع بالقليل منها. هل نحن هكذا حقاً؟ علينا أن نلمس ما حبانا

الله به من رحمةٍ إلى الآن. هل نلمسها حقاً؟ ألسنا سلبيّين؟ علينا أن نكون شاكرين في مقابل ألوان رحمة الله إلى درجة أن نصبح "شكورين". لكن الله نفسه يقول: هؤلاء قِلّة «وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُور». لا بد أن نبالغ بالشكر، ولسنا نستطيع ذلك، لأننا لا نرى. مع أن الرحمة ليست شيئاً لا يُدرَك.. ندركها تماماً، لكننا لا ندركها ولا نلمسها من الله! ولو أدركنا رحمة الله لما لَزِمَنا أن ندرك شيئاً آخر في هذه الدنيا، بل سوف نقول: لا تُبالِ بما سواها في العالم، دعك منه... فقط تمتّع.

الشخص الذي حُكم بالإعدام يقال إن وَليّ الدم فقط يمكنه أن يعفو عنه حتى آخر لحظة قبل إعدامه. يا ترى كيف سينظر هذا المحكوم إلى قلب وَليّ الدم ويتمنّى عفوَه، ويقول: أيمكن؟ أيمكن؟ أيمكن أن يعفو عني؟! يذهبون لملاقاته في السجن فيسأل: أتكلّمتم معه؟ مَن الذي تحدّث إليه؟.. ماذا قال؟

- قال: لا أعفو.

- كيف قالها؟

- قال: لا أعفو، وحسب.

- أعرف، فقط وضح لي.

يريد أن يفتش بين كلماته وفلَتات لســانه عن أمل! إنـه الآن يســتجدي الرحمـة! رحمـة مَن يطـالـب بإعدامه.. ولـيّ الدم المطالب بالقصــاص منـه. مثل هذا يعرف مـا هي الرحمـة؟ فهل نحن نســتجدي رحمة الله بهذه الطريقة؟

وإني لأستبعد أن يكون هذا المحكوم بالإعدام مفتّشاً عن رحمـة ولـيّ دم القتيـل كي يخلّصــه من حبـل المشنقة بمقدار ما يفتّش أئمة الهدى(ع) عن رحمة الله أثنـاء الدعـاء بين يدي الله! والله إنّ المرء ليقف حائراً! في فترة ما كنتُ أضع شريط دعاء الجوشن الكبير في الســيارة لأصــغي إليه، وكان شــريطاً رائعاً.. بل الدعاء دعاء رائع أيّاً تلاه، فســأل طفلٌ: إنـه ينـادي الله فحسب!

قلت: أجل.. إنـه يذكر ألفاً أو ألف اســم واســماً من أسماء الله.

قال: لكن ماذا يريد؟

أتذكّر، ولعلّي كنت أسوق السيارة، أن سؤال الطفل قد هزّني! حقاً، مـاذا يريد بكل هذه المنـاداة؟! يريد

«خَلِّصْـــنا مِنَ النّارِ يَا رَبّ!» فقط طَمئِنّي بأنك لن تُدخِلني النار! أي إنه قد تسلّم حكم إعدامه وبشكل قطعي.

لا أظن أن المحكوم بالإعدام يطالب بهذه الصـورة! نعم، هو يصـــر، لكن ليس إلى هذه الدرجة. لا بد، لاســـتجداء رحمة الله، أن تعتقد بهذه الرحمة كل الاعتقاد، لا أن تقول مُشـــكّكاً: هل ســـيعفو؟ هل أســـأله؟ بل هل ســـيفســـح لي المجال أو لا؟ بل هل ســيعاملني معاملة الآدمي؟ هل ســيصــغي لي؟ إنك هكذا لن تتمنّى رحمته أبداً. إنه بنزيننا.. شـــحننا.. بطاريتنا.. حياتنا.. طاقتنا.. كيف نعبّر؟

ــ كلا، ليس إلى هذه الـــ.. شيخنا، نحن من دون.. بالطبع جيدٌ جداً أن يكون الله رحيماً لكن من الممكن أن لا أتذكّر هذا الموضـــوع لأشـــهر.. أنا أعيش حياتي!

ـ تعيش حياتَك؟! أَتُسمّي هذه التي تعيشها حياة؟!

لمدة من الزمن اجعلوا قضـــيتكم التالي.. وأفضـــل وقت لهذا هو شـــهر رمضـــان المبارك: "لننتزع أنفسَـــنا من كل شـــيء في هذا الشـــهر". نحن

محتاجون إلى رحمة الله. نحن بحاجة إلى التذكير المتواصل بها، أي التفكير بشكل جيد والتأمّل بعمق برحمة الله تعالى. إنها قضية روحانية. إنها مرتبة عرفانية.

صعوبة التوكل!

حينما طُرح موضوع التوكّل ترك بعضهم العمل «وَأَقبَلوا عَلَى العِبَادَة». فأرسل إليهم النبي(ص) مغضباً فقَال: «مَا حَمَلَكُمْ عَلَى مَا صَنَعْتُمْ؟

فَقَالُوا: ..تُكُفِّلَ لَنَا بِأَرْزَاقِنَا..

فَقَالَ: ..[هذا لا يعني أن لا تعملوا] عَلَيْكُمْ بِالطَّلَب».

لماذا جعل الله الأمر هكذا: اعمَلْ، لكن توكّلْ عليَّ؟ بل حتى وإن ضنَكَ عيشُك فقل لأخيك المؤمن: "أنا في ضيق، أعندك ما تقرضني إياه؟" ثم توكّل عليّ! يا إلهي، ليتك قلت: "لا تعمل، وتوكل عليّ" إذن لعرفتُ تكليفي. لكن، يا إلهي، أنْ أعمل وأتوكل معاً، فهذا صعب! فإني إن عملتُ سأظل أنظر إلى عملي.

امتحان التوكل هو ضـرورة أن تتعامل مع الأسـباب والعِلَل؛ أخبِر هذا وذاك عن مشاكلك، اسأل الآخرين رفعَ كربِك. صــــحيح أنــه أحيـانــاً لا ينبغي البوح بالمعاناة لكن في أغلب المواطن لا بأس بذلك. قل، لكن لا تُتلِف أعصــــابك! خَبِّر، لكن لا تتعلق! اِعمَل، لكن لا تثق بعملك! أجل، إنه في هذا حُســنُ التوكّل؛ فإن كان التوكل صعباً، وهو مبعثٌ للسكينة، فهاهنا تكمن صــــعوبتــه. قم بعملـك، وتحرّى الـدقــة.. ثم توكل.. هاهنا الإنجاز.

جاء رجل إلى رسول الله(ص) فقَال: «يَا رَسُولَ اللّهِ، أُرْسِــــلُ نَـاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أَعْقِلُهَا [أربط ســـــاقها] وَأَتَوَكَّلُ» كي لا تفر وتضــــيع؟ «قَالَ(ص): اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ» اربطها ثم توكل.

ـ ألا أعمل لكسب الثروة؟

ـ بلى، يجب أن تعمل.

ـ ألا أقصد الطبيب للعلاج إذا مرضتُ؟

ـ بلى، من الواجب عليك فعل ذلك.

ـ إذن أين التوكل؟

- أن لا يتعلق قلبك... أن لا يتعلق قلبك..

- لكن لا بد للقلب أن يتعلق!

- وهنا تكمن الصعوبة.. فالله يضع الأسباب والعلل في أيدينا، ثم يقول: توكّل علَيّ! اربط ساق بعيرك ثم التوكل. ما معنى اربط ساق بعيرك؟ يعني استَعِن بالأسباب.

- أستعين بالأسباب أم أتوكّل؟

- هاهنا الإنجاز؛ استعِن بالأسباب والعلل، وتوكّل أيضاً، هنا تكمن الصعوبة!

يقول الله تعالى: «مَا اعْتَصَمَ بِي عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي دُونَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِي، عَرَفْتُ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِهِ..»، أي لا بد أن يُشاهَد التوكّل في أعماق نيتك، أن تقطع أملك من الأغيار تماماً، «إِلا جَعَلْتُ لَهُ الْمَخْرَجَ..». ثم يأتي بالعكس في تتمة الحديث: «وَمَا اعْتَصَمَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِي.. إِلا قَطَعْتُ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مِنْ يَدَيْهِ».

سر التوكل هو في أن تستعين بالأسباب والعلل ثم لا تتعلق بها. إذن لا نبتعدَنَّ عن الأسباب والعلل...

بل لنتواصل معها بتدبير وذكاء، لكن – من الناحية الأخرى - لنتوقّع النتيجة من موضـــــع آخر. هاهنا الإنجاز؛ استعِن بالأسباب والعلل، وتوكّل أيضاً.

◈أتدري أن "الصلوات" لها هذا المعنى الرائع؟

يُروى أنّ رجلاً كان عند الإمام الصـــــادق(ع) وأراد أن يأتي بذكر الصلوات فصلّى على النبي(ص) ثم على "أهل بيته" عوضـــــاً عن قوله "وآله"، فأنكر عليه الإمام(ع) هذه الطريقة في الصـــلوات. فقال: لكن ألســـتُم "أهـل بيـت" النبي؟ مـا فرقكم عن الـ"آل"؟

فأوضـــح له(ع) أنّ هناك فرقاً كبيراً فحينما تصـــلّي على أهل البيت تكون قد صـلّيت على الخمسـة أهل الـكســـــاء؛ أي الــنــبــي(ص) والــزهــراء(س) والحســـــنين(ع) وعلي بن أبي طـالـب(ع)، أمـا إذا قلت: "وآل محمد" فســـندخُل نحن، الأئمة التالين،

ويدخل شـــيعتنا فيه. فإن صـــلّيت على محمد(ص) تكون قد صلّيت على شيعته أيضاً.

عن عمّار بن موسـى السّـاباطيّ قال: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللهِ(ع) فَقَالَ رَجُلٌ: اللَّهُمَّ صَـلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ. فَقَالَ لَـهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ(ع): «يَا هَذَا لَقَدْ ضَـــيَّقْتَ عَلَيْنَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ خَمْسَـــةٌ أَصْـحَابُ الْكِسَـاءِ؟» فَقَالَ الرَّجُلُ: كَيْفَ أَقُولُ؟ «قَالَ: قُلِ اللَّهُمَّ صَـــلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، فَنَكُونَ نَحْنُ وَشِيعَتُنَا قَدْ دَخَلْنَا فِيهِ.» (ثواب الأعمال، ص158)

آخر وصـايا الإمام العسـكري(ع) الاسـتراتيجية لعصر الغيبة

لا تستطيع أن تدّعي نصرة الإمام المهدي(عج)، إلا بعد أن كان من بين أقرب أصـدقائك شـباب من أهل السنّة.

الإمام الحسـن العسـكري(ع) هو آخر إمام حيّ وحاضـر كانت لـه علاقة مع النّاس؛ الإمام التالي

والأخير غائب. لذلك فإنّ وصـــايا هذا الإمام العزيز وصايا استراتيجية حتى ساعة الظهور.

لقد قال(ع): «جُرُّوا إِلَيْنَا كُلَّ مَوَدَّةٍ» [تحف العقول/ ص488]

فلابدّ لكلّ واحد منكم أن يجيب: كم قد اســـتطاع أن يجرّ مودّة الناس في أيام شـــبابه؟ وحينما يقول جرّوا... كلّ مودّة، لا يعني كســـب قلوب شـــبّان الشـــيعة؛ بل يقصـــد في هذه الرواية شـــباب أهل السنّة. فلابدّ أن يعانق بعضنا بعضا.

إن المرجع الأعلى لشـــيعة العراق قد قال في حق أهل الســـنّة: «لا تقولوا إخواننا الســـنّة بل قولوا أنفسنا»؛ فإنهم أنفسنا، إنهم أحبابنا.

يا محبّي صاحب الزمان(عج) اكسبوا قلوب الناس! يعتقد بعض إخواننا من أهل السنّة أن المهدي(عج) لم يولد بعد. طيّب فصـــافحوهم وقولوا: «إذن أنتم تحبّون المهديّ(عج) أيضـــا؟»؛ يعني انتهزوا هذا القدر واعقدوا مجالس مشـــتركة لهذا القدر من الاشتراك.

يعتقد إخواننا أهل السـنة أن واقعة الغدير كانت دعوة لحبّ علي بن أبي طالب(ع) لا وصـاية علي بن أبي طالب(ع). طيّب إذن فلنعقد مجالس مشتركة على حبّ علي بن أبي طالب(ع). اعتقادنا بالوصاية ثابت في محلّه، ولكن اشتراكنا معهم في الغدير هو الحبّ، فلنعقد احتفالات على الحبّ. أ ولسـنا ننادي بمحبّـة أهـل البيـت(ع) وحسـب، في كثير من مجالسنا؟ طيّب فلنعقد هذه المجالس معاً.

عندما يرى أهل السنّة أن في العراق أو في سوريا يغامر الشـابّ الشـيعي في سـبيل أن يدافع عن أعراض جيرانه المسـلمين الذين هم أهل السـنّة، يأتي هذا الشابّ السنّي في المقابل ويدافع عن حرم السيدة زينب(س) وسامرّاء. إنها لمعاجز قد تحقّقت بالرغم من كلّ الجهود التي بذلها العدوّ لبثّ الفرقة.

في مسيرة الأربعين هذه، رأينا بعض إخواننا السنّة يخدمون في هذه المواكب حبّا للحسـين(ع). قالوا: «إنه ابن نبيّنا وقد قتل مظلوما ونحن نحبّه». فقلت لهم: صرّحوا بأنكم أهل السنّة. . لقد كانوا يخدمون من أجل الإمام الحسين(ع) بإخلاص.

لقد حان زمان التعاطف.

«جُرُّوا إِلَيْنَا كُلَّ مَوَدَّةٍ» [تحف العقول/ ص488]

🔶لا بد من غسل العيون والنظر بطريقة أخرى!

بيت شِعر "سهراب" الذي يقول فيه، ماذا؟ "لا بد من غسل العيون والنظر بطريقة أخرى". من المصطلحات المهمة جداً والجوهرية في القرآن الكريم هو مصطلح "البصيرة": «هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاس» يقصد القرآن الكريم. والبصيرة هي النظر إلى شيءٍ ما نظرة صائبة. و"القرآن بصائر" يعني أنه يجعلك تنظر إلى ظواهر العالم بشكل صحيح، وهذا في غاية الأهمية. القسم الأعظم من سعادتنا أو تعاستنا يعتمد على نمط رؤيتنا أي: "كيف ننظر إلى الأمور؟" سرورنا وحزننا يتوقف على كيفية نظرنا إلى كل ظاهرة.

لقد قلتُ أمام "السيد ظريف" في اجتماع في أوائل "المفاوضات" ولقد تداولته وسائل الإعلام بعض

الشـــيء، قلتُ: "أيّ معاناة يقاســيها الســيد ظريف وهو يفـاوض هؤلاء الحمقى!" فـإنّ الله قـد جعـل أعداءنا من الحمقى. حسـنٌ، هذا يعتمد على طريقة رؤيتك؛ فإن كانت نظرتك سيئة فستقول: ما أذكاهم! يعملون بكل دقة! سيحطّموننا!

كل هذا ينـدرج ضـــمن "زاويـة الرؤيـة" وهـو مـا يُصـــطلَح عليه في الدين "البصـــيرة"، بل القرآن يُطلق "البصـيرة" على زاويته الأصــح. إن حياتنا غير مرتبطـة بمعلومـاتنـا، بـل هي لا ترتبط بـالواقع من حولنا كارتباطها برؤيتنا. بيت شـعر "سـهراب" الـذي يقول فيـه، مـاذا؟ "لا بـد من غســــل العيون والنظر بطريقــة أخرى." إنـــه من روائع الأدب الفارسـي.. هذا البيت على الأقل. ولا يـهمّنا "ما هي الطريقـة الأخرى" لكن ضـــرورة "النظر بطريقـة أخرى" هو صـحيح. أما: "لا بد من غسـل العيون" ففائق الروعة!.. مرحى! وضـرورة "النظر بطريقة أخرى" تمثّل "زاوية الرؤية" ذاتها.

وقـد جـاء في تراثنـا الـدعـائي بخصـــوص زاويـة الرؤية: «اللّهُمَّ أَرِنَا الأَشْـــيَاءَ كَمَا هِيَ» أي ظواهر

العالم؛ أي اجعَلْني في موضـــع إذا نظرتُ منه إليها رأيتُها على هيئتها. إن النـاس يهمّهم أن الممثـل الفلاني الـذي يعرفون، أو المغنّي الفلاني الـذي يعرفون.. ما هو رأيه في موضوعٍ كذا؟

ـ قُل أرجوك ما رأيك بكذا؟

ـ لكن رأيي..

ـــ لا لا، أرجوك قُل... وسأعمل لها "Forward" للجميعِ، قُل فقط!

يقول أحدهم: قابَلنا ممثلاً كان قد زار مشـــهد قال: أتعلمون رأيي بمشهد؟

يقول: رأيه هذا حصل على بضعَ مائة إعجاب!

تصوّروا لو أبديتُ أنا رأيي بالإمام الرضا(ع) قائلاً:

ـ أرجوك قف لحظة أقول رأيي.

ـ لا داعي!

ـ لكن دعني أنا أيضاً أقول رأيي.

ـ لا أريد، لا حاجة لي برأيك!

لكن ما إن يأنَس بشـــخص قليلاً حتى يودّ معرفة الزاوية التي ينظر منها لمختلف القضـــايا. وليس هذا ســـيّئاً، بل جيد. لكن: لو كان مَن تهمّك معرفة نظرته لمختلف القضـــايا.. هو الحســـين(ع)... ألا يكون جميلاً؟ لا بد أنه يهمّك جداً.. معرفة نظرة الحسين، عليه السلام، لأمور كثيرة! لأمور كثيرة! رفاق، أنفقوا أعماركم في معرفة الزاوية التي ينظر منها أولياء الله، وستأخذكم النشوة..

سيكون السيد ميل جيبسون بالتأكيد!..

- ثمة ســـؤال أودّ أن تجيب عليه. إذا قيل لك: بإمكانك أن تصـــطحب مَن تُحب إلى مســـيرة الأربعين، لكن فقط شخص واحد.. هذا الشخص - من أي بقعة كان من العالم - مَن ســـيكون، ولماذا؟

ـــــ إن أردتُ اختيار شـــخص واحد لأصـطحبه، قد تستغرب.. سيكون السيد ميل جيبسون! سمعتُ قبل

سنوات أنه اطّلع على حياة الإمام الحسين(ع) فقال: أستغرب لماذا لم يُخرجوا إلى الآن فيلماً عن هذه الشخصية العظيمة. أود أن أجلبه ليرى كم من صرخات الحرية التي يُطلقها أو الملاحم التي يريد تسطيرها في أخيلته وأعماله - ليرى كم هي جارية في هذا الطريق!

الزيارة الأربعينية، وهذا التجمهر، ومسيرة المشي قد قلبَت مقاييس السعادة ومعايير التسلية. فالجمال بلا زُخرف، ها هنا يتحقق معناه، الجمال المقرون بالبهجة الغامرة.. النابعة عن العاطفة... النابعة عن الحب. فلماذا حتى غير المتدينين يشاركون في هذه المسيرة، ويشعرون بلذة؟! الحق، أن الأربعين يصوّر لنا نمطاً من الحياة.. يرسم حضارةً قمة في الروعة، بل ها هنا تتبلور الحضارة أساساً... في هذا الطريق النيّر.

ثمّ ماذا؟

سـؤال إنسـانيّ في غاية الأهمّية! إنه لسـؤالٌ قاتل! يبغي الإنســـانُ جوابا عن ســـؤاله هذا ثمّ ماذا؟ ما الغاية؟ هذا السـؤال يدفع الإنسـان صـوب أقصـى هدف ثمّ ماذا؟ أنا إنســـان أطلب المصــــلحة ولكن عندي سؤال أيضا أنا إنسان أطلب اللذّة ولكن عندي سـؤال أيضـا ولابدّ من الإجابة عنه ثمّ ماذا؟ يحتاج الإنســـان في حياته إلى هدف أقصــــى ينظّم جميعَ أهدافه الأدنى لماذا تشـــتري دارا يا فلان؟ - لأني أحتاج إلى دار - لماذا تتزوّج؟ - لأن عندي حاجة أخرى - لماذا تذهب إلى العمل؟ - لأني محتاج إلى المال أيضا و مضافا إلى المال بحاجة إلى الوجاهة الاجتماعية - ما العلاقة بين الوجاهة الاجتماعية والزواج؟ - لا علاقة بينهما، بلى! قد يتعاضدان في مواطن - لماذا تمشّط شعرك؟ - لأني مهتمّ بشعري وتســريحتي وأحبّ الجمال - طيّب! ما علاقة هذا الجمال بأســـنانك؟ - لا علاقةَ، هذا هدف وذاك أيضـا... مثل هذا الإنسـان أشـقى كائن في العالم! لماذا؟ الإنسـان المتشـتّت الإنسـان المُبَعثَر الإنسـان المتعدّد الأهداف فهو غير عاشـــق! فلو كان عنده ألف هـدف وكلّهـا مختلف في أهمّيتـه وعلوّه، لا

يفلح! وجودُه متشتّت عليه أن يقضي عدّة أشغال عليه أن يحقّق عدّة أهداف ولكن طوبى لمن يصبو إلى هدف أسمى واحد إلى هدفٍ يتمكّن منه إلى هدفٍ ممكن بحيث يوحّد اتجاهَ جميعِ أهدافه الجزئية وذات المدى القصير والبعيد ابحثوا عن هدف كهذا بحيث يلبّي نزعتك إلى غير المحدود حتى لا تعود تقول: ثم ماذا! تقول: أها.. هذه الغاية؟! أها.. اقتنعت الآن! ابحثوا عن هدف كهذا بحيث يلبّي نزعتك إلى غير المحدود حتى لا تعود تقول: ثم ماذا! يقول علماء النفس: الإنسان بحاجة إلى هدف كهذا وقالوا أيضا: المصداق الوحيد الذي اكتشفه الإنسان لهكذا هدف هو الله فحتى علماء النّفس أيضا عرفوا ذلك! المصداق الوحيد الذي اكتشفه الإنسان لهكذا هدف هو الله إن الله قد جعل نفسَه فقط جواباً عن هذا السؤال ولا أحدَ يَسَعَه أن يخدع نفسَه! لا أحد! ما إن تسأل عن عمق ثمّ ماذا؟ يظهر الله كالشمس إذ تشرق عند الصباح وتظهر رويدا من خلف الأراضي والبقاع فترى اللهَ ويريك نفسَه فتنجذب إليه وتغدو تحبّه شيئا فشيئا ثمّ يحظى الإنسان بسكينة بها يتزوّج كالآدميّ ويباشر أعمالا

أخرى.. يدير العالم يَدرُس.. الحسابَ أو الهندسة ولكنّه مشغول به فأصبح الآن يعرف لماذا يعيش! أتدرون ماذا يعني أن يكون هدفنا الله؟ عندما نلتقي بالله يومَ القيامة وافرض أنك قد رأيت اللهَ. ألا ينتهي اللقاء؟! ثمّ ماذا؟ تَهيمُ لتراه مرّة أخرى بعد أن تلتقي به ثانيةً كأنك لم تَرَه قطّ فتزداد ظمأً لتلتقي به كرّة أخرى فتودّ أن تلتقي به كرّة أخرى، فإذا التقيت به قلتَ: لم أكن أعرف الله حتى الآن أصلا إلى متى تستمر؟ مستمرّة إلى الأبد! وإنما الله فقط يستطيع أن يكون هكذا كلما يذهب العبد إلى زيارة الله، لا يستطيع أن يكلّم أحدا بشيء يا له من موجود رائع! نعم هناك من يدلّكه والملائكة تمرّخ أكتافه في فترة فراغه ويوفّرن له بيتا ويقلن له: اسكن هنا ولكن الأصل هو وإنّما هذه فندق الجنّة هي فندق زوّار الله إنما الله لا حدّ له وما يعني لا حدّ له؟ يعني كلّما رأيتَه تجلّى فيك شأنٌ منه والله لا نفاد له والله هو الموجود الوحيد الذي لا نفاد له وستحظى أنت إلى الأبد بلقائه الإنسان كائن مفطور على هذه الحاجة وقد جاء الأنبياء ليُزيحوا الغبار عن هذه الحاجة الفطريّة لدى الإنسان ليتبلور عنده هذا السؤال

الرئيس ثمّ ماذا؟ كل هذه الأهداف ماذا بعدها؟ يودّ الإنسان أن يختار ذاك الهدف الأسمى ليَسكُن ولا يعود يقول: ثمّ ماذا؟ وما يحدث له إن اختار ذاك الهدف الأسمى؟ حينئذ يحظى الإنسان بسكينة بها يتزوّج كالآدميّ يدير العالم فأصبح الآن يعرف لماذا يعيش!